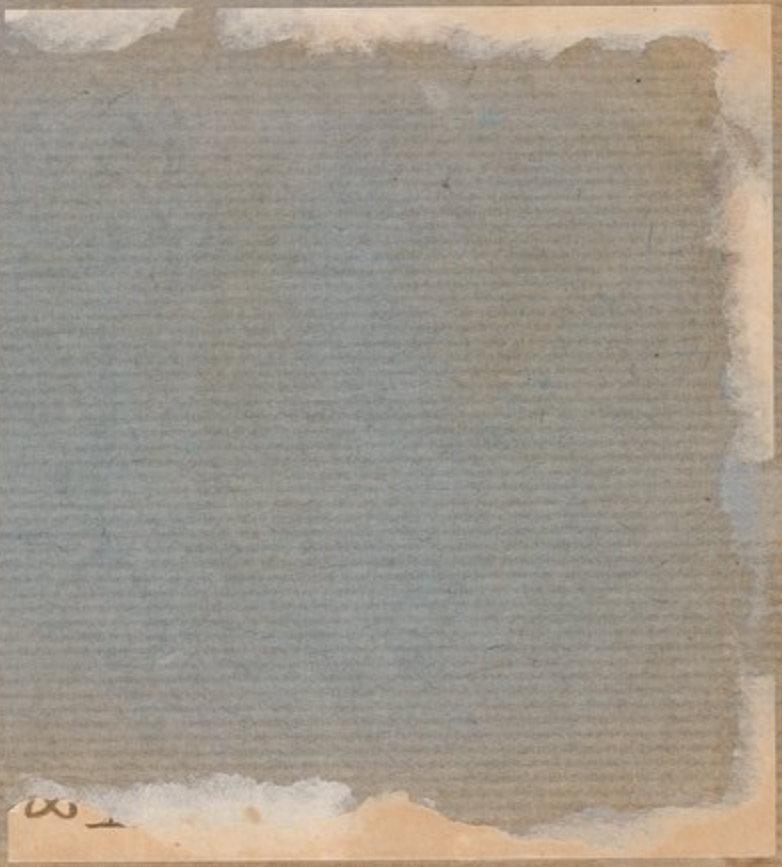

UNIVERSITY OF ILLINOIS LIBRARY

محمد عبد الغني حسن

808
Ha381bA
c. 1

آية حب وتقدير
لحبة الأديب الفراء
مصطفى الزامل
١٩٥٠/٤/٢
الفلقة

بين السطور

cat. 7 Dec. '53

دار الفكر العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يشتمل هذا الكتاب على نظرات نقدية لطائفة من الكتب أخرجتها المطبعة العربية فى بضع السنوات الماضية . وهو نقد كان الحق والإنصاف دائماً أكبر دوافعه . وكانت الغيرة على التحقيق العلمى والنشر الدقيق أول بواعثه .

وقد أطلت النقد فى تحقيق المخطوطات المنشورة وتتبعت من المآخذ ماقد يظنه القارىء العادى عملا لاغناء فيه . ولكنى أرجو أن يجد الأديب المتمكن فى هذا العمل حرصاً على التراث العربى أن يخرج على غير ماأراده له أصحابه المؤلفون الذين قرحوا جفونهم وسهدوا عيونهم فى إخراجه . فلا محل بعد هذا لأن يخرج الشعر مكسوراً ، أو النص محرفا ، أو اللفظ مشوها ، ثم نزعم بعد ذلك أننا نحيي تراثا ، أو ننشر ميراثاً .

ويخطىء الذين يهونون من قدر التصحيح العلمى واللغوى والتاريخى والشعرى فى المخطوطات المنشورة أو الكتب التى تزدحم بالنصوص ؛ فإن الاستهانة فى هذا السبيل ليست من مصلحة الكتاب العربى ، الذى نرجو له أن يبلغ من الدقة والتحقيق ما بلغه الكتاب غير العربى . ولا أعاد الله أيام الناشرين الأولين الذين كانوا يتجرون بالتراث العربى فأخرجوه على وجه سقيم ، لاينفع علماً ولا يفيد فهماً .

على أن الروح التى نقدت بها هذه الكتب فى هذا الكتاب ، هى الروح التى أكبرت بها هؤلاء الأساتذة الأجلاء على معاناة التأليف ومعاناة النشر ، فإن فضلهم وصبرهم وعلمهم أجل من أن تنقص منه هذه النقدات أو تؤثر فيه هذه الصفحات .

وما دام القصد جميلا ، والغرض نبيلا ، فإنى سعيد بأن أهدي هذا الكتاب إلى حضرات الأساتذة أصحاب الكتب المنقودة فهو منهم وإليهم .

وبالله التوفيق ؟

محمد عبد الغنى حسن

القاهرة { ربيع الأول سنة ١٣٦٩
{ يناير سنة ١٩٥٠

بين الأدب والنقد

تاريخ النقائض فى الشعر العربى (*)

قد يكون الأستاذ أحمد الشايب على كثير من الحق حين يقول إن فحول الأمويين امتازوا فى تمثيل فن النقائض تمثيلا واضحاً . ولكنه ليس على الحق حينما يقول إن الناس خيل إليهم أن الأمويين هم مبتدعو هذا الفن وهم أربابه الأولون .

فإن الناس لم يخيل إليهم ذلك ولم يقولوه ، ولكن الناس يعلمون حق العلم أن الشعر الجاهلى كان فيه مفاخرة ومنافرة وهجاء ، وأن هذه كلها معرض فسيح لكى ينقض القائل على القائل ما قال . والناس يعلمون فوق ذلك أن نقائض العصر الأموى هى مظهر كامل للنقائض ، وأنها لم تكن إلا الغاية التى بلغها هجاء الجاهلية يوم أن كان الهجاء يبدأ بين الزجل والرجل أو بين القبيلة والقبيلة ، فيرده الرادويذكره المنكر على أبسط صورة من صور المناقضة .

فالأستاذ الشايب حين يلبس ثوب الدفاع عن قضية النقائض فى العصر الجاهلى إنما يدافع عن قضية رابحة لا تحتاج إلى دفاع ، لأنه لا محل فيها للخصام والنزاع .

أما تتبع نقائض العصر الأموى وردها إلى مكانها الأول فى الجاهلية ودراسة خصائصها فيما بين ذلك فعمل نرحب به من المؤلف الفاضل لجدته من ناحية ، ولمقدرة الأستاذ على معالجته من ناحية أخرى . ولو وقف البحث عند نقائض الأمويين لهان الأمر ، فمناقضات جرير والفرزدق والأخطل — وهم فحول الأمويين — مجموعة فى كتابين أو ثلاثة . فليس عسيراً أن يستدل عليها ويرجع إليها . . ولكن مناقضات

(*) تأليف الأستاذ أحمد الشايب . القاهرة سنة ١٩٤٦.

العصر الجاهلى مبعثرة فى كثير من كتب التاريخ والأدب ، وليس سهلا أن تقع عليها العيون أو تدركها فى مظانها الظنون . ومن هنا كان كتاب الأستاذ الشايب عملا بدا فيه من الجهد المبذول والسعى الموصول ما تشكر معه النتيجة وتحمد فيه الخاتمة .

وقد لون العصر الأموى الشعر العربى بألوان قوية فى السياسة ، والمناقضة ، والغزل ، حتى أصبح بهن متميزاً . وهى لوحة لم تجتمع لعصر من عصور هذه الأمة . فكانت تلك الألوان خليقة بالدرس جديرة بالبحث.

ولقد لفتت هذه اللوحة الأستاذ الشايب فألقى بين عينيه العزم على دراستها . وأخرج فى الشعر السياسى كتابه وهو قيم فى موضوعه ، ثم أخرج اليوم كتابه فى النقائض ، وترك الغزل الأموى لأحد طلابه فى الجامعة يدرسه تحت إشرافه .

ولا أدرى بالطبع لماذا آثر الأستاذ الشايب النقائض على الغزل ، وهو بالطبع حر فيما يختار من فنون الشعر ، ولكننى لو كنته — أو كنت منه — ما رضيت أن أعنى النفس بشعر فيه من سلاطة اللسان وصناعة الهجاء مالا تود العين أن تقع عليه ولا تحب الأذن أن تسمعه . ولكن ليس ذنب الناقد حين يفتش عن العيوب ويبحث عن الذنوب بأكبر من ذنب « الفنان » حين ينقل صورة من الحياة بخيرها وشرها . فلا يقول الناس له : لماذا نقلت الشر ؟ فلا عتب إذن على دراسة النقائض ، لأنها تصور فناً وتوضح لوناً . وتدرس عداوات قامت على أسباب بين التفاهة والجد . وتدرس غارات وأياماً فى الجاهلية ، وعوامل وبواعث فى عصر بنى أمية .

والمؤلف نفسه يعترف بان نقائض العصر الأموى انحطت إلى درجة الإسفاف الخلقى . وما كان أشق المهمة عليه وهو يستشهد بالأبيات من الشعر فينقط مواطن الفحش فيبدو الشعر شيئاً عجيباً : لاهو بالكامل فيظهر على عيبه ، ولا هو بالمحذوف كله فيراح النظر والسمع والقلب من ريبه .

ولكن الأستاذ لم يعلل لنا إفحاش النقائض فى عصر بنى أمية ، وهو عصر تأدب الناس فيه بأدب الإسلام ، ولم يعلل لنا رعاية شعراء الجاهلية للحرمات وبعدهم عن ذكر العورات ، وهو عصر لم يظله دستور القرآن ولا مبادىء الإيمان[1].

ودراسة النقائض منذ نشأتها فى الجاهلية إلى اكتمالها فى عصر بنى أمية ليست عملا سهلا أو مطلباً هيناً . فإن متابعة النصوص الجاهلية المبعثرة ودراستها واستخراج الخصائص منها ، وتتبع الأيام بين عدنان وقحطان من جهة ، وفى كل من البيتين الكبيرين من جهة أخرى ، ودراسة الأنساب العربية وصلتها بالعصبيات القبلية ، ودراسة الحياة الاجتماعية ، كل أولئك يحتاج إلى معاناة ومراجعة ومعاودة ، وتيقظ للأحداث وتنبه للميزات ، وملازمة للفكرة حتى تبقى سلسلة البحث موصولة غير مقطوعة ، وتلك صفات يشهد الكتاب على أن مؤلفه لايحتاج إلى صفة الواصف ومعرفة العارف .

ولقد أنصف الأستاذ الشايب النصفة كلها حين جعل فترة المخضرمين عصراً مستقلا من عصور النقائض . والحق أنها كانت — كما قال فى صفحة ١١٦ — امتداداً للنقائض الجاهلية من حيث أصولها الفنية . ولكنه لم يغفل مع ذلك ملاحظة ما أصابها من التغيير من حيث الموضوع والمعانى

(١) راجع صفحتى ١١٢ و ٣٦٠

الإسلامية الجديدة ، والأساليب التى لاحظ هو اضطرابها ، والغاية التى كانت فى سبيل الإسلام . ولقد وفى الأستاذ تلك الفترة من تاريخ العرب ، فتتبع النقائض الإسلامية الأولى منذ نشأتها فى ظل الغزوات . وهنا عرض بعض ماقاله عبد الله بن الزبعرى وما ناقضه به حسان بن ثابت . والحق أن حسان كان واقفاً بالمرصاد لكل شاعر من شعراء الشرك ، فقد ناقض كعب ابن الأشرف اليهودى ، وناقض أبا سفيان ، وناقض ابن أبى وهب المخزومى ، وغيرهم . على أن حسان لم يكن مناقضاً فى كثرة شعره ، فقد كان بادئاً فى بعض المواقف وشعراء الشرك هم الذين يناقضونه .

أما إشارة المؤلف الفاضل إلى أساليب المناقضة فى القرآن ، فهى على إيجازها توجيه لمن يريدون التوسع فى بحث هذا الموضوع ، وماكنت أرجو أن يسمى أسلوب الجدل فى القرآن «مناقضة» حتى لايظن ظان ــ ساء نية أم صح ــ أن نقائض العصر الإسلامى والأموى هى أثر من آثار الجدل فى القرآن[1] .

بقى أن أقول : إن كتاب « تاريخ النقائض فى الشعر العربى » لم يكتف أن يكون بحثاً فى النقائض ونشأتها ، ولكنه جمع إلى ذلك ديواناً حافلا من أشعار المناقضات فى العصور الثلاثة التى تناولها الأستاذ المؤلف .

وإذا كان حظ الشعراء سيئاً حين تظلم الأيام أقدارهم وتضعهم فى غير مواضعهم فليس حتما أن تظلم أشعارهم كذلك ، فتروى محرفة أو مشوهة أو مبتورة أو مكسورة . كأن همَّ الكاتب حين يكتب أن ينقل الشعر حيثما اتفق . . . وأنا لا أعرف عن الأستاذ الشايب أنه يعنى بتضخيم الكتاب بالشعر أكثر مما يعنى بتصحيحه وتنقيحه .

---

(١) ١٢١ ، ١٢٣

ولقد مضى الزمن الذى كان فيه نشر الكتب فى أيدى الجاهلين الطامعين فى الربح من أخف الطرق مؤونة . ولا أدرى والله أألوم الأستاذ الشايب أم ألوم الناشر حين ازدحم هذا الكتاب الجليل بأخطاء ما كان ينبغى لها أن تكون .

وإذا جاز ذلك فى قصة أو مقال عابر أو فى لغو الكلام الذى نقرؤه هذه الأيام ، فهل يجوز فى كتاب جامعى وبحث رفيع أدبى سيظل بنثره وشعره مرجعاً للأديب يستشهد منه بالبيت والأبيات ، ويرجع إليه عند اختلاف الروايات ؟ ، ففى صفحة ٢٥ هذا البيت :

يسأله الصبر من غسان إذ حضروا
كيف قراك الغلـــة الجشر

والشطر الثانى ناقص وتكملته « والحزن كيف قراك الغلة الجشر » .

والصبر والحزن : قبيلتان . وفى ص ٤٢ هذا البيت لامرىء القيس :

يحملنا والأسل النواهلا مستثفرات بالحصى جوافلا

وصوابه « يحملننا » بنونين نون الإناث وضمير « نا » . ونون الإناث تعود على الخيل . الضوامر فى البيت قبله . وفى ص ٦٣ من شعر امرىء القيس :

فأيقظننا يأكلن فينا عفرا نطعمها قداً ومحروث الخمال

وصوابه « فايظننا » أى أقمن وقت القيظ . وفى ص ٦٩ من شعر حسان :

أو تدع فى الأوس دعوة هربا

وصوابه « أو تَدْعُ » من الفعل دعا وهو مجزوم هنا بحذف حرف العلة . وبعد ذلك بثلاثة أبيات :

نقتلهم والسيوف تأخذهم أخذاً عنيفاً وأنتم كشف

وضبط الفعل « نقتّلهم » بالتشديد وإن أفاد المبالغة يكسر البيت ، لأن القصيدة من بحر المنسرح ووزنه : « مستفعلن مفعولات مستفعلن » والصواب « نقتُلهم » بغير تشديد . وفى ص ١٠٦ :

ساق الرفيديات من جَوشٍ ومن عظم
وماش من رهط ربعى وحجّار

وصوابه « ساق الرفيدات » لا الرفيديات لئلا ينكسر البيت من جهة ، ويغير اسم القبيلة من جهة أخرى . وقد ورد اللفظ صحيحاً فى الهامش . وفى ص ١٣ من شعر يزيد بن الطثرية :

علىّ هدايا البُدن إن ألاقها وإن لم يكن إلا فُديك يسوقها

وفى الشطر الأول نقص وكماله : « علىّ هدايا البدن إن لم ألاقها » وبعد ذلك هذا البيت :

يحصنها منى فديك سفاهة
وقد ذهبت فيها الكياسُ وحوقها

و « الكياس » خطأ ، وصوابه « الكباس » بضم الكاف وبالباء التحتية الموحدة . وبعده هذا البيت :

تذيقونها شيئاً من النار كلما رأت من بنى كعب غلاماً يرقها

وكلمة « يرقها » من أخطاء الطبع ، وصوابها « يروقها » أى يعجبها . وفى ص ٢٠ من شعر أميمة صاحبة عبد الله بن الدمينة :

فلو أن قولا يكلم الجسم قد بدا بجمس من قول الوشاة كلوم

وصواب الشطر الثانى « بجسمى من قول الوشاة كلوم » وهو من أخطاء الطبع . وفى ص ١٤٧ من أرجوزة لكعب بن مالك :

قد علمت خيبر أنى كعب مفرج الغمّى جرىء صلب
إذا شبت الحرب تلتها الحرب معى حسام كالعقيق عضب

وصواب البيت الثانى « إن شبت الحرب تلتها الحرب » فإن البيت مكسور مع إذا الشرطية . وفى ص ١٥٠ من شعر عباس بن مرداس:

إنى والسوابح يوم جمع وما يتلو الرسول من الكتاب

وصوابه : « وإنى والسوابح يوم جمع »

ولن أمضى فى سبيل الحصر ، فهى طريق قد تطول جد الطول بناقد الكتاب العربى فى جملته . وسيصبر الشعر العربى قليلا كما صبر كثيراً . حتى يتيح له الله من يقيم وزنه رواية وضبطاً وتصحيحاً وتقديراً . ولعل الجامعة فاعلة ذلك إن شاء الله فيما يخرجه أساتذتها من كتب .

الفن ومذاهبه فى النثر العربى (*)

قصة النثر العربى وتطوره هى قصة ميراث قديم أسلمه القدماء إلى المحدثين ، فتقلبت عليه فى خلال العصور أمور مما يتقلب على كل ميراث أسلمه صاحبوه . ولم يكن جائزاً فى العقل أن يبقى هذا الميراث على حاله ، وقد ألقى به فى وسط تيارات من ثقافات جديدة وبيئات جديدة .

ولم يقصد مؤلف الكتاب أن يتناول النثر العربى من حيث موضوعاته التى يعالجها من خطب وأمثال ورسائل وتاريخ وفلسفة وقصص وتأليف ، ولكنه تناوله من حيث هو فن وصناعة ، وتتبعه منذ كان فى البادية معبراً عن رغبات أهلها وحاجاتهم وضرورات حياتهم ، إلى أن خرج من الصحراء ليستقبل حياة جديدة ، بدأت تتحضر نوعاً من الحضارة ، ثم أخذت تتعرض لألوان من الترف ، ثم أخذت تتعقد شيئاً فشيئاً . فلم يقف النثر العربى جامداً إزاء هذه التغيرات والانتقالات ، ولكنه استجاب لها وطاوعها وتلون بألوانها التى لم يكن له مفر من أن يصطبغ بها .

ولقد قامت صناعة النثر العربى فى خلال خمسة عشر قرناً من تاريخ هذه الأمة العربية على ثلاثة مذاهب من الفن لم يجد المؤلف لها رابعا . . وهى مذاهب وضع المؤلف لها أسماءها وحدد لها حدودها وساق الأمثال عليها ، حتى ليقنعك معه آخر الأمر بما ذهب إليه من هذه المذاهب ، ثم لا تجد نفسك مستطيعا أن تخالف عن أصول مذاهبه ، لأن الطريقة التى انتهجها هى خير مايسلكه الباحث حين يبحث ، ومؤرخ الأدب حين يؤرخ .

والمذاهب التى وضعها المؤلف للنثر العربى هى الصنعة ، والتصنيع ،

(*) تأليف الدكتور شوقى ضيف . القاهرة سنة ١٩٤٦ .

والتصنع . وهى أسماء قد تبدو فيها الغرابة أول الأمر ، لأن فيها غرابة الجديد ، ولأن اتحادها فى أصل الاشتقاق واختلاف كل منها فى مسماه قد يضيف إلى هذه الغرابة شيئاً ، ولكنها تسمية على كل حال فيها كثير من التوفيق ومن التأنق الذى يبدو فى أسلوب المؤلف ، وفيها فوق ذلك كثير من الجهد الذى بذله بين أسفار من الأدب والتاريخ واللغة والتراجم.

ومذاهب النثر التى فسر بها المؤلف صناعته هى مذاهب الشعر التى فسرها فى كتابه الأول : « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » فقد قام النثر العربى أول الأمر على صورة فنية لا تأنق فيها ولا تعقيد ، حتى انتهت إلى عبد الحميد الكاتب فى العصر الأموى وإلى ابن المقفع وسهل بن هرون والجاحظ وأضرابهم فى العصر العباسى ، فظلت على صورتها الفنية الأولى بعيدة من التأنق ، وإن كانت شاركت فى حضـــارة جديدة واتصلت بثقافات جديدة ، وهذه الصورة النثرية الفنية غير المتأنقة وغير المعقدة هى مذهب الصنعة الذى امتد من العصر الجاهلى إلى أواخر القرن الثالث.

وفى مطلع القرن الرابع الهجرى مهدت الحضارة العباسية لمذهب التصنيع . وهو مذهب يقوم على السجع والترصيع بطرائف البديع . ويرى المؤلف أن التصنيع فى حياة العباسيين الاجتماعية قد تسرب إلى الحياة الأدبية ، لأن الأدب تعبير عن العصر الذى يعيش فيه .

ومن أنصار هذا المذهب ابن العميد والصاحب بن عباد وأبو إسحاق الصابى والخوارزمى وبديع الزمان الهمذانى . والأخيران مهدا بمغالاتهما لمذهب التصنع الذى بدا واضحاً عند قابوس بن وشمكير ، وتمت صورته عند أبى العلاء المعرى . وهى صورة تقوم على التعقيد الشديد الذى أدى إلى الإبهام والغموض فى التعبير .

وذهب المؤلف يتعقب النثر العربى فى الأندلس ومصر ، ويتتبع نشأته وتطوره ومناهجه وبعض أساتذته ، فوجد أن هـــذه الأوطان الجديدة لم تستحدث شيئاً جديداً ، وأن الفن النثرى أو النثر الفنى بها كان على صورته فى أصول المذاهب الثلاثة ، وأن هـذا التقليد لم يمنع من ظهور أدب قوى فى هذين الإقليمين ، ولـكنه كان أدباً محـدوداً بإطار المذاهب الشرقية الموضوعة .

هذا عرض سريع لفكرة « الفن ومذاهبه فى النثر العربى » . وهو عرض لايغنى عن قراءة الـكتاب شيئاً ، لأن الفكرة المركزة لا تهمنا بقدر ماتهمنا طريقة عرضها وسبيل معالجتها . وهى سبيل مهدها المؤلف وذلل شعابها حتى استوت مسالـكها ، فأصبح القارىء يمشى من كتابه فى جـدد يأمن معه العثار .

ومنهج التعليل شائع فى الـكتاب ، وهو تعليل لايبنيه المؤلف دائمـا على القطع واليقين ، حتى لا تكون أحكامه « عرفيـة » فى الأدب ، وما أثقل الأحكام العرفية فى كل ألوان الحياة . ! ولـكنه يبنيه على الاحتمال حين لايكون الدليل بين يديه قاطعاً .

فتراه يعلل لشدة التعقيد عند أبى العلاء المعرى باحتمالات ، أحدها فراغه الطويل الذى قضاه بعيدا عن الناس ، وربما كان لضيقه بالحياة وتبرمه بها أثر فى هذا التعقيد ، وربمـا كان فقد بصره جعله يطلب التفوق على معاصريه عن طريق تعقيد فنه تعقيدا لم يكن يستطيعه إلا صانع ماهر [١] وهذا التحليل والتعليل عند المؤلف يسوقنا إلى الحديث عن قدرته على

---

(١) الـكتاب المنقود ص ١٣٠

الموازنة الصحيحة بين عصر وعصر ، وكاتب وكاتب ، وبيئة وبيئة . وهى قدرة لاتتاح لكل ناقد لأنها تستلزم من الإحاطة بالتاريخ والتقاسيم الأرضية والظروف المحلية وإدراك الخصائص والفوارق قدرا كبيرا . وهو قدر هيأه للمؤلف اطلاع كثير على التاريخ الأدبى والسياسى للأمة العربية .

ومن هذه الموازنات الصحيحة موازنته بين عصر ملوك الطوائف فى الأندلس والعصر العباسى فى القرن الرابع الهجرى حين انقسمت الدولة العباسية إلى دويلات صغيرة ، فتعددت مراكز النشاط الأدبى تبعاً لذلك ، وهو تعدد مكن لنهضة أدبية رائعة ، فقد كانت المنافسة بين الأمراء باعثاً على تشجيعهم للأدباء والكتاب[١] .

أما قضية النثر الجاهلى فقد تلقاها المؤلف بشىء من الاحتراس ، لأنها كتبت فى عصر متأخر كثيراً عن العصر الجاهلى ، والمعقول أن يكون الرواة جمعوا بعض قطع من الخطب الجاهلية ، وخاصة تلك التى اعتمدت على السجع ، ثم زاد فيها العباسيون فيما بعد ، وخاصة (صاحب الأمالى) فإنه لا يصح الاستدلال بشىء مما رواه فى كتابه عن العصر الجاهلى وما كان فيه من نثر وخطابة »[٢] . وهذا كلام شبيه بكلام الدكتور طه حسين بك : « وكل ما يمكننا أن نستخلص من هذا النثر الذى يضاف إلى الجاهليين إنما هو شىء واحد ، وهو أن من الممكن أن يكون هذا النثر قد حاول قليلا أو كثيراً تقليد ما كان للعرب فى جاهليتهم من نثر ، فحفظ لنا صورة ما من هذا النثر الجاهلى دون أن أن يحفظ لنا نصاً من نصوصه »[٣] .

وفى الكتاب محاسن كثيرة فوق ما ذكرت ، وقد يطول بنا السبيل إلى

---

(١) الكتاب المنقود ص ١٦٦ (٢) الكتاب المنقود ص ١٢

(٣) فى الأدب الجاهلى . لطه حسين . ص ٣٧٢

بيان مواضعها فى موطن يقتضى الحكم على الكتاب إما للمؤلف وإما عليه . على أن فى الكتاب فوق ذلك بعض مآخذ تشفع لها حسنات غزار ، وهى مآخذ سأقسمها إلى أقسام ، تنظيما لمنهج النقد وهى (١) مآخذ ومراجعات عامة (٢) مآخذ فى اللغة والضبط والرواية (٣) مآخذ من حيث أسلوب الكتاب .

١ — المآخذ العامة

فى صفحات ٨١ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٨٩ — يذكر المؤلف أن الذوق المترف والتصنيع فى الحياة الاجتماعية العباسية سرى إلى حياتهم الأدبية ، كأنه يريد أن يقول إن التصنيع فى الكتابة الفنية هو أثر التصنيع فى الحياة ، وساق أمثلة من ترف القصور من عهد الرشيد إلى عهد الواثق ؛ ولكنه لم يعلل لنا لماذا لم يكن سهل بن هرون والجاحظ من أنصار مذهب التصنيع فى الكتابة مع أنهما عاشا فى عصر من الترف زمن الرشيد والمأمون ، حتى لقد طال العمر بالجاحظ إلى مابعد خلافة الواثق بربع قرن تقريباً ؟!

ص ٩٣ : يذكر المؤلف « أن ابن العميد » كان عارفا بعلم الحيل « الميكانيكا » ولهذا كان يحتال على كتابته بحيل كثيرة ، ولهذا كان يشفع فنه بكل ما يمكنه من حيل . وما دخل علم الحيل والميكانيكا بالاحتيال على التطريز فى الكتابة ! ولو أن ابن العميد كان مهندساً أو من أصحاب الريازة والطرز فى البناء والعمارة لجاز أن نقول إن كتابته تأثرت بهذا ؛ ولكنه لم يعد أن يكون مشغولا بالتصوير بارعاً فيه كما تحدث عنه مسكويه ، ولعل لهذه النزعة التصويرية أثراً فى فنه التصويرى فى الكتابة كما ذكر المؤلف بحق فى موطن آخر .

ص ٩٤ : يقول المؤلف عن ابن العميد إنه « دائما يتخذ لفظاً مرصعاً بالسجع » ولفظة « دائماً » هنا لا محل لها من الحق ولا وجه لها من الواقع ، فإن من يتتبع نثر ابن العميد لا يجده دائماً مرصعاً بالسجع . والحق أنه كان من أقل كتاب عصره التزاماً للمسجوع ، وأقربهم إلى المطبوع (١) .

وقد بلغ من قلة التزام ابن العميد للسجع أن قال ابن خفاجة : « من كتاب المحدثين من كان يستعمل السجع ولا يكاد يخل به ، وهو أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابي وأبو الفرج المعروف بالببغاء ، ومنهم من كان يتركه ويتجنبه وهو أبو الفضل محمد بن الحسين العميد ، وطريقة غير هؤلاء استعماله مرة ورفضه أخرى بحسب ما يوجد من السهولة والتيسير والإكراه والتكلف » (٢) . فقد عده ابن خفاجة فيمن تركوه وتجنبوه ، ولم يضعه مع طائفة المراوحين بين الإهمال والاستعمال .

ص ١٦٢ : ذكر المؤلف سبباً لبطء ظهور الفلسفة فى الأندلس « أن أهلها نفروا منها لما فيها من زندقة ، وأن ملوكهم كثيراً ما أمروا بإحراق كتب الفلسفة إذا وجدوها » . ولا يمكن أن يكون هذا وحده سبباً لبطء ظهور الفلسفة فى الأندلس وتأخرها عندهم إلى أواخر القرن الخامس الهجرى ، بل لابد هناك من علل أخرى قد يكون منها بعد الأندلس عن جداول التفكير اليونانى والفارسى التى انصبت إلى المشرق ، وقد يكون منها

---

(١) الوسيط للأستاذين الاسكندرى وعنانى ص ٢١٠ .

(٢) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع للأستاذ متز ج ١ ص ٣٩٨ نقلا عن ابن خفاجة فى مقدمة كتاب الخطب لابن نباتة ص ١٦ — هكذا ذكره متز فى كتابه ، وصحة الاسم : الخفاجى . واسمه الكامل أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجى والنص مأخوذ عن كتاب « سر الفصاحة » للخفاجى المطبوع بالرحمانية سنة ١٩٣٢ ، ص ١٦٧ . أما كتاب « خطب ابن نباتة » فقد طبع فى مطبعة بيروت سنة ١٣١١ هـ .

بعد الأندلس عن المذاهب العلوية التى ساعدت على ظهور الفلسفة فى وقت مناسب بالمشرق . فالأستاذ العقاد يقرر « أن انتشار المباحث الفلسفية لايستغرب على الخصوص فى عصر ابن سينا وفيما وراء النهر وخراسان ، لأن الدعوة العلوية كانت على أقواها فى تلك الأطراف النائية »[١] . وقد يكون من العلل أن الأندلسيين أرادوا أن ينافسوا دولة العرب الفارسية فى بغداد ، وكان فى نفوسهم حفيظة من الأجانب الذين أحلوا الروح الفارسى محل الروح العربى فى كل مظهر من مظاهر الحياة العقلية والاجتماعية ، لهذا أراد حكام الأندلس من العرب وخاصة بنى أمية أن يكون ملكهم هناك عربياً خالصاً ، وأن تكون ثقافتهم عربية إسلامية[٢] ، فلا شأن لها بثقافة الفرس ولا تراث اليونان .

ص ١٨٧ : ذكر المؤلف « أن مابقى من نثر ابن الصيرفى الكاتب الفاطمى لا يصوره تصويرا واضحاً » ، وكان يستطيع الحكم على نثره بما روى له فى صبح الأعشى جزء ٨ ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ومن رسالة طويلة له ، وهى نسخة السجل الذى كتبه لما توفى المستعلى بالله الفاطمى وتولى الخلافة ابنه الآمر بأحكام الله . وقد نشرت هذه الرسالة فى كتاب « الإشارة إلى من نال الوزارة »[٣] نقلا عن « حسن المحاضرة » للسيوطى .

على أن قصر الرسائل لم يمنع المؤلف من الحكم على طريقة أصحابها الفنية ، فقد حكم على طريقة عبد الحميد الكاتب من رسالة قصيرة له ص ٤٢

---

(١) ابن سينا للأستاذ عباس محمود العقاد ص ٧ ، ٨ ، ٩ (سلسلة اقرأ رقم ٤٦)

(٢) من محاضرات الأدب العربى فى الأندلس للدكتور أحمد ضيف . مطبعة العلوم ص ٤ .

(٣) طبع المعهد العلمى الفرنسى بتحقيق الأستاذ عبد الله مخلص ص ١٣ .

كما حكم على طريقة ابن الشخباء من بقية من بقايا رسائله ص ١٨٩ .

ص ١٨٠ : ذكر المؤلف « أننا لانجد لمصر على عهد الإخشيديين كاتبا مشهورا يمكن أن نقرنه إلى إسحق بن نصير » ؛ وكأنه بهذا أغفل من قائمة الكتاب المصريين إبراهيم بن عبد الله النجيرمى، الذى كان رأس الكتاب فى عهد الإخشيد ، وقد قيل فيه إنه كان عالماً بوجوه الكتابة [١] . وذكر السيوطى [٢] نقلا عن ياقوت أن أبا الحسين المهلبى وجنادة اللغوى وجماعة بمصر أخذوا عنه [٣] . وإذا كان النجيرمى بصرياً بأصله فإنه لا يقل مصرية عن إسحق بن نصير الذى قدم إلى مصر من بغداد للعمل فى ديوان الرسائل .

ص ٨٦ : لاحظ المؤلف « أن أهم الكتاب الذين نموا السجع فى القرنين الثانى والثالث كانوا من الأجانب — أى من غير العرب — وعلى رأسهم . . . أسرة بنى ثوابة المسيحية » وقد حاولت أن أرد أسرة بنى ثوابة إلى سنخها الأجنبى غير العربى فما هدتنى مصادرى التى تحت يدى . ولعل شبهة المؤلف أنها مسيحية ، وهنا يحق لنا أن نسأله : متى كانت المسيحية مانعة من العربية ؟

٢ — مآخذ اللغة والضبط والرواية

فى صفحة ١٨٧ : يقول المؤلف نقلا عن ياقوت : « إن لابن الصيرفى رسائل تقع فى أربع مجلدات » والذى ذكره ياقوت أن رسائله تزيد على أربع مجلدات [٤] .

---

(١) المغرب فى حلى المغرب ج ٤ ص ١٨ . (٢) بغية الوعاة ص ١٨١ .
(٣) معجم الأدباء طبعة الدكتور فريد رفاعى ج ١ ص ١٩٨ .
(٤) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٨١ .

ن ص ١٨٤ : ذكر المؤلف أن الوزير يعقوب بن كلس الفاطمى خلف بعد موته من المصوغات ما قيمته خمسمائة ألف دينار . والصحيح أن ذلك قيمة ماخلفه من البز وهو الثياب أو السلاح [١] .

ص ١٦٨ : حاول المؤلف أن يشرح رسالة ابن زيدون الجدية ، وأن يرد الأمثال فيها إلى أصولها من الأمثال العربية القديمة والشعر الجارى مجرى المثل ، ولكنه رد بعض الأمثال وترك بعضها ، ولو أكمل عمله لكان أتم للقصد وأوفى بالغرض .

وقد ذكر فى قول ابن زيدون : « والحين قد يسبق جهد الحريص » أنه مثل قديم . ولم يرد هذا « فى مجمع الأمثال للميدانى » والذى ورد فيه « الحرص قائد الحرمان » [٢] « والحريص محروم » [٣] . أما ما أورده ابن زيدون فهو نصف بيت للشاعر عـــدى بن زيد العبادى الجاهلى ، والبيت هو :

قد يدرك المبطىء من حظه والحين قد يسبق جهد الحريص [٤]

ولم ينسب المؤلف الشعر الذى أورده ابن زيدون فى الرسالة الجدية إلى أصحابه ، مع حرصه على التعليق على الرسالة فى هامش كتابه . وقد يكون من المفيد هنا أن نذكر مافاته . فالبيت الآتى :

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

---

(١) الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٣٢ .
(٢) مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٢٣ .
(٣) مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٤٠ .
(٤) المواهب الفتحية للشيخ حمزة فتح الله ج ٢ ص ١٨٤ .

هو من أبيات قالها عبد الله بن محمد بن أبي عيينة يعاتب ذا اليمينين . والبيت الثاني وهو :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم

من قصيدة لأبي تمام يمدح بها مالك بن طوق (١)

ص ١٦٩ : روى المؤلف العبارة التالية من رسالة ابن زيدون هكذا : « وما أراني إلا أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت » وفي العبارة نقص . وصحتها « وما أراني إلا لو أمرت . . . » بوضع لو بعد إلا ، لأن غرض ابن زيدون أن يعلق الجواب في آخر العبارات على شروط تعد من الكبائر .

ص ١٠١ : روى المؤلف عن الثعالبي طرفاً من رسالة أبي العباس الضبي هكذا : « قد أتاني كتاب شيخ الدولتين ، فكان في الحسن روضة حزَن ، بل جنة عدَن » . والصواب حزْن وعدْن بالسكون . أما روضة الحزن فهي الروضة في الأرض المرتفعة وهي أحسن من رياض الخفوض وهي الأرض المطمئنة . وقد وردت روضة الحزْن في معلقة الأعشى في قوله :

ما روضة من رياض الحزْن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل

يوما بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل (٢)

وفي القرآن الكريم « جنات عدْن » لا جنات عدَن . . . .

ص ١٠٦ : نقل المؤلف عن اليتيمة في ترجمة بديع الزمان قوله : « وأدر له خلاف الرزق » والصواب أخلاف الرزق . وفي الأساس مادة

---

(١) ديوان أبي تمام — المطبعة الأدبية بيروت ص ٢٤٣ .

(٢) شرح القصائد العشر للتبريزي — المطبعة السلفية ص ٢٧٦ .

« خلف » ، « ودرت لفلان أخلاف الدنيا » ، وهى فى الطبعة المصرية من اليتيمة « أحلاف » ، إلا أن الهمزة خفيفة المداد إلى درجة لا تبين .

ص ١٥٢ : من قول العماد الأصبهانى فى الحصكفى الكاتب : « له المذهب المُذهب ، والقول المهذب ، والفهم ، الشهم ، والفكر ، البكر » . وهاتان الفاصلتان بين لفظتى الفهم والشهم . والفكر والبكر لا محل لها . وصواب الترقيم هكذا : « والفهم الشهم ، والفكر البكر » لأن الشهم نعت للفهم ، والبكر نعت للفكر ، ولا يفصل بين النعت والمنعوت بفاصلة ، إلا إذا أراد المؤلف أن يبين عن موطن السجعة .

ص ٦٨ : يقول المؤلف « ليخيل إليه كأن » والصواب ليخيل إليه أن بغير كاف . وفى ص ١٩ « يمكن للعقل أن يتصور » ، والصواب يمكن العقل بغير لام . وفى ص ٥٢ « فى سبيل إفساح اللغة العربية » والصواب فسح ، لأن الفعل فسح ثلاثى متعد بنفسه ، فلا معنى لتعديته بالهمزة . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم)[1]

وفى ص ٣٧ « فيختارونه من القاموس اللغوى » والصواب المعجم اللغوى ، لأن القاموس علم على كتاب بعينه فى اللغة .

٣ ــ مآخذ الأسلوب

لقد ارتفع المؤلف بأسلوبه فى الكتاب إلى مرتبة تذكر القارىء بمذهب الصنعة السليمة الذى هو أنقى المذاهب الفنيـــة الثلاثة التى كانت موضوع الكتاب ، وليس غريباً من الدكتور شوقى ضيف ، وهو يدرس مذاهب الفن فى النثر العربى ويتعمق فى أصولها ، أن يتحرى لنفسه فى الكتابة

---

(١) سورة المجادلة آية ١١ .

أصفاها طريقة ، وأطبعها مذهباً ، وأبعدها من التكلف . إلا أنه يتكلف الأسماء أحياناً كأنما يُدل على قارئه بثروة لفظية . اسمعه وهو يستعمل لمعنى واحد هذه التعابير : الجمال الصوتى ، الترادف الصوتى ، التعادل الصوتى ، الموازنات الصوتية ، المعادلات الصوتية ، التوقيع الصوتى ، الإيقاع الصوتى التوازن الصوتى ، التقطيع الصوتى ، التلوين الصوتى ، التحاسين الصوتية ، وقد كثرت هذه التعابير فى عدد محدود من الصفحات .

أما التكرار فغالب على أسلوب الكاتب إلى حد يسىء معه القارىء الظن فى تقدير المؤلف لفهم قرائه . . . ! وقد علل هو للتكرار عند الجاحظ بأنه كان يملى على شخص أو أشخاص لمرضه ، فكيف يعلل للتكرار عند نفسه وقد أضفى الله عليه العافية ؟ ؟ !

فى الأدب المصرى[١]

هذا الكتاب ليس بحثاً فى الأدب المصرى ، ولا دراسة لهذا الأدب فى مختلف عصوره . ولكنه فكرة يدعو المؤلف إليها ويؤمن بها الإيمان كله ، ويدافع عنها فى حرارة وتحمس بالغين . وبجانب الفكرة منهج دراسى وضعه المؤلف للراغبين فى دراسة الأدب المصرى ، وخطة التزمها المؤلف فى دعوته إلى اعتناق فكرته والتزام منهجه .

والفكرة جديدة من حيث الإعلان عنها والدعوة لها والمجاهرة بها فى كتاب يطبع وينشر وينتظر من المقاومة ما يصادف الدعوات الجديدة والأفكار الناشئة . ولكنها قديمة من حيث خطورها على البال وحدوثها فى الذهن .

والفكرة التى يدور حولها الكتاب هى « أقليمية الأدب » . والأستاذ « أمين » يناصر هذه الفكرة ويرى أنها أقوم السبل لخلق أدب إقليمى متميز موسوم بسمة الاستقلال ، ومطبوع بطابع البيئة المحلية ، بدلا من هـــذا (الأدب العربى) المشترك الذى لا يميز إقليما من إقليم ولا بيئة من بيئة .

وظاهر الدعوة أن المؤلف يرى تقسيم البلاد العربية إلى دويلات ، وممالك سياسية ، وأن هذه الدويلات تجمعها وحدة اللغة العربية ، ولكن تفرق بينها عوامل شتى من البيئة المحلية . فليس من الحق — فى نظره — أن تغفل هذه العوامل البيئية ثم نحاول أن تجمع هذه الآداب العربية المختلفة البيئات فى إطار واحد هو « الأدب العربى » . والرأى عنده أن تظهر شخصيات البلاد العربية الآن فى آداب مستقلة بكل واحدة منها . فالأدب المصرى

(١) للأستاذ أمين الخولى . مطبعة الاعتماد . القاهرة .

والأدب الشامى والأدب العراقى والأدب الحجازى يجب أن يستقل كل واحد منها بالدراسة الخاصة والمميزات الخاصة والإقليمية الخاصة، ولا بأس بعد ذلك أن تندرج تحت الاسم العام . الأدب العربى .

ولا شك أن هذه الدعوة تلقى اعتراضاً من كثير ممن يؤمنون بالوحدة العربية ويدعون لها ، وممن يرون أن الأسلام واللغة العربية هما الرابطة التى يجب ألا تدانيها رابطة أخرى من وطن أو جنس أو إقليم ولقد لقيت هذه الدعوة بالفعل اعتراضاً سمعه المؤلف فيما يدور من نقاش حول دعوته؛ ولهذا هيأ قلمه لدفع الاعتراض فى كتابه . كما دفع كل مايمكن أن يطرأ من اعتراض أو يقوم من إنكار دعوته . وتلك براعة من الأستاذ أمين الخولى فهو لم يصدع بأمر دعوته إلا بعد أن ناقش وجادل وحادث، وعرف مواطن الأعتراض عليه . فقام يدعو وفى يمينه دعوته وفى شماله براهينه وحجته ، فقطع بذلك أوجه الاعتراض على المعترضين

والدعوة إلى فكرة الإقليمية فى الأدب دعوة شائكة ليس من اليسر تناولها من غير إثارة جدال عنيف ، وليس من السهولة المجاهرة بها من غير تعرض لسخط الساخطين الذين يرون فى العروبة والإسلام أصلا كبيراً تجتمع حوله الأصول الصغرى مع الدينونة لذلك الأصل والفناء فيه .

ولكن المؤلف كان بارعاً فى دعوته ، فهو يغضبك إذ ادعا ويعجبك إذا استدل ، ويرضيك إذا ناقش وخاصة حين يرد على من يخشون من دعوة الإقليمية أن تكتسح الدعوة العربية الكبرى . فهو هنا يفر من المناقشة بحجة أن البحث العلمى غير العواطف والميول، وأنه من الخير لدعاة الوحدة العربية أن يقوا روح الإقليمية فى نفوس الشعوب العربية حتى تكون

وحدتهم المرجوة مبنية على بنيان راسخ وأساس متين .

ونقد يعترض على المؤلف أن إنماء فكرة الإقليمية فى الأدب فيه توهين للفكرة العربية العامة ، وفيه قطع للصلات بين البلاد العربية التى يؤلف بينها هذا اللسان العربى وهذا الأدب العربى ، ولكن المؤلف أخذ لذلك حيطته، فهو يرى إنماء الإقليمية مع الاحتفاظ فى الوقت نفسه بالصلات الوثيقة بين البلاد العربية ، وخاصة بينها وبين الجزيرة العربية التى يجب أن تكون موضوعاً مشتركا للدرس من كل البلاد العربية فى منازلها وأوطانها السياسية المختلفة .

وهذا الاقتراح الأخير يبدو غير عملى، والسبيل إليه متقطعة والأسباب إليه غير مادة ؛ لأن المنهج الذى أعده المؤلف لدرس الجزيرة العربية منهج تنوء به العصبة أولو القوة وهو يحتاج إلى مال وجهد لا تسعفه ولا تعين عليه طبيعة الجزيرة العربية .

لا شك أن التعاون الأدبى بين الوحـــدات القوية الشخصية المستقلة الكيان الواضحة المتميزة التاريخ هو التعاون المثمر المجدى . فإذا ماظهرت الإقليمية فى مصر قوية واضحة الشعور بنفسها ، وظهرت الإقليمية فى العراق قوية واضحة كذلك ، وظهرت فى غيرهما من البلاد العربية قوية واضحة ، ظهرت البلاد العربية فى مجموعها قوية واضحة الشخصية ، لأنها تتكون من أفراد أقوياء الشخصية . وهذا هو دليل من أدلة الرأى عند المؤلف دعا إليه وكرره فى أكثر من صفحة .

فظهور الإقليمية فى مصر لا يقطع الصلة بينها وبين العراق مثلا ولكنه — على الضد من ذلك عند المؤلف — يحوج أهل البلدين إلى التعاون

والكشف عن صلات قديمة توثقت بين البلدين الكريمين حتى ولو كان ذلك قبل الإسلام .

ويظهر لنا أن المؤلف الفاضل ممن يدينون برأى غوستاف لوبون فى التكرار وترديد الفكرة مرات ومرات حتى تستقر فى الأذهان وتجد إلى القلوب سبيلا . والمؤلف هنا نفسى من طراز لبق ، فهو يدعو ويكرر الدعوة ، ويناقش ويكرر المناقشة ، ويرد ويكرر الرد حتى ليخيل إليك أن كل صفحة لاحقة من كتابه هى ترديد لصفحة سابقة . ولعله غالى فيه .

وجميل جداً أن يدع المؤلف تقديم كتابه إلى واحـــد من تلاميذه المعروفين بالنشاط الموفور والدأب فى سبيل العلم والدرس ، هو الأستاذ عبد الحميد يونس أحد أعضاء لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية .

* * *

وفى الكتاب بعض هفوات كقوله فى صفحة ٢٩ (وما محاولة العناية بالإقليمية اليوم إلا لوناً) . والصحيح لون بالرفع ، وهفوات أخرى من عجلة الطبع وسرعة التهيئة للنشر لا تخفى على القارىء الكريم .

الدراسة الأدبية [١]

كان اسم هذا الكتاب فى الأصل « النقد والدراسة الأدبية » . فحذف المؤلف كلمة النقد من عنوان الكتاب على اعتبار أن النقد جزء من الدراسة الأدبية .

وخيراً فعل المؤلف حين اتخذ العنوان الجديد لكتابه . فإن الأدب نقد وتاريخ أدبى ، ولا يكون الأديب أديباً — فى نظر الحق — حتى يستكمل عدته من النقد الذى يتذوق الكلام ، ومن تاريخ الأدب الذى يدرس العصور والأشخاص والآثار الأدبية على ضوء ما يحدث بين بعضها بعضاً من تفاعل .

فليس كتاب الأستاذ رئيف نقداً كله ، وليس تاريخ أدب كله ، ولكنه جمع بين الاثنين وتأليف بين الشقيقين ، وما النقد إلا أخ للتاريخ الأدبى ، ولن يكون الأديب مستوفياً الأداة مالم يجمع بين الأخوين فى نسب تربطه لحمة الأدب .

ولكن ميزان الأخوة اضطرب فى يد المؤلف . . . فاستوفى حين اكتال على النقد ، وأخسر حين كال تاريخ الأدب . . . بهذا كان حظ الدراسة النقدية فى الكتاب أوفى وأوفر من حظ أختها الأدبية . . . حتى كاد الكتاب كله يكون نقداً .

أفما كان من العدل فى القسم ، وتسمية الأشياء بمسمياتها الحقيقية أن يرجع المؤلف إلى العنوان القديم لكتابه ، فهو أدل على موضوعه وأنم على مادته .

ومنهج المؤلف فى قسم النقد منهج سليم مستقيم ، وفيه من حسن التقسيم

---

(١) للأستاذ رئيف الخورى ، دار المكشوف . بيروت

وسلامة التنظيم وتسلسل المنطق ما تتأكد به جدة البحث وعراقة الدرس .
أما قسم التاريخ الأدبى فكلام مبعثر لا تؤلف بينه غاية ولا ينتظمه هدف ولكنه نقلة من هنا ونقلة من هناك . ففيه سيرة لطرفة بن العبد شاعراً باكره الموت فى ريعانه . وفيه كلمة عن طريقة أبى تمام فى اصطناع البديع واستخدام المحسنات . وفيه موازنة بين قصيدتى المتنبى والبحترى فى وصف الأسد . وفيه لوحة عن أبى فراس فى سجنه والحمامة النائحة . . . وفيه كلمات أخر لانسب يؤلف بينهما ولا تنحدر من غمام واحد . . .

وعجيب أن تظهر شخصية المؤلف فى قسم النقد ، وأن تمحى فى قسم التاريخ الأدبى . ففى هذا القسم الأخير نرى المؤلف يستعين بنماذج كثيرة طويلة يجعلها تطبيقاً على أحكام أدبية مجملة . وهذه النماذج فى ذاتها دراسات فى تاريخ الأدب ، ولكنها ليست من قلم المؤلف ولا هى مما عاناه فكره وكد فيه عقله . وإنما هى لطائفة من الأدباء استلذ المؤلف موائدهم ، واستطاب ألوان طعامهم . . . وآثر السلامة فى النقل على المجاهدة بالعقل . . فنقل اثنتى عشرة صفحة من كتاب (الرؤوس) لمارون عبود ، ونقل مثلها فى العدد من كتاب (أدباء العرب) لبطرس البستانى . ونقل ست صفحات من كتاب (الإمتاع والمؤانسة) لأبى حيان التوحيدى . ونقل خمس صفحات من كتاب (محاولات فى فهم الأدب) للطفى حيدر . ونقل أربع صفات أو تزيد من كتاب (الفصول الأربعة) لعمر فاخورى . . . فماذا بقى بعد ذلك من الكتاب للمؤلف نفسه !

ولو أن المؤلف سمى كتابه (الدراسات الأدبية ونماذج لها من دراسات المؤلفين) لقلنا : ذلك مذهبه ، وتلك فى الدراسة طريقته ، ولالتمسنا له

العذر فى منهج أخذ به نفسه فى عنوان كتابه . ولكنه لم يسم كتابه هذا الاسم ، ولم يأخذ نفسه فى مقدمة كتابه بهذا المنهج الغريب . ومن هنا حق علينا أن نلومه وأن نسرف فى لومه ، فقدخرج شطرمن كتابه جمعا أكثر مما خرج تأليفاً .

ومعقول أن يوثق المؤلف أحكامه بآراء العلماء وأن يدعم قضاياه بأقوال الأدباء فى الجملة أو الجملتين ، والمقطع أو المقطعين . . ولكنه حين ينقل لنا فصولا برمتها من كتب الآخرين فإنه لم يصنع أكثرمن أن يكون وسيطاً موصلا ، لا أديباً متأصلا . .

على أن ذلك لا يطعن فى منزلة المؤلف ولا فى مزية المؤلَّف . فقسم النقد فى الكتاب حافل بموضوعات تنشهاها النفس وتجد فيها لذة ومتاعاً . ومبعث اللذة فى هذه الموضوعات هو طرافتها وتنوعها من ناحية ، وحسن الذوق فى عرضها من ناحية أخرى . وناهيك من كتاب يتناول الموضوعات الآتية : الألفاظ ، جوها ، موافقتها للمصر ، الاختيار بين الألفاظ المتشابهة معنى ، جودة التزويج بين الألفاظ ، الزخرف ، الغنى فى اللفظ ، طرق الأداء ، المعانى وموافقتها للمقام ، وضوحها ، تسلسلها ، المعانى بين الابتذال والتقليد والابتكار ، الشعر والنثر وأنواعهما . ويدخل تحت كل موضوع من هؤلاء دراسات أخر . فيدخل فى طرق الأداء التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والمبالغة والطباق . ويدخل فى الشعر الموشح والزجل والأراجيز والملاحم والشعر الغنائى والمسرحى .

ونحن هنا فى مصر ندخل دراسة الشعر وأنواعـــه وأبوابه ومعانيه وأخيلته وألفاظه فى قسم التاريخ الأدبى ، ولكن المؤلف أدخلها فى قسم

النقد . ولا يعنينا أن يكون للناس فيما يعشقون من التقسيم مذاهب ، ولكن الذى يعنينا أن تأخذ الأوضاع صحتها ، وأن تسلك الأمور فى سمتها وتدخل فى بابها . فالموازنات الشعرية أو النثرية هى بالنقد أشبه وإليه أقرب وقد أدخلها ابن الأثير فى كتابه (المثل السائر) وهو من كتب النقد لا من تاريخ الأدب . والموازنة بين قصيدتى المتنبى والبحترى فى وصف الأسد سلكها ابن الأثير فى كتابه مسلك النقد ، ولكن المؤلف ساقها من كتاب لطفى حيدر فى قسم التاريخ الأدبى ، وهى ليست منه فى شىء . وقد يقال إن فى هذا التقسيم الجديد شيئاً من التجديد الذى يصطنعه من لا يرون الأوائل شيئاً . . . ولكن ما بالنا حين ننكر القدماء فى بعض الأمر نتكىء عليهم فى كثير من الأمور ؟ والاتهام هنا واضح لا غموض فيه . فالمؤلف لم يجعل الموازنات من باب النقد إنكاراً لمذهب تقرر ومخالفة عن محاكاة القدماء ، ولكنه فى الوقت نفسه يصطنع أمثلة القدماء حين يتمثل للقاعدة بالبيت من الشعر أو الكلمة من النثر . فألفاظ (الجرشى) بمعنى النفس ، (والتكأكؤ) بمعنى التجمع (والافرنقاع) بمعنى التفرق ، التى ساقها المؤلف هى بعينها التى وردت فى كتب القدماء من علماء البلاغة .

والبيت المشهور .

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

هو بعينه المثال الذى أورده العلماء منذ بضع مئات من الأعوام . وتشبيه « أبى النجم » الشمس بالمرآة فى كف الأشل هو بعينه مثال القدماء فى حسن التشبيه .

ولو أن الاستشهاد جرى فى الكتاب كله على هذا النحو لكان ترديداً لكلام ملته الآذان وأخلقه الزمان . ولكن المؤلف أحسن وألطف حين ساق أمثلة من نثر الشيخ إبراهيم اليازجى ومن شعر شوقى ومن كلام جبران خليل جبران ومن لطائف إيليا أبى ماضى ومن طرائف إسماعيل باشا صبرى ومن آثار غيرهم من الأدباء .

والاستشهاد يحسن حين يؤيد القضية ويدعم الفكرة ، على شرط أن يكون من بليغ المقال . كما صنع المؤلف حين استشهد للتوكيد اللفظى بقول ابن الرومى :

ضلة ضلة لمن وعظته غير الشيب وهو غير منيب

وحين استشهد للطباق بقول أبى تمام :

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من التعب

ولكنه لم يوفق حين استشهد بشعر شاعر لم يذكر اسمه . وقد كان أمامه من شعر الفحول ما يتمثل به للربط بين الجمل ببل ولا .

والبيت المستشهد به هو :

فاز بالغايات طالبها لا كسول عاش منتظرا

وهو من ضعيف الكلام . وفيه كلمة (كسول) على أنها صفة للمذكر وهى صفة للأنثى . فيقال رجل كسل وكسلان ، وامرأة كسلة وكسلانة وكسول ، ومكسال .

والتمثيل فى النقد الأدبى لا يكتفى فيه بالمثال الواحد أو المثالين . فما بالك بالمؤلف حين يغفل المثال إغفالا ويهمله إهمالا فى موطن يتلهف فيه القارىء إلى المثال ويتطلع إلى السؤال ؟ فقد ذكر الأستاذ رئيف خورى أن أبا نواس

ممن أتيح لهم الابتكار فى موضوع الخمر ، ولكنه لم يسق مثالا واحداً قد كان يكلفه بعض العناء فى البحث ولكنه يريح قارئه ويطمئنه إلى أحكامه الأدبية ، ولم يسق من ابتكارات خليل مطران إلا قوله فى تمثال رمسيس المنحوت من المرمر الأحمر حين كان يقبله المصريون :

فبجلت تحت تاج الملك مدميها وقبلت دمها فى المرمر القانى

وما أكثر ابتكارات شاعر الأقطار العربيـــة لمن يتصفح (ديوان الخليل) .

* * *

والمؤلف شاعر حتى فى منثور عبارته . ويبدو ذلك فى أسلوب الكتاب كله . كما يبدو خاصة فى القطعة الأدبية الرائعة التى يخاطب بها شقائق النعمان[1] وفى القصيدة الفاتنة [2] التى عربها المؤلف فى شعر تنقل فيه من وزن إلى وزن . وله فوق طبيعة الشعر البادية على وجه تعبيره معرفة بالعروض والقوافى ، وعلى ذكر الشعر والشعراء نقول : إن باب الشعر الذى عالجه المؤلف قد وفق فيه إلى حد بعيد . فقد ذكر من مسائل الوزن والقافيـــة والموشحات والزجل والأرجوزة وأنواع الشعر ما لابد من معرفته للأديب . ولكنه ذكر « الدوبيت » فى الأشكال الشعرية القديمة ، والواقع أنه مما استحدث فى الأدب العربى من أثر اختلاط العرب بالفرس .

كما عاد هو نفسه فقرر ذلك فى هامش صفحة ٩٤ .

أما الوشاح صاحب الموشحة التى مطلعها :

ما للوله
من سكره لا يفيق

---

(١) ص ١٢٥ . (٢) ص ٩٠

فهو أبو بكر بن زهر [1] لا ابن زهير كما ورد فى ص ٨٨ . وقد ورد هذا الاسم محرفاً كما أورده المؤلف فى مقدمة ابن خلدون ص ٥٨٥ من الطبعة الثالثة فى المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٩٠٠ . والتصويب الذى ذكرته عن كتاب « نفح الطيب » للمقرى جزء ٤ — صفحة ١٩٧ من طبعة المطبعة الأزهرية المصرية ، وعن كتاب « أزهار الرياض فى أخبار عياض » طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ج ٢ صفحة ٢١٠ .

والأستاذ رئيف ، يتمنى على الشاعر العربى الحديث (لو أقام هيكل قصة ملحمية من أجزاء القصص العربية الكثيرة التى تصلح لهذا الغرض ، كقصة عنترة وغيرها ، وحشد لها أبطالا يمثلون ما شاء من أخلاق وقيم ، وافترض لهذه الأخلاق والقيم آلهة ميثولوجية تتقمصها وتدخل فى سير وقائع القصة) .

وعجب جداً أن تفرض آلهة ميثولوجية انقضى زمانها من بعيد لملحمة عربية . وإذا كانت الملحمة اليونانية قد أنزلت الآلهة من سماواتهم وأشركتهم مع البشر وأشركت البشر معهم فى إدارة المعارك وتدبير المعايش وتخطيط المسالك ، فذلك كان اعتقاد عصرهم وإيمان زمانهم . أما اليوم فما حاجتنا إلى إحياء آلهة أماتتهم ثلاثة الأديان ؟؟ على أن فكرة الآلهة عند اليونان غيرها عند عرب الجاهلية فى أيام عنترة وغيره من الأبطال . فقد كان آلهة اليونان يطيرون فى الجو ويغوصون فى البحر ويضربون فى الأودية . أما أوثان العرب فكانت قارة قاعدة تفد إليها الركبان ، ويقدم لها فى مكانها القربان . . .

* * *

(١) انظر كتاب « أزهار الرياض فى أخبار عياض » من مطبوعات بيت المغرب ج ٢ ص ٢١٠

أما لغة المؤلف فسليمة رفيعة ، يتخير الكلم الفصاح ويؤثرها على دارج الكلام ، حتى لقد كان ذلك طابع كتابه فى جملته . وأسلوبه يحمل معانيه فى رصانة لا تبهرجها ألفاظ . ولكن اللفظ والمعنى عنده على قدر . فما كان كتابه إنشاء أجوف ولا أفكارا جافة ، ولكنه فكرة وإنشاء ، ومعان وأداء . ومن هنا كان كتاب « الدراسة الأدبية » جملة من البحث العميق ، وقطعة من الأدب الرقيق .

وأشهد ما عثرت فى الكتاب على لفظة عامية ، إلا « لفظة » « أسياد » ويقصد المؤلف « سادة » جمع سيد . فهو يقول فى صفحة ٦٤ . « وكان أبو تمام من أسياد هذا الفن » ويقول فى صفحة ٩١ : « أسياد النظم » . وقد خطأها المرحوم اليازجى . فالأسياد جمع سيد بوزن عيد وهو الذئب ، أما السيد من السيادة فيجمع على سادة [1] .

أما رسم الحروف أو « الأملاء » فقد أهمله المؤلف من حسابه ، حتى شاعت فى الكتاب أغلاط الرسم شيوعا ما كان له أن يكون فى كتاب أدبى

ومن أخطاء الرسم فى هذا الكتاب « طال ظمأك ياوارد السراب » ص ٦٠ وصواب رسمها « ظمؤك » . و « تفاجئنا حين نقرأها » ص ٧٣ وصوابها « نقرؤها » ، وقد وقع مثله فى ص ١٧٩ سطر ١٨ . وفى ص ٢٠٥ « وعن ظمأها » وصوابها « ظمئها » . وفى ص ٢٠٦ « إنشاء الله » وهى من أقبح أخطاء الرسم الفاشية بين العوام ، وصوابها (إن شاء الله) بفصل حرف الشرط (إن) عن فعل الشرط (شاء) . ولا أدرى أعلى المؤلف يقع وزر ذلك أم على الأستاذ عمر فاخورى الذى نقل الفصل الأخير كله عن أحد كتبه . على أن ذلك ليس بمانع أن يحتل كتاب (الدراسة الأدبية) مكانه الكريم فى المكتبة العربية الحديثة .

---

(١) انظر مجلة الضياء و « لغة الجرائد » لإبراهيم اليازجى ص ٥١ ... الطبعة الأولى بمطبعة المعارف سنة ١٣١٩ هـ

مرحلة واجواء [١]

نحن فى هذه الحياة على سفر ، نطوى العمر أو يطوينا العمر فى مراحل ، وتنزلنا الأيام كل حين فى منازل . والشاعر لا يقف أمام هذه الرحلات صامتاً ؛ ولكنه يسجلها فى شعر موزون أو فى شعر منثور ، لأنه يجد فى ذلك التسجيل عزاء نفسه حين يتلفت إلى ماضيه القريب أو البعيد ، فيرى أمسا لا يعود وماضياً لا يرجع .

ومؤلف هذا الكتاب له كغيره من الوامقين ذكريات من الحب تعج بها ليالى سهد وساعات وجد وهو محب تأكل الغيرة قلبه ، فكل جارحة فيه تنطق بالغيرة المتأججة فى صدره . ولقد نطق شعره بذلك حيث يقول

غيران كل جوارحى غيرى رسمت شفاهى بسمة حيرى
غيران تلتهم الظنون دواخلى فتبينها عينى لها جهرا . . .

والمرأة عند الأستاذ توفيق هى كل شىء فى الحياة . وأنغام قيثارته لا تطرب إلا على حبها حاضرة ، وبكائها هاجرة . فهى النور فى عينه ، والخيال فى فكره ، والحقيقة فى وجوده ، والملموس فى شعوره . وهو يفديها بالفؤاد إذا سخطت ، والوجود كله إذا غضبت :

فداك الفؤاد فداك المنى فداك الوجود أيا غاضبة
وجهرى وما قد أسر وأخفى ونشوة ذى القبلة التائبة

ولقد تظلم الدنيا أمام صاحبنا المؤلف فلا تجلوها إلا ابتسامة من ثغر من يحب فيناجيها قائلا :

---

(١) للأستاذ توفيق اليازجى . من منشورات دار المكشوف . بيروت

ابسمى فالظلام يطفو على عيـــنى وفى خافق ظلال المنون
ابسمى عل غيهباً فى حياتى ينجلى عن غموضه المكنون

ولكن الوشاة يرجفون بباطلهم ويريبون بأقوالهم ، ويظنون فى هواه الظنون ، فلا يسكت عنهم ولكنه يرميهم « بمآثم الظنون » . فلا يكاد يخلص من عراكهم حتى يرى الدهر له متربصاً فينفث هذه الآهة المتحسرة :

أبنى على أنقاض أيامى ودهرى رابض لى

وفى قيثارة المؤلف استواء فى اللحن وانسجام فى النغم ؛ إلا أن التوقيع قد يخطئه أحياناً فينكسر البيت فى قصيدته كما ينكسر الوتر فى قيثارته حين تتحطم . . اسمعه وهو يقول :

فداك العيون وقد ملها السهد سقما مما يعانيه يا عاتبه

ولفظه « مما » زائدة فى الوزن . والوزن يستقيم بحذفها فيصبح البيت :

فداك العيون وقد ملها السهد سقما يعانيه يا عاتبه

وهناك قصيدة « مالها » صفحة ٤٤ ، فقد اختلط فيها الوزن على بحرين هما مجزوء الرجز ومجزوء الرمل المحذوف الذى تصيرفيه (فاعلاتن) إلى (فاعلن) . والفرق بعيد فى الوزن بين هـذه الشطرات « فى خدرها محتجبة » « أيامه ملتهبة » « أحلامه منتهبه » وهى من مجزوء الرجز . وبين « فى الهوى ما أغربه » « أى شىء عذبه » ، وهى من مجزوء الرمل .

ولقد ولد الشاعر أوزاناً جديدة من تفعيلات الشعر المعروفة ، فصنع قصيدة « شعراء » من شطرين : الأول من بحر الخفيف ووزنه « فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن » والثانى وزنه « فاعلن فاعلن فاعلن » . فجاءت قصيدة غريبة على الأذن ! وقد يكون ذلك مقبولا لولا اضطراب الوزن المولد فى يديه فجاء البيت الآتى على هذه الصورة :

أى فجر علا شفتيك عزائى فجـــرك الدائم

وهو وزن مختل لم أهتد إلى أصله بعد قوله فى القصيدة نفسها :

حلم تائه يضل طريقى عن عيونى خفى

« فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلن فاعلن »

والمؤلف ممن يجدون التساهل فى اللغة أمراً هيناً ومركباً سهلا ، وتلك سبيل تجرئ الضعاف على التطلع إلى مواطن الفحول . . . والذنب فى ذلك ذنب الذين جرؤوهم . ولعل الأستاذ ميخائيل نعيمة ملوم على ذلك أشد اللوم حين نشر ذلك فى « غربال » . ولكن مقدمة الأستاذ العقاد (للغربال) شفت نفوسنا مما تجد . . .

وأى تساهل أكثر من أن يقول الشاعر :

سكرة فى خفوق قلبى غشتها والصواب غشيتها

أو أن يقول :

« وطغت مادة الوجود عليه » بفتح الدال من كلمة مادة والصواب تشديدها .

أو أن يقول :

« هاله الأمس وهذا الغد الدامئ الجرح على مدنف » . بإثبات الضمة على لفظة الدامى ، وهى ثقيلة !

ولا يعتذرن المؤلف بأن الضرورة ألجأته والأوزان أحوجته ، فإنه فى شعره لم يبال بوزن ، وفى بنائه لم يبال بلغة ولا نحو . فعذرنا نحن إليه ، حين نطالبه بما يشق عليه .

فى عالم التربية والفكر

آراء وأحاديث[1]

فى التربية والتعليم

مؤلف هذا الكتاب ليس غريباً عن رجال التفكير والثقافة فى الشرق العربى عامة ، أو فى مصر خاصة ، وهو نفسه لا يعد نفسه غريباً على مصر إذا عالج مسألة من مسائل الفكر أو تناول قضية من قضايا التعليم فيها . فإن نظراته الصائبة فى التربية والتعليم لا تضيق فى حدود وطن واحد ، ولا تتضاءل فى مساحة بقعة واحدة ، ولكنها تمتد إلى ماوراء التخوم السياسية فتتسع لسوريا والعراق ومصر وغيرها من البلاد العربية .

وبهذا الاعتبار يمكن أن يفسر اهتمامه البليغ بأمور التربية والتعليم فى مصر ، ويدفع هو عن نفسه ما قد يرمى به من الكلام فى أمور لاتتصل بوطنه ، فيقول فى عزة عربية نسجلها له مع الفخر : (وأرجو ألا يعتبرنى أحد متطفلا على مصر بهذه الملاحظات ، فإنى عربى صميم ، أدين بدين العروبة بكل جوانحى ، وأهتم بمصر بقدر ما أهتم بسورية والعراق) وهذا دفاع بليغ يقطع الطريق على أمثال من يقولون :

إنما نسكر من أموالنا فسلوا الشرطى ما هذا الغضب !

لأن غضبة الأستاذ الجليل ساطع الحصرى ليست غضبة « الشرطى » ولكنها غضبة المُضرى التى يجب أن يحسب لها حساب . . .

ولهذا لا نظن أحداً من الناس فى مصر أو فى غير مصر يضيق صدره بآراء ساطع الحصرى فى التربية والتعليم ، لأنه مخلص فى إبدائها ، ولأنه

---

(١) للأستاذ ساطع الحصرى بك ، مطبعة الرسالة ، القاهرة

عربي قبل أن يكون مصرياً . والعروبة تقتضيه حقوقاً كثيرة ، وخاصة في هذه الأوقات التي نسمع فيها كثيراً عن الوحدة والاتحاد والتعاون واليقظة العربية والوعي القومي ، ولأنه هو نفسه قد أبان في كتابه نوازع اهتمامه بمصر (لأنها أصبحت القدوة المؤثرة على العالم العربي بأجمعه)

لا نظن أن أحداً من المفكرين والمثقفين والمربين في مصر يغضب لأن مفكراً عراقياً وسورياً نشر كتاباً نفيساً في التربية وفيه مقالات حول نظام التعليم في مصر . لأننا نرى الخبراء يستقدمون إلى بلادنا ، وتغدق عليهم الأموال ، وتفتح لهم الأبواب . ولكن ساطع الحصري زار مدارس مصر — قادما لا مستقدماً — في سنتي ١٩٢١ ، ١٩٣٦ ، وكشفت له الزيارة عن أمور رأى من الإخلاص للوطن العربي الأول أن لا يكتمها ، ورأى من الخير أن ينشرها .

ونحن نرى أن بعض « الزوار » قد ينشرون كلاماً له خبء أو يذيعون آراء لها خواف . ولكن الأستاذ ساطع واضح المقصد بيّن الغاية حسن النية . ونرجو أن تكون تلك حاله التي ينطق بها لسان المقال .

ليس هذا الكتاب كتاباً « فنياً » في أصول التدريس وطرق التعليم ، وليس كتاباً « مدرسياً » في « الدرس » وأجزائه ، « والمقدمة » وشروطها . « وملخص السبورة » ، « ووسائل الإيضاح » وما إليها من الموضوعات الجافة التي يحفظها (المعلم الجديد) ويضحك منها المعلم المتمرس أو يبتسم لها . ولو كان كتابه كذلك ما استحق أن نطيل الوقوف عنده ، وأن نعرضه على القراء عرضاً يحملهم على الاطلاع عليه والظفر به ، لأن فيه نظرات في التربية والتعليم جمعها المؤلف من هنا ومن هناك . ولا شك أن هذه

النظرات وليدة تجارب بلاها المؤلف بنفسه ، وهداه إليها اطلاع وسيع ، وبحث عميق ، ومتابعة لكل جديد من الرأى فى آفاق التربية والتعليم .

والقسم الأول من الكتاب فيه مشاهدات وملاحظات فى فن التربية والتعليم . وهذا القسم يجمع إلى صحة الفكرة التربيبية طرافة الأسلوب وحسن العرض ، والخلوص من المثال أو المشاهدة إلى القاعدة التى يقررها. ولهذا لا تحس وأنت تقرؤه الجفاف الذى يصادفه من يقرأ كتب التربية البحت . و « الطفل المعاكس » « وإثبات الذات » « والتربيـــة بالثقة » « والحرية » وغيرها لها نصيب فى هذا القسم من الكتاب .

أما القسم الثانى فهو محاضرات ومقالات فى التربية والتعليم أُلقى بعضها فى نادى التضامن وبعضها فى نادى المعلمين ببغداد . ويمتاز هذا القسم من سابقه بالدراسة الفنيـة وعرض النظريات التربيبية عَرْض المربى الفنى لا عرْض المشاهد المتنقل كما فى القسم الأول .

وفى هذا القسم فصل ممتع عن التربيه الاجتماعية . وقد نجح المؤلف فى محاولة رد تربيتنا الاجتماعية أو بالأجدر مشاكلنا الاجتماعية فى الشرق العربى إلى تغليب الأثرة Egoisme على الإيثار Altruisme . وإلى أننا لم نتعود التفكير فى غيرنا اجتماعياً كما أننا لم نتعود العمل مع غيرنا عملا معشرياً Collectif .

وهذا كله كلام جميـل ، وفيه كثير من الحق وكثير من الصدق ، فإن ذلك كله ينقصنا . ولكن ينقصنا شىء آخر لم يشر إليـه الأستاذ ساطع ؛ ولكن أوضحه البروفسور كامبـا نياك الأستاذ بجامعة ليفربول فى كتابه النفيس : Education in its Relation to the Common Purposes of Humanity. المطبوع فى انجلترا سنة ١٩٢٥ .

يقول هذا الأستاذ الإنجليزى فى كتابه ص ٣٣ (إذا شاء المواطن أن يتمتع بميزات ، فواجب عليه أن يقبل تلك المزايا بشروط . فما هى الشروط التى يمكن أن يتمتع بها الرجل بمزايا الجماعة ؟ إنها شروط يمكن التعبير عنها فى سهولة ويسر فى جملة واحدة : يجب أن يتعلم الرجل أن يفعل ما يطلب منه ، يجب أن يطيع قواعد الجماعة إذا أراد أن يحتفظ بعضويته فيها)

وهذا التوضيح يفسر لنا كثيراً مما يحدث فى مجتمعاتنا ومجامعنا الشرقية . فكثيرون منا لا يفعلون ما تطلبه قواعد الجماعة ومواضعاتها منهم ؛ كالذين أشار إليهم الأستاذ ساطع فى مقصورات أحد المسارح ببغداد حين علا صوتهم وضوضاؤهم ؛ فلما نبههم إلى خطئهم أجابه أحدهم : إننا أحرار لا حق لأحد أن يتدخل فى أمرنا .

لقد رد الأستاذ الحصرى هذا السلوك الشائن إلى أننا لم نتعود العمل مع غيرنا عملا « معشرياً » وذلك صحيح . وصحيح كذلك أن نرده إلى طبيعة العصيان والتمرد على قواعد الجماعة كما فسره الأستاذ كامبانياك .

أما الفصل الذى كتبه الأستاذ الحصرى عن « تيارات التربية والتعليم » فهو فصل معنى به مسهور عليه . وهو يشهد باطلاع المؤلف على اتجاهات التربية الحديثة ومراميها ، والعوامل التى أثرت فيها . والمراحل التى مرت بها . وهنا تظهر طريقة المؤلف فى حسن العرض العلمى عرضاً متسلسلا يدل على الفكر المتسق . ولقد أشار فى خلال هذا الفصل إلى وجوب تقوية علاقة الطلاب « بالطبيعة » التى طغت عليها حياة « المدن » . إلا أننا نأخذ على الأستاذ ساطع إيجاز الإشارة إلى هذا الموضوع الهام ، وكان المقام يتطلب منه إطالة واهتماماً أكثر . وللبروفسور كامبانياك فى كتابه المشار إليه سابقا

فصل رائع عنوانه « العودة إلى الطبيعة » كما أن الأستاذ « نيومان » عالج هذا الموضوع معالجة علمية فى كتابه القيم « فكرة الجامعة » Idea of a University ص ١٣٣ ، ١٤٣ .

ومن عبارات كامبانياك الرائعة فى ذلك الفصل قوله فى صفحة ٩٥ (يمكننا أن نلجأ إلى عالم الطبيعة مرات ومرات ، لأنعاشنا وتطهيرنا وتقويتنا) وقوله : (أن مشروعاً تربيبياً يوجه عقولنا وحواسنا إلى قوى الطبيعة ومختلف مجالبها ، لهو مشروع حكيم الخطة)

أما الفصل الذى عنوانه « تعليم التاريخ » فلنا عليه استدراك ، فالأستاذ ساطع يحتم أن نعيد النظر فى تاريخنا العربى بنزعة تربوية قومية ، وينادى بأن دروس التاريخ يجب أن ترمى إلى «التربية القومية» قبل كل شىء . وتلك دعوة طيبة تقابل من الأستاذ الحصرى بالقبول الحسن من كل البلاد العربية التى تنشد الوحدة فى عالم اتحدت فيه أمم مختلفة النزعات واللغات ، فكيف بأمم وحدت بينها اللغة والجنس والعادات ؟ إلا أن الهدف من تعليم التاريخ ليس تنمية القومية (قبل كل شىء) . فمن الغبن أن نغمط الأهداف الأخرى ونبخسها قدرها . فقد ينفعنا تعليم التاريخ على وجه صحيح فى إدراك صورة واضحة لمعنى « الخير » للجماعة وأعضائها ؛ وقد ينفعنا تعليم التاريخ العربى على وجه صحيح فى إيقاظنا من سبات عميق طال عليه الأمد . . وقد ينفعنا تعليم التاريخ العربى على وجه صحيح فى تجريد الدين من كل ما علق به من أوشاب القرون وغبار السنين .

وقد ينفعنا التاريخ فى العمل على تحسين حالتنا الصحية التى أصبحت مرضاً عضالا وداء قتالا . فلو اعتنى فى مدارسنا بتدريس تاريخ الأوبئة والحميات

والأمراض ، ولو اعتنى بدراسة تاريخ ما اتخذ من وسائل لمقاومة المرض وتحسين الصحة وإنشاء البلديات وكشف الجراثيم ، لاجتمع لأبنائنا ثقافة صحية تقوم إلى تربيتهم القومية .

وقد كان ذلك من أغراض تعليم التاريخ فى انجلترا بناء على الرسالة التى نشرتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٣٤ (مطبعة الحكومة الإنجليزية لندن — ص ٦٤) .

أما الفصل الممتع الذى كتبه الأستاذ ساطع حول تعليم اللاتينية واليونانية فهو يستحق عليه التهنئة . فقد عرض القضية عرضاً لا يدع فيها مقالا لقائل . وهو هنا يتكلم دائماً والدليل بين يديه والحجة بيمينه ، فيحملك على الاقتناع بكلامه . وقد أثار فى نفسى شهوة إلى قراءة « التحقيق البرلمانى الفرنسى » الذى يذكره أستاذنا وصديقنا محمد توحيد السلحدار .

بقى أن فى الكتاب نسباً يستعملها الأستاذ ساطع (كالفردانية) (والأنوية) نسبة إلى أنا . (والقبدرسية) نسبة إلى (قبل مدرسى) وهى طريفة فى هذا الكتاب ، وأطرف منها المصادر التى يستعملها . وهى صحيحة ولكنها لا تستعمل عندنا فى مصر « كالتمديد » « والترفيع » « والاقتياس » بدلا من المد والترقية والقياس التى نستعملها هنا .

وبعد فإن كتاب الأديب المربى الأستاذ ساطع الحصرى يعد محاولة ناجحة فى عرض الاتجاهات التربيبية عرضاً يرتاح إليه الأديب ، قبل أن يرتاح إليه المربى . وهو من هذه الناحية كان خليقاً بأن يقرأه الأدباء والمفكرون والمثقفون قبل أن يقرأه المربون والمعلمون .

وكفاه قيمة أنه — فيما نعلم — أول كتاب عربى غير مصرى يتناول مسائل التربية والتعليم فى مصر بصراحة وإخلاص يستحقان الشكر والإعجاب .

كتاب الوعى القومى [١]

البلاد العربية الآن فى سبيلها إلى التنبه والوعى الذى يسبق النهضات ويدلها على المهيع الواضح ، ويأخذ بيدها إلى الطريق الواجب أن يسلك . فإن المسالك متشعبة دائماً فى إبان هذه الأوقات ، ولا بد من أدلاء ماهرين من رجال الفكر الناضج والثقافة الصحيحة يقفون بجانب رجال السياسة والحكم فى البلاد العربية الصاحية من سباتها الطويل ، ليوجهوا البلاد وجهة صحيحة خشية أن تطغى عليها تيارات مختلفة فتصرفها عن سواء القصد واعتدال الجادة .

هؤلاء الأحرار (الوعاة) من رجال الفكر هم الذين نحتاج إليهم اليوم فيما نحن بسبيله من يقظة قومية . وإذا كان عددهم قليلا لا يتناسب مع خطورة القضية التى تواجهها البلاد العربية ، فقد ظهرت من قلائلهم (آثار واعية) تبشر بأن الوطن العربى بدأت فيه طلائع التفكير المنظم والدرس المتسق ، وتبشر كذلك بأن ضآلة العدد ليست بمانعة من جودة النوع . وتبشر كذلك بأن البلاد العربية ظهر فيها قوم لا يؤمنون بقيمة الأمشاج المختلطة من الأدب والشعر إيمانهم بالقيم العالية للعلم الصحيح الذى يعبر عنه الغربيون بكلمة Scierce ، لا العلم الذى كان يجعل من الفقيه عالماً ومن النحوى عالما ومن العروضى عالما .

ولقد ظهر فى المكتبة العربية ثلاثة كتب قيمة تتصل بموضوع الثقافة والتربية القومية وما إليها : الأول كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر »

---

(١) تأليف الدكتور قسطنطين زريق ببيروت .

للدكتور طه حسين . والثانى كتاب « آراء وأحاديث فى التربية والتعليم » للأستاذ ساطع الحصرى مستشار المعارف فى الجارة العربية الشقيقة سورية ، والثالث كتاب « الوعى القومى » للدكتور قسطنطين زريق أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية ببيروت .

أما الكتاب الأول فموضعى يختص بموضوع الثقافة فى مصر ، ولقد لقى فى حينه ما يستحقه من النقد ومكن الله لمؤلفه من الأمر ما يعينه على تحقيق برامجه الطويلة .

أما الكتاب الثانى فيتناول مسائل فى التربية والتعليم والقومية ، وكان من حظى أن أقدمه لقراء « الرسالة » من عهد قريب . أما الكتاب الثالث — الوعى القومى — فكان من حظه أن يقدمه إلى قراء الرسالة تقديماً موجزاً بليغاً أستاذنا وصديقنا توحيد بك السلحدار ، وكان له الفضل فى إذاعة بعض نسخ منه بين أصدقائه الذين يحبهم ويحبونه ، ويحب أن يناقشهم كثيراً فى مسائل تتعلق باليقظة القومية والنهضة الحقيقية لبلادنا .

وليست (الرسالة) بباخلة على مثل هذا الكتاب أن يطول الكلام فيه ، فإننا نعرف من أهداف صاحبها النبيلة ، واضطلاعه بحمل رسالة الفكر الصحيح فى الوطن العربى ما يطمعنا فى إطالة الكلام ، فإن قيمة مثل هذا الكتاب « التوجيهى » لا تعرف ما دام مطمورا فى رفوف المكاتب أو منحّى فى زوايا الخزائن ؛ وإنما تظهر ويعرف قدره متى ما نبّه إليه منبّه أو ذكّر به مُذكر . والذكرى تنفع المؤمنين .

* * *

يشترط الدكتور زريق لاستكمال النهضة القومية العربية ثلاث خطى

رئيسية : الأولى ، بناء الأساس الفكرى الذى تقوم عليه النهضة بدراسة الغايات والوسائل دراسة بعيدة عن الارتجال .

والثانية : تحويل هذه الدراسة المنظمة إلى عقيدة قومية تتجه بالأفراد إلى الأهداف الصحيحة .

والثالثة : تنظيم الأمة العربية وضبط نوازعها وإخضاع إرادتها لإرادة وحيدة منبعثة من عقيدة واحدة ، وتعنى هذه الخطوة العمل المنظم الصادر عن فكر منظم يدرّب عليه الرجال والنساء على السواء .

والدكتور زريق حين يدعونا إلى البحث فى غايات نهضتنا لا يحرم علينا دراسة نهضات الأمم الأخرى ودرس غاياتهـــا ، فإن مثل هذه الدراسات تكون كالقبس على شرط أن نكيفها لحياتنا الخاصة .

والعربى الواعى قومياً هو الذى يعرف من أى المنابع يفيض هذا الوعى ، وإلى أى الأهداف يتجه . أما التشدق بألفاظ اللغة والجنس وجلال التاريخ القديم من غير فهم حقيق لمعانيها فذلك نوع من الشعور الذى لم يرتفع إلى قمة الفكر ، ولم يكتسب مع الفكر نعمة الحياة .

والعربى الواعى يحس إحساس فهم وإدراك بعوامل الضعف فى الشخصية العربية الحاضرة ويواجه مشكلاتهـا مواجهة واقعية صريحة لا عوج فيها ولا التواء .

ولما كان الغرب بوصفه الحاضر عاملا فعالا مع شخصيتنا العربية الحاضرة ، ولا مناص لنا من تفاعل هـذين العاملين ، فقد وجب علينا أن نفهم الغرب حق فهمه وندرك كنهه حتى نحسن مواجهته ونأخذ له أهبته ويكون اتصالنا به على ضوء وبصر وعلم لا عن صدف طارئة . ومن الخطر

أن تأخذ البلاد العربية روعة وتعروها هزة بمظاهر الغرب الخلابة حتى ولو كان ذلك فى سرعة السيارات وعجيب صنع الأدوات .. فإن وراء ذلك نظاما اقتصاديا لا شك سيبقى فى جوهره النظام السائد فى المستقبل . والدكتور زريق يدعونا إلى إدراك هذا النظام الذى يمتاز بالتنظيم الدقيق الذى يؤلف بين أجزائه ، وأخذنا من محاسنه وتجنبنا عيوبه التى كانت تحت اختبار الغربيين .

والحق أن الدكتور زريق متأثر بهذا «التنظيم» حتى فى طريقة تأليفه .. فكتابه — كما يقول أحد المعجبين به — لا يعدو أن يكون مسائل متفرقة يعرفها الرجل الواعى منا ، وتخطر على باله حين يغشى مجتمعاً أو يركب سيارة أو يقرأ كتاباً أو يشاهد أحوالا .. ولكن الدكتور زريق جمع هذه المسائل « ونظمها » تنظيما جعل منها وحدة متماسكة الأطراف ، وأخرج منها كتابا لا تحس فيه تفككا أو تصيداً لفكرة أو اجتلابا لمعنى ولكنك تراه مترابطاً محكما متسلسلا .

وليس مثل هذا التنظيم فى الدرس سهل المأتاة على كل من حاوله . فكثيرون منا تضطرب الأفكار فى خواطرهم وتزدحم على نفوسهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يؤلفوا بينها ويصنفوها فى كتاب يفضى كل سطر منه إلى تاليه ، ويؤدى كل فصل منه إلى تابعه ، كما فى كتاب «الوعى القومى» .

ولم يجعل المؤلف مهمة الإيقاظ للوعى القومى حبيساً على رجال السياسة وأصحاب الحكم . بل كل فرد من أفراد الأمة يستطيع أن يساهم فى الإيقاظ مهما كان عمله ، ومهما كان مركزه ، وذلك جميل من المؤلف ، فإذا كان الأفراد جميعاً يحملون ألم سوء الأحوال ، ويشتركون فى احتمال المصائر

مهما كانت نتائجها فلم لا ينالون شرف المشاركة فى التنبيه على ما يعود عليهم بالفوائد وأجزل العوائد؟

فاشتراك أفراد الأمة فى الإيقاظ جائز بل واجب على شرط أن تنعدم الأثرة كما يردد الأستاذ ساطع الحصرى، وينعدم التمرد والعصيان على رأى البروفسور كامبانياك.

والدكتور زريق على أستاذيته الجليلة فى جامعة بيروت هو معلم من الطراز الأول، فهو لا يحاول فى كتابه أن يكون مبدع ألفاظ أو منشىء عبارات أو مخاطب عواطف ... ولكنه رجل اختمرت عنده فكرة نبيلة فقام يدعو إليها فى عبارة تتفق مع جلال فكرته. فلا ترى عنده مبالغة أو سرفاً فى القول أو حشداً للألفاظ، ولكنه مع ذلك قد عرض الفكرة عرضا بليغاً، لا يتزيد فى لفظة ولا يهول فى عبارة، ولكنه يلقى الكلام على ضوء من صدق الأحكام. وبعد النظر واتساع الثقافة وإدراك لحقائق التاريخ مع وزن لقيم الألفاظ التى يستعملها وقدر حقيق لها.

إلا أن أغلاطاً قليلة وقعت فى الكتاب نرجو من الكاتب الفاضل أن يتدارك أمثالها فى المرجو المنتظر من تأليفه. ومن هذه الأخطاء: ص ١١ «يبقى الأستاذ وأمثاله محقون» والصواب محقين، والواو التى بعد النفى والاستثناء فى قوله «وما من أحد يلمس الحياة العربية الحاضرة إلا ويشعر» لا لزوم لها والفصيح تركها، وقد كرر هذا الخطأ فى ص ٤٨ و ص ٧٩، والفعل عاقه يتعدى بغير همزة فلا يقال أعاقه ويعيقه ص ٤٩.

والآية التى أوردها المؤلف فى آخر مقدمة الطبعة الثانية ص ١٦ محرفة وصحتها: «فإن الذكرى تنفع المؤمنين» والمؤلف لم يشر إلى أنها آية، إلا أن وضعها على تلك الصورة قاطع على أنها اقتباس من القرآن الكريم.

وعلى الأستاذ سلام الله ورحمته

التعليم فى رأى القابسى

من علماء القرن الرابع

هذا الكتاب هو رسالة قدمها الأستاذ أحمد فؤاد الأهوانى لينال[1] درجة الدكتوراه من جامعة فؤاد الأول . وقد ظفر بالدرجة العلمية ، ولم يبق إلا أن يظفر كتابه بما يستحق من النقد بعد أن أصبح من حق القراء أن يقرءوه وأن يقولوا فيه كلاماً هو — على كل حال — دليل الحفاوة به وحسن القبول له .

وهذا الكتاب ينقسم قسمين : نص كتاب القابسى — من علماء القرن الرابع — فى تفصيل أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين ويقع فى ٧٧ صفحة من الكتاب . والقسم الآخر مناقشة لآراء القابسى وعرض لها وموازنة بينها وبين الحديث من آراء التربية والتعليم . ويقع هذا القسم فى ٢٤٠ صفحة من الكتاب .

وقد أحسن الدكتور الأهوانى فى نشر كتاب القابسى نفسه . فقد كان مخطوطاً فى المكتبة الأهلية بباريس . ويظهر أنه ليس منه نسخة أخرى فى مكتبات العالم المعروفة . فجهد أن تكون منه فى دار الكتب المصرية نسخة شمسية . وأفلح جهده . ولكنه لم يكتف بذلك . بل أخذ القابسى وقرأه طويلا وتابعه فى كل رأى يعرضه أو حكم يسوقه ورأى أن يقدم القابسى إلى قراء العربية فى حدود نصوصه ونص عبارته ، وأن يقدمه إليهم فى الوقت نفسه مشروحاً ومعروضاً عرضاً علمياً ومناقشاً فيما تعرّض له من الآراء والأحكام .

---

(١) للدكتور أحمد الأهوانى مدرس الفلسفة بكلية الآداب .

فخرج بذلك العمل كتاب ضخم يحمل كتابين ، ومجهود يتوزع مجهودين .

والحق أن نشر النص لم يحوج الدكتور إلى كبير من التعب أو العسر . فإن النموذج الخطى الذى نشره من هذا المخطوط يبدو جميل الخط واضح القراءة . فلم تكن هناك إلا صعوبات التحريف فى النسخ . وهى صعوبات ذلّل الدكتور بعضها وترك بعضها ، راضياً من ذلك الترك بأن يكتب فى الهامش هذه العبارة « كذا فى الأصل » .

وهذا الرضى من الناشر لا يعفيه من أن يتعرض قليلا للوم اللائمين ، فالدكتور محقق قبل أن يكون طابعاً أو ناشراً . ولو أنه أتعب نفسه قليلا فى الوقوف عند بعض الكلم المحرف لاستطاع أن يصل إلى شىء قريب من الأصل وليس الأصل كله . وقد فعل ذلك فى بعض الكلمات فكان موفقاً فى تصحيحه .

أما البحث الذى وقفه الدكتور على كتاب القابسى فذلك عمل اقتضاه تعباً وعسراً . وإن القارىء ليرى آثار الجهد فى كل صفحة من صفحات البحث . وما من المبالغة أن نقول فى كل عبارة .

والحق أن فى صديقنا الأهوانى صبراً على البحث ودأباً على التنقير حتى لأعرف أنه ينفق الساعات فى البحث عن كلمة .

ورب قائل يقول إن رسالة القابسى الصغيرة الحجم ما كانت تستحق هذا العناء الضخم من الدكتور الأهوانى ، وما كانت تستحق هذه المئات من الصفحات . . ! وقد يكون فى ذلك بعض الحق ! فإن فى هذا البحث الطويل مواطن معادة مكررة . ولم تكن هناك حاجة ملحة إلى التكرار

الذى يشعر به قارىء الكتاب حتى ليبين ذلك فى الصفحة الواحدة وبين بضعة من السطور .

ففى ص ٦٣ « وهم — الجرمان — أيضاً فقراء لأنهم كانوا يعيشون عيشة البداوة لذلك قبلوا مع السرور هذا المذهب الجديد — المسيحية — الذى يمجد الفقر والبساطة » وبعد أسطرين اثنين فى الصفحة نفسها « كيف وجدت المسيحية أرضاً خصبة بين الشعوب الجرمانية ؟ السر فى هذا يرجع إلى أن مبادىء المسيحية حققت آمالهم ووجدوا فيها الراحة الخلقية التى لم يعثروا عليها فى مكان آخر » .

وفى ص ٦٥ « ذلك أن الطالب فى الأزمنة القديمة كان يتلقى العلم على مدرسين مختلفين لا رابطة بينهم ، فهو يذهب إلى معلم اللغة . . . وإلى عازف القيثارة . . . وإلى معلم الخطابة » . وبعد بضعة أسطر — وبالضبط بعد خمسة أسطر — يقول :

« وكان التلميذ فى اليونان والرومان يتلقى علومه على مدرسين متباينين لا تجمعهم صلة . . فواحد يعلمه القراءة وآخر يقوم لسانه وثالث يلقنه الموسيقى » .

أليس فى هذا تكرار وإطالة للكلام . ثم ما الفرق بين « الأزمنة القديمة » « وأزمنة اليونان والرومان ؟ » أليست كلها من القديم . أم أن القدم هنا درجات بعضها خلف بعض ؟؟

ومن أمثلة الإطالة فى الكتاب التعرض لنظام التعليم عند اليونان والرومان بكلام طويل ، مع أن خلاصته فى صفحتى ٦٦ ، ٦٧ كانت تغنى الغناء كله .

والتعميم فى الأحكام فى مقام يقتضى الدقة العلمية التاريخية غير جائز إلا من العابرين فى علومهم غير الراسخين ، وما أظن الدكتور الأهوانى من هؤلاء ، فهو دقيق وهو أمين على الحقائق العلمية .

فكيف يجوز له أن يقول فى تعميم غريب « وبقيت جزيرة العرب يعبد أهلها الأوثان ويسجدون للأصنام » — ص ٦٩ — مع أن المسيحية واليهودية كانتا فى نجران واليمن ويثرب ، كما كانت المسيحية وحدها فى مملكتى الحيرة والغساسنة ؟

وفى الكتاب فصل عن « الكتاتيب فى الإسلام » . وهو فصل يبدو فيه أثر تحصيل كبير إلا أنه كان ينقصه ما نشر فى ص ٥١ حول انتشار الكتاتيب بعد الصدر الأول من الإسلام . فإن هذا الكلام كله كان موضعه فى ص ٥٧ أوجب من موضعه فى ص ٥١ . حتى يخرج الفصل كله مستوياً قائماً بذاته بدلا من هذا التفكك .

والمؤلف يطيل فى بعض المواطن من غير حاجة إلى تطويل . ويوجز فى مواطن أخرى حيث تدعو الحاجة إلى البسط والإسهاب لا إلى الشح والإيجاز . ففى ص ٣٨ أراد أن يثبت — فى كلام طويل — أن القابسى من علماء القرن الرابع لا الخامس ، لأن معظم حياته وفتوة شبابه وبأس رجولته واكتمال علمه وعقله وعمله وقع فى ذلك القرن ، طبعاً أيها الصديق !

ومن أمثلة الإيجاز العجيب ما وقع فى ص ٧٦ . فقد أراد أن يرد السر فى انتهاء تعليم الصبيان إلى أهل السنة « إلى أسباب كثيرة » ثم اكتفى من هذه الأسباب الكثيرة بسببين اثنين ! فما هذا الإسراف فى الوعد يا أخى والبخل بالموعود ؟؟

وفى بعض أحكامك يا أخى تناقض لا أدرى بم أعلله . فقد ذكرت فى ص ٧٦ «أن كثيراً من المفكرين فى الإسلام ترفعوا عن تعليم الصبيان.. وقد صرّح بذلك أصحاب رسائل إخوان الصفا» وفى ص ٢٠٥ عدت تقول «ولعلهم — إخوان الصفا — تركوا الصبيان وشأنهم يتعلمون فى الكتاتيب لأن تعليمهم يتم بالتحفيظ لا بالتفهيم» . فلم يكن ذلك ترفعاً كما قلت فى ص ٧٦ ؟؟!

بقيت بعد ذلك أخطاء مطبعية لو صححتها لأنصفت إلى كتابك . ولكنها ليست كثيرة منها ص ١٤ : الفهرسة . وهى الفهرس أو الفهرست بالتاء المفتوحة ، ص ٨٧ سطر ٢٠ : يعلنهن والصحيح يعلمونهن ، ص ١٦ : عمّر والصحيح عُمِّر بالبناء للمجهول ، ص ٢٠٨ : ابن مسكوية بالتاء . وهى بالهاء ، ص ٣٢١ : تاريخ التمدن الإسلامى أربعة أجزاء — والصحيح أنها خمسة .

وعلى الرغم مما بدا فى كتابك أو بدا لى فيه فهو عمل طيب وجهد كثير . وما أكثر إنصافك وأنت تناقش «كارادى فو» وخليل طوطح والدكتور إبراهيم سلامة والقابسى نفسه ، فأرى الحق بجانبك فى كثير من المواضع ، وأرى فيك من النصرة لقومك ما تشكرك عليه العروبة أطيب الشكر وما يثنى عليك العلم به أحسن الثناء .

السلام الاجتماعى [1]

السلام الاجتماعى عنوان جميل جذاب ، وأجمل منه أن يكون عنواناً لكتاب فى هذه الأيام التى صحا الناس فيها على أزيز الطوائر وفعل القنابر فإذا هم أمام عالم يصطرع بالأهواء بعد أن اندكت فيه قواعد السلام حيناً من الزمن .

ومن منا لا يحب السلام ويكلف به كلفاً شديداً ، ويتمنى لو أشاعه الله فى كل بقعة من الأرض حتى يعم الدنيـــا جميعاً ؟ ألم يكن السلام فكرة الأنبياء حين قاموا بدعواتهم ؟ أليس السلام اسماً من أسماء الله تعالى حين قال فى كتابه العزيز «هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام» .

ولقد سمعنا فى هذه الأيام كلمة «العدالة الاجتماعية» فإذا هى جميلة جذابة ، وإذا المصلحون يديرونها على ألسنتهم كلما عن لهم حديث فى الإصلاح ، وإذا الاجتماعيون يصبونها فى آذان الناس صباً ، فيطرب هؤلاء لها ، ويجدون فيها من حلاوة الوعود ما يبشر بعالم يتحقق فيه العدل ويوفى الناس أجورهم بالقسط ، وإذا بكتاب يخرج فيها بعنوان « العدالة الاجتماعية » للأستاذ صالح مخائيل .

ولكن الأستاذ عبد المجيد نافع يتخير فى محاولته لتحقيق العدل الاجتماعى عنوان : «السلام الاجتماعى» كأنه يوحى إلى أن هذه الحروب التى نكتوى بنارها إنما ترجع إلى أن ميزان السلام الاجتماعى قد اضطرب ، وأن شيئاً حاسماً لا بد أن يفعل ، وأن موقفاً لا بد أن يتخذ لإشاعة السلام ، فإن

---

(١) تأليف الأستاذ عبد المجيد نافع المحامى نشرته دار الفكر العربى .

العالم كله كوحدة متماسكة يتأثر بالقلاقل المحلية فى كل بقعة من بقاع الأرض.

والمؤلف يمسك فى يده مصباحا أحمر لينبه الناس إلى أخطار اجتماعية ليس هناك بد من التنبيه إليها. ولكننى أؤكد للقارىء أن نسخة الكتاب التى تفضل المؤلف بإهدائها إلى كانت خضراء الغلاف! فلم تكن حمراء كلون مصباحه الذى أشعله فى أول فصول الكتاب!

وقد يظن من يقرأ الكتاب فيمضى سريعاً فى قراءته أن المؤلف متطرف الميول، فهو ساخط على الرأسمالية شديد العداوة لها والحملة عليها، ولكنه يدعو — إقراراً للسلام المنشود — أن تضمن الدولة لكل فرد من الأفراد المنضوين تحت لوائها حداً أدنى للمعيشة «ص٢١». وهى دعوة تدعو إلى حسن الظن بصاحبها، فإن المساواة المطلقة بين الناس مستحيلة فى هذا العالم لأن الناس يختلفون ملكات ومواهب، ويفترقون قوة وضعفاً، وهو يرى لهذا أن التضامن الاجتماعى يقضى بأن تقدم الجماعة غذاء لكل جائع، وكساء لكل عار، ومسكناً لكل شريد، وعملا لكل متعطل، وعلما لكل جاهل، وهو من أجل هذا يدعو إلى مكافحة الفقر ويروى فى أرقام متوسط دخل الفرد فى مصر، ويرد ذلك إلى عدم التناسب بين ازدياد السكان وضعف الثروة القومية ويرى أن الاختلال فى التوازن بين الموارد البشرية والموارد الطبيعية هو مبعث الفاقة التى يعانيها سواد المصريين «ص٥٤».

ويخشى المؤلف أن يهتم بإرسال الدعوى من غير دليل، فيعقد فصلا عنوانه «بلاغة الأرقام» يستندفيه إلى تقرير للمستر كيلاند الباحث الاجتماعى المعروف بالجامعة الأمريكية، والمسيو مينوسيت المدير السابق للبنك العقارى المصرى.

ولم يقف المؤلف من هذه القضية المؤلمة والحقيقة الموجعة موقف المتألم المتحسر فحسب ، يصورها فى بلاغة ويصفها فى حسرة ، ولو قد فعل لما عدا أن يكون واحداً من المتكأكئين على رجل داهمه الترام فاندس بين الفضوليين المتفرجين ليرجع وهو يمط شفتيه بكلمة «مسكين» !!

لم يفعل المؤلف ذلك ، ولم يندس بين المتوجعين نائحاً ولا مولولا فحسب ، ولكنه اقترح من السبل ما يراه خليقاً برفع مستوى المعيشة فى مصر . فاقترح مضاعفة الموارد القومية لأن مصر ما زالت بلدا بكرا لم تستغل موارده بعد ص ٧١ . ويرى أن مصر لو استغلت مواردها القومية على وجه أكمل وبصورة تتمشى مع العصر الحاضر لا تسع ما ضاق من أرضها لثلاثة أضعاف سكانها الحاليين ، وهو غير يائس من بلوغ هذه الغاية ولا قاطع الأمل من الوصول إليها . ولهذا كانت دعوته القوية ، وكان كتابه الذى يعد صرخة عنيفة فى أذن الجيل الحاضر . فإن ثروة مصر المخبوءة وحيويتها الكامنة فى أبنائها كفيلتان بأن تبلغ مصر المبلغ الذى يوده كل مخلص لها وكل مشفق عليها . ولهذا لا يجوز لنا أن نعد المؤلف من المتشائمين .

ويرى المؤلف فى سبيل ذلك أن الزراعة المصرية وخاصة بالحالة البدائية التى هى عليها اليوم وتجافيها عن الأساليب العلمية العصرية قد أصارت المصريين إلى حالة من البؤس والجهل لا تفترق عما كان مشاهدا فى عصور الظلمات ص ٧٤ . وهى كلمة حق تؤيدها تلك الكلمة التى كتبها الأستاذ محمود توفيق الحفناوى باشا فى عدد من مجلة « الكتاب » . فإن هذا العالم الزراعى الجليل يقرر أن صورة الزراعة فى مديرية قنا اليوم هى صورة لمصر منذ خمسين قرناً ! كأن الزمن لم يتقدم بنا خطوة واحدة فى مجاله الفسيح

ويقرر أيضاً أن الفلاح هناك يتبع نفس الطرق التى كان يتبعها أجداده زمن الفراعنة ويستخدم نفس الآلات التى كانت تستعمل قبل عصر بناة الأهرام .

فالأستاذ عبد المجيد نافع على كثير من الحق حين يهاجم هذه النظم الزراعية العتيقة وحين يرى أن بقاءها إلى اليوم هو عامل من عوامل الفقر والجهل فى مصر .

ويرى المؤلف ـ غير ذلك ـ أن تحرم ملكية الأرض الزراعية على الأجانب ، ولا يجد فى ذلك العمل نقضاً لمعاهدة مونترو ، فإن مثل هذا التشريع العصرى تأخذ به كثير من الأمم فى العصر الحديث . ويرى كذلك أن تفك الرهون لاستنقاذ الثروة العقارية ، وأن واجب الدولة أن تتذرع بالشجاعة فتدبر ـ بوسائلها الخاصة ـ المال اللازم لتحل محل الدائنين المرتهنين ص ٧٩ . ولم يترك المؤلف مسألة تدبير المال بدون حل كمن يلقى الرجل مكتوفاً فى اليم ويقول له . إياك أن تبتل بالماء . . . ولكنه يرى فى الالتجاء إلى الاحتياطى وفى حفظ المصروفات العامة وفى فرض ضريبة جديدة وفى عقد قرض وطنى لهذا الغرض ـ يرى فى ذلك سبيلا إلى تخليص الثروة العقارية من يد الأجانب .

وليس ذلك هو كل ما فى قارورة الدواء عند الأستاذ نافع لمعالجة الفقر فى مصر ؛ فهو يدعو إلى إلغاء الوقف لأنه نظام « أثبتت التجارب ونادت الوقائع بأنه مبعث الفساد وسبب التأخر والانحطاط » ص ٨٢ . ويدعو إلى إصلاح الأرض الغامرة أو الأرض البور اعتماداً على الهندسة المائية الحديثة التى تمكننا من ضبط مياه النيل والانتفاع بها كاملة

حتى لا يضيع كثير منها فى البحر هدراً كل عام ، ويرى أن تبيع الحكومة أرضها إلى صغار الملاك فإن ذلك خير من بيعها لكبارهم أو من بقائها فى يد الأداة الحكومية تستغلها استغلالا بطيئاً .

ولا أدرى كيف أوفق بين موقفين متعارضين للأستاذ نافع فى إمكانية مصر الزراعية والصناعية ؛ فهو طوراً مؤمن بأنها قطر زراعى فيدعو فى حماسة إلى إصلاحها عن هذا السبيل ويقرر أنها قطر زراعى أولا وقبل كل شىء ، ويرى لذلك أن يكون التعليم الزراعى فى جميع مراحل التعليم ، لا أن يحرم منه الطالب فى مراحله الأولى والثانوية ، حتى إذا حصل على الشهادة التوجيهية قذفنا به إلى كلية الزراعة وهو لا يدرى شيئاً من الزراعة. وهو طورا يرى أن تحول مصر إلى قطر صناعى، ويعالج ذلك فى فصل كامل من فصول الكتاب . ونظرية التحويل الصناعى هذه لا تتفق مع دعوته وإيمانه بإمكانيات مصر الزراعية .

وقد نفيت التشاؤم عن المؤلف فى موقف قبل هذا ، ولكنى لا أحب أن أرميه بالإسراف فى التفاؤل إلى حد يجعل للكلام قيمة فوق الأعمال .. فإنه لا يشك فى أن الصناعة المصرية بفضل الجد والإتقان سوف تصمد لتيار التنافس المتدفق من الخارج ص ٨٩ . وهو تفاؤل أرجو الله مخلصاً أن يتم وأن نرى آثاره فى جيلنا .

على أن هذه الصناعات الخفيفة شىء، والصناعة الثقيلة Industrie Lourde شىء آخر . ولعل المؤلف يقصد هذه الصناعات الخفيفة التى شجعت الحرب الثانية على قيامها والتى يخشى عليها من المزاحمة الأجنبية حين يعود الاتصال والاستيراد إلى ما كان عليه قبل الحرب .

والأستاذ نافع من أنصار العلم الصحيح ، ومن المؤمنين بقوته فى سيادة الأمم وحكم الشعوب . وكثيرا ما سمعته يشفق على مناظر الجهل التى تقذى بها العيون فى شوارع مصر ، ولا أشك فى أن هـــذا القذى فى عينيه هو مواجع فى قلبه . وهو مؤمن بأن الغرب لم يصرع الشرق إلا بعلمه ، ولهذا يعد من العدل الاجتماعى أن لاتأخذ الدولة على عاتقها القيام بنفقات التعليم العالى للشبان الفقراء ، والدولة فى مصر — على ما أظن — فاعلة هذا . ولكن المؤلف يرى الإكثار من النسبة .

والحق أن كتاب «السلام الاجتماعى» فيه كثير من الأمور التى يجب أن يفطن أولو الأمر لها ، وأن يعدوا لها ما استطاعوا من قوة ؛ ولا شك أن نشر العلم الصحيح هو أقوى العوامل لقوة الشخصية المعنوية للأمة .

خيل إلى وأنا أقرأ كتاب عبد المجيد نافع أننى أستمع إليه واقفاً على أعواد منبر ، فإن الأسلوب الخطابى الثائر المثير لم يبرحه لحظة واحدة فى كتاب يحتاج إلى الهدوء فى المعالجة أكثر مما يحتاج إلى العنف فيها . حتى كاد الكتاب يخرج بذلك عن البحث الهادىء إلى خطبة ساحرة بليغة فيها كثير من التكرار وفيها كثير من المبالغة وفيها كثير من الحملات العنيفة على رجال بيننا ، لا نزال نحبهم ولا نزال نستبق الأمل الكبير فى إصلاحاتهم . فقد حمل على طائفة من رجال المال والأعمال فى مصر وصرح بأسمائهم . وكأنه — سامحه الله — يرميهم بحسناتهم فى الاقتصاد وجمع المال ومنافستهم لرجال المال الأجانب فى ميدان كان إلى الأمس القريب وقفا عليهم .

وليس ذنبا أن يتقدم أصحاب هذه الأسماء التى ذكرها إلى ميدان تفرد الأجانب فيه ، وكيف يعتذر معتذر عن نشاط جماعة من المصريين إذا كان

جماعة من إخوانهم يقولون فيهم كلاماً قد يحمل على محمل ما نهى عنه الحديث الشريف فى قوله : « لا تنفسوا على إخوانكم ما آتاهم الله من فضله » . وما كذب الشاعر حين قال :

إذا مفاخرى اللائى أدل بها كانت ذنوباً فقل لى كيف أعتذر

وما ذنب الأساتذة والفنانين والكتاب والمحامين والأطباء حين تدفع المواهب بعضهم إلى القمة وتهوى ببعضهم إلى الحضيض ! أليس الصالح أجدر بالبقاء والفاسد أحق بالفناء أو الانزواء . . ؟

ولست بحاجة إلى سوق الشواهد على كثرة التكرار فى هذا الكتاب ، ولعله مقصود لتوكيد المسائل فى نفوس القراء .

ومهما يكن من شىء فإن هذا الكتاب دعوة جريئة قوية للسلام الاجتماعى أرجو أن يكتب الله لها الكثير من التحقيق ، والعظيم من الخير والتوفيق .

الفكر العربى [1]

بين ماضيه وحاضره

مؤلف هذا الكتاب ليس غريباً عن الفكر العربى بل هو مشترك فى بناء هذا الفكر بمجلته « الحديث » التى تصدر فى حلب فتقدم إلى المكتبة العربية مدداً صالحاً من ثقافة طيبة يشترك فى إعدادها للقراء طائفة من أعلام الأدب والبيان والفكر فى مختلف الأقطار العربية .

يبحث هذا الكتاب فى تفرق مسائل تتصل بالفكر العربى أوثق اتصال ولم يثر الأستاذ الفاضل تلك المسائل إلا ليصل منها إلى طريقة يحيى بها العربى تراثه الضخم القديم . وليس هذا التراث القديم موضعاً للإنكار فالمؤلف يسوق من أقوال علماء الغربيين ما يقوم شاهداً على كينونة الفكر العربى ويستشهد فى أول صفحة من الكتاب بما ذكره ويلز فى هذا الصدد

وفى ثانى فصول الكتاب يعرض المؤلف لما اتهم به ابن خلدون العرب من التوحش والانتهاب والعبث ومنافاة طبائعهم للعمران ، فيرد على المؤرخ الكبير اتهامه ببراهين فيها كثير من العقل وكثير من العاطفة ، ثم يخشى أن تجنح به عاطفته فيستشهد بكلام جميل للشاعر الأسبانى (فيلاسباسا) وهو كلام فيه كثير من الشعر والخيال ، وفيه قليل جداً من مادة التاريخ . ثم يعود المؤلف فيؤيد حججه بما كتبه الدكتور عبد الوهاب عزام رداً على ما نقله المستشرق الروسى بارتولد فى كتابه (تاريخ الحضارة الإسلامية) . وبما كتبه الدكتور طه حسين نقضاً لمزاعم ابن خلدون .

والأستاذ الكيالى يرى لإحياء الثقافة العربية أن يحصر العمل فى ثلاثة

---

(١) للأستاذ سامى الكيالى . مطبعة المعارف . القاهرة

أمور : البحث عن نفائس المخطوطات التى أضاعها أهلها او دفنوها فى غيابات الخزانات ، ودراستها وتنظيمها ونشر أكثرها ضرورة لنهضتنا الحالية ، وإعادة طبع ماطبع من نفائس كتبنا على طريقة المستشرقين لا على طريقة جهلة الوراقين

وذلك كلام جميل ، وعمل فى مقدور ورثة الفكر العربى أن يعملوه متى صحت العزائم وصدقت النيات ، واستحوا أن يقال فيهم : تراث ضيعه ذووه

وفى الكتاب فصل عن « البلديات » أو المجالس البلدية عند العرب ، وهو فصل طريف عن وظيفة « الحسبة » التى يشبه عملها من نواح كثيرة عمل المجالس البلدية فى زماننا هذا ، وهذا الفصل هو عرض جميل لكتاب « معالم القربة فى أحكام الحسبة » الذى ألفه ابن الأخوة القرشى ، ونشره المستشرق الإنكليزى روبن ليوى فى أصله العربى وترجمته الإنكليزية .

ولم يفت الأستاذ الكيالى أن يتحدث فى كتابه عن مصر والوحدة العربية ، ويستشهد بكلام لعبد الرحمن الرافعى بك فى كتابه تاريخ الحركة القومية ج ٣ عن مشروع لمحمد على باشا كان يتناول إنشاء دولة عربية مستقلة فى مصر تضم إليها البلاد العربية فى أفريقيا وآسيا ، ويستشهد بكلام آخر ، وفى هذا الفصل توضيح لفكرة الفرعونية التى يتخوف السوريون والعراقيون من خطرها كلما تحدث المصريون عن تاريخهم القديم ، وفيه توضيح للفكرة العربية يطمئن إليه المصرى كل الاطمئنان .

فى هذا الكتاب إيمان قوى يطفر من بين السطور طفرا ، إيمان بالماضى المجيد ، وإيمان بالحاضر العتيد ، وإيمان بالغد الوليد ، وفى المؤلف تفاؤل فسيح فى المستقبل ، لم يبنه على تكهن ولا تخرص ولكن بناه على قياس على الماضى ونظر فى قراءة تاريخ العرب ، وهى على كل حال فراسة « مؤمن » والمؤمن لا تكذب فراسته .

مع الفلاسفة

التصوف وفريد الدين العطار[1]

أخرجت الجمعية الفلسفية المصرية هذا العام فيما أخرجت ثلاثة كتب تتصل بالتصوف الإسلامى . أفكان ذلك منها قصداً أم عفواً ؟ وهل أزعجتها تلك الحرب التى نفضنا الغبار اليوم عن معاركها فأرادت أن توجه الناس إلى الحياة الروحية ولذائذها بدلا من تلك المادية المدمرة التى عانت منها الإنسانية ماعانت وخاصة فى هذا الزمن الأخير .

الحق أن الجمعية الفلسفية المصرية مشكورة على هذه الناحية التى أرادت أن تجلوها من تاريخ الروحية الإسلامية . والحق أن الدكاترة الثلاثة : عبد الوهاب عزام ومحمد مصطفى حلمى وأبو العلا عفيفى قد أحسنوا الإحسان كله فى انعقاد العزم على غرض واحد وإن كان الموضوع غير واحد . فالدكتور حلمى كتب عن الحياة الروحية فى الإسلام ، والدكتور عفيفى عن الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، والدكتور عزام عن التصوف وفريد الدين العطار .

وعجيب جداً أن تخرج هذه الكتب الثلاث على الولاء — واحد فى أثر صاحبه — من غير أن يقطع هذا النظم المتناسق كتاب فى الاجتماع أو آخر فى علم النفس أو ثالث فى الاقتصاد مثلا . كأن النية انعقدت فيما بينهم على أن يسبحوا بقرائهم ثلاثة أشهر متوالية فى عالم الروح والصفاء .

وما أظن أن هناك ائتماراً بين هؤلاء الأساتذة ولا انعقاد نية . . .

---

(١) تأليف الدكتور عبد الوهاب عزام بك — دار إحياء الكتب العربية القاهرة .

ولكنها فكرة غلبت على كل واحد منهم فصادفت من الجمعية قبولا ، ولعلها صادفت من القراء مثل ماصادفت من الجمعية نفسها . فأمتعونا بساعات من الصفو فى أفياء التصوف والروح ...

ولعل كتاب الدكتور حلمى أعم الثلاثة من ناحية الموضوع . أما كتابا أبى العلا وعزام ففى ناحية خاصة من التصوف . فالأول منهما فى الملامتية وأهل الفتوة ، وهما فرقتان من المتصوفة . والثانى فى فريد الدين العطار الشاعر الفارسى المتصوف .

وكان طبيعياً من الدكتور عزام وهو يكتب عن العطار أن يعرض للتصوف الإسلامى ونشأته وتطوره . وقد أوجز العرض إلا أنه أحسن فيه الإحسان كله . فقد لخص أقوال الباحثين فى نشأة التصوف الإسلامى وهل هو رد فعل لفرض العقائد الإسلامية على الأمم الآرية تخلصاً من عقيدة التوحيد المطلق ، ومن التكاليف المحدودة المحكمة التى كلف بها الإسلام ، أم هو مأخوذ من الناحية الفلسفية عن الأفلاطونية الحديثة أكثر من أية فلسفة أخرى ، كما يذهب إليه «براون» فى تاريخ الفرس الأدبى «ونيكلسون» فى مقدمة القصائد المختارة من ديوان «شمس تبريزى» ، أم هو ناشئ فى الجماعة الإسلامية مستقلا عن الفرس والهند واليونان ؟ .

والدكتور عزام يرى أن التصوف الإسلامى وجد مبادئه فى الكتاب والسنة ، ولكن لاينكر أنه أخذ فى سيره أقوالا وأفعالا من النصرانية أو البوذية أو الأفلاطونية الحديثة . وذلك مذهب الذين يردون التصوف الإسلامى إلى غير واحد من المصادر السابقة . وهو مذهب معتدل فيما نرى وطريق وسط بين الطرق المختلفة التى ذهب إليها الباحثون .

ولا يضير التصوف الإسلامى أن يرجع إلى غير الكتاب والسنة وإلى غير الحياة الإسلامية نفسها . وليس يضيره أن يكون أخذ من الهند والفرس واليونان فوق ماأخذه من الجماعة الإسلامية الناشئة فى ظل الدين الجديد .

ولانشك أن الدكتور عزام ارتضخ هذا المذهب القوام بعد إيمان به وبعد اقتناع بوجاهته . ولايطعن ذلك فى عربية الدكتور ولا فى إسلاميته. فما كان من المعقول أن تقف الحياة الإسلامية جامدة أمام تيارات مختلفة من غير أن تفيد منها شيئاً . وماقيمة الغلو عند الدكتور حلمى حين يذهب إلى أن ذلك المصدر إسلامى بحت ، بل يغلو أكثر من ذلك فيرده إلى حياة النبى العربى قبل أن ينزل عليه الوحى ؟

لقد تحنث محمد عليه السلام فى غار حراء قبل أن يكون نبياً . ولكن تلك المجاهدة والعزلة والرياضة الروحية التى أخذ بها النبى نفسه قبل بعثته لم تعد أن تكون نوعاً من مجاهدات الروح التى ظهرت فى الجزيرة العربية قبل ميلاد النبى بآلاف السنين . وما كان رسول الله بدعا من الرسل الذين قبله ، ولا كان تحنثه فى الجاهلية حدثاً جديداً حتى يقول الدكتور حلمى إنه البذرة التى نبت منها زهد الزهاد وتصوف الصوفيين .

والدكتور عزام لايجزم فى هذا الشأن بالرأى يسوقه على طريقة لاتقبل معارضة . ولكن يسوقه على سبيل الرجحان كما فعل « نيكلسون » من قبله . فتسليم إبراهيم بن أدهم ، وحب رابعة العدوية ، ومعرفة ذى النون والجنيد ، وفناء أبى يزيد والحلاج ، ونظرية الإنسان الكامل التى بدأ بها الحلاج وشرحها ابن عربى ثم عبد الكريم الجيلى ، وفلسفة السهروردى فى حكمة الإشراق

وهيا كل النور ، كل هذه توحى باتصال بين الصوفية والنساك فى الأمم الأخرى وفلسفة الأفلاطونية الحديثة . وذلك كلام مابعده كلام فى مثل هذا المقام ، وخاصة « أن التشابه لايثبت الاتصال ولكن يؤذن به . لاسيما فى الأمور التى ليست نتيجة الفكر البشرى الطبيعى والوجدان الإنسانى العام ، وهما متشابهان فى الأمم ، ولكنها نظرات فلسفية خاصة لايجتمع عليها الباحثون اتفاقاً كفيض العالم عن الله وتسلسله فى الأفلاطونية الحديثة والصوفية » .

فى الكتاب فصل عن صلة التصوف بالأدب ، وهو لا يعدو بضع صفحات . وحبذا لو أطال الدكتور عزام الكلام فيه ، ولو أن ذلك يخرج الكتاب عن موضوعه ، فالكتاب فى فريد الدين العطار لا فى الصلة بين الأدب والتصوف ، فذلك موضوع من حقه أن يصنع فيه كتاب وأن يكون صانعه الدكتور عزام نفسه . فمعرفته بالتركية والفارسية تجعله أولى الناس بالحديث فيه .

وقد استشهد الدكتور بكلام منثور لطائفة من رجال التصوف منهم النفرى صاحب «المواقف» والمحاسبى صاحب «التوهم» . وليأذن لنا الدكتور أن نقول إن كتاب التوهم ليس فى التصوف المحض ككتاب « اللمع » للسراج مثلا . ولكنه كتاب جمع فيه مؤلفه بين طريقتى الترغيب والترهيب على نحو ما جاء فى القرآن ، فهو يصف الجنة ونعيمها والنار وأهوالها وصفاً يعد أول شىء من نوعه فى التأليف العربى . ولست أنكر مقام المحاسبى فى التصوف ولا إشارة المستشرق ماسينيون إليه فى كتابه « أصول المصطلحات الصوفية الإسلامية » ، ولا تحليل الدكتورة مرجريت سميث لآثاره فى التصوف ، ولا رجوع الغزالى إليه وهو يكتب

عن التصوف فى «الإحياء». ولكن كتاب التوهم يظل مع ذلك كله بعيداً عن التصوف بالمعنى الاصطلاحى المعروف. وما أصدق الدكتور آربرى وهو يعد كتاب التوهم من كتب «الوعظ» فى مقدمته الإنجليزية لكتاب التوهم المطبوع لأول مرة فى مصر سنة ١٩٣٧.

أما الفصل فى تاريخ العطار وسيرته ورحلاته وعيشته وطلبه العلم ومناقشة الروايات المختلفة فى تاريخ وفاته فهو فصل فيه من تحقيق الدكتور عزام كثير. والحق أنه أول من عرف القارىء العربى بهذا الشاعر الصوفى الخراسانى، وأول من وضع فيه كتاباً عربياً. وتلك يد للدكتور لاننساها ولا نبخسها قدرها، فهو بذلك يصل بين حلقات التفكير الإسلامى التى قطعتها لغات غير العربية. وفى تاريخ الإسلام رجال كالعطار باعد بيننا وبينهم جهلنا باللغات الشرقية التى كتبوا بها وألفوا فيها.

وقف الدكتور عند وفاة العطار وقفة غير قصيرة يناقش الأقوال المختلفة فى وفاته. وقد حمدنا له هذا الموقف قصد التحقيق والتثبت، فذلك هدف يسعى إليه أهل التحقيق من رجال العلم. غير أن الدكتور أثبت وفيات بعض الرجال على غير ما جاء فى الكتب المحققة والأقوال الراجحة. فقد ذكر فى صفحة ٢٧ أن الشبلى البغدادى توفى سنة ٣١٢ هـ وفى وفيات الأعيان طبع بولاق «أن وفاته كانت سنة ٣٣٤ وقيل سنة ٣٣٥». والأول أصح». ومهما يكن من القولين فالسنتان بعيدتان عن سنة ٣١٢ التى ذكرها المؤلف الفاضل

وقد ذكر الدكتور أن الكرخى مات سنة ٢٠١هـ. والأقوال مختلفة فى وفاة هذا الزاهد العظيم. وقد ذكر ابن خلكان أنه مات فى سنة ٢٠٠ هـ. وقيل سنة ٢٠١ هـ. وقيل سنة ٢٠٤ هـ. فاختار الدكتور عزام الرواية

الوسطى وحدها ولم يشر إلى بقية الروايات حتى يطمئن قلب قارئه ! ولعل حضرته يرد بأن المقام لم يكن لتحقيق وفاة الكرخى ، ولكن كنا نؤثر أن يشير إلى ذلك فى هامش الكتاب إشارة عابرة . وذكر أن السهروردى قتل سنة ٥٨٥ هـ وفى ابن خلكان أنه قتل سنة ٥٨٧ وقيل سنة ٥٨٨هـ .

وذكر فى صفحة ٢٣ أن الحسن البصرى توفى سنة ١١٩ هـ . وقد ذكر ابن خلكان وعنه أخذ صاحب «الأعلام» أنه مات سنة ١١٠هـ [١] .

وذكر الدكتور اسم «فرفيروس» مؤرخ أفلوطين على هذه الصورة التى رسمته عليها ، فهل هو غير « فرفوريوس » الذى رسمه مؤرخو العرب على الصورة الأخيرة ، وخاصة القفطى فى تاريخه وابن أبى أصيبعة فى « عيون أنبائه » ؟

ومن هو « وينسنك » الذى ذكره الدكتور فى صفحة ١١ ؟ هل هو المستشرق الهولندى الذى مات من عهد قريب والذى جرينا على أن نرسم اسمه «فنسنك» ؟ . وإذا كان ذلك فلم لا نجرى فى رسم الأعلام الغربية — وخاصة الحديثة — على طريقة واحدة .

ويدخل فى هذا الكلام تسمية محيى الدين بن عربى مرة بهذه الصورة ومرة بابن العربى بزيادة « ال » فخبذا لو جرى حضرته فى الرسم على نهج واحد

ثم هل رابعة القيسية التى أشار إليها الدكتور فى ص ٢٣ هى غير رابعة العدوية التى ذكرها ابن خلكان فى ص ٢٢٧ ج ١ من وفياته ، والتى نعرفها جميعاً بهذا الاسم ، والتى كتب عنها مصطفى باشا عبد الرازق مقالا فى الجزء الأول من السنة الأولى من مجلة «المعرفة» ؟ صحيح أن ماسينيون قال

---

(١) وفى شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ج ١ ص ١٣٦ البصرى فى وفيات سنة ١١٠هـ

عنها إنها من عتيك «على وزن أمير – لامن عُتيك – كما ذكر ماسينيون» . وعتيك هذه من قبيلة قيس . ولكن الدكتور عزام ينفرد فى تسميتها بالقيسية ، وصحيح أن ابن خلكان ذكرها باسم رابعة العدوية البصرية . ولكنه لم يذكر هذه النسبة القيسية .

ثم إن ذكرها مرة بالقيسية ص ٢٣ ومرة بالعدوية البصرية ص ٢٦ مما يوقع القارى، فى كثير من الحيرة والاضطراب ، وكنا نود لو جرى الدكتور على تسمية صحيحة واحدة .

الحق أن الذى أوقع الدكتور عزام فى هذا الاضطراب هو أستاذنا الشيخ مصطفى باشا عبد الرازق . فقد قال فى مقاله القديم بمجلة المعرفة [١] (ويقول عنها – أى رابعة العدوية – الأستاذ ماسينيون – وعن رابعة القيسية .. الخ) .

ويخيل إلى بعد تعب فى الرجوع إلى المصادر ، وبعد قراءة لكتاب ماسينيون بالفرنسية أنه ليست هناك رابعة قيسية وأخرى عدوية ، ولكن هناك رباح القيسى مواطن رابعة العدوية ، وقد ذكره ماسينيون فى صفحة ١٩٥ فى معرض الحديث عن التصوف البصرى [٢] .

* * *

يقول الدكتور عزام فى صفحة ٢٨ إن طيفور بن عيسى البسطامى تنسب إليه الكلمة المعروفة : مافى الجبة إلا الله . وما سمعت – على قدر علمى – أن البسطامى قالها ، ولكن ابن خلكان يقول : « إن الذى قالها وأنكرت

---

(١) السنة الأولى ج ١ عدد مايو سنة ١٩٣١ ص ١٥ .

(٢) Essai sur les origines du Lexique Technique de La Mystiqne Musulmane par Louis Massignon – Paris 1922.

عليه هو الحسين بن منصور الحلاج»[١] . ولم يذكر صاحب وفيات الأعيان مسألة الجبة فى ترجمته للبسطامى ولكنه ذكرها فى ترجمة الحلاج منسوبة إلى الحلاج نفسه .

وإنى أعرف الدكتور عزام شاعراً وبصيراً بالشعر وأوزانه فكيف فاته الكسر فى عجز البيت الرابع من أبيات جلال الدين الرومى المترجمة[٢] ونص البيت كما أورده الدكتور :

ليس لى إلا سمو نحوه كل شىء هالك إلا وجهه

فالبيت من بحر الرمل ووزنه «فاعلاتن فاعلاتن فاعلن» . والشطر الثانى غير مستقيم مع هذا الوزن .

وهناك فى صفحة أخرى[٣] كسر آخر ، ولعله من أخطاء الطبع . فقد ورد البيت الآنى على الصورة التالية :

قال ما تبتغيه يبدو محالا قلت إن المحـــال مأمولى

ولعل الصواب :

قال ما تبتغيه يبدو محالا قلت إن المحال من مأمولى

وبذلك يستقيم الشطر ويصح الشعر .

* * *

وكم كان جميلا من الدكتور أن يدفع عن العطار ما قد يرمى به من التكرار والإطالة فى مواطن كثيرة من كتبه . واعتذر عن ذلك بأن فيض التصوف والشعر يخرج من المعنى الواحد مئات من الصور . ولعل

---

(١) وفيات الأعيان طبعة بولاق ج ١ ص ١٨٤ .

(٢) صفحة ٨٧ من الكتاب .

(٣) صفحة ٩٨ من الكتاب .

الدكتور بهذا الدفاع الطريف يمهد لنفسه العذر فى تكراره فى الكتاب فى مواطن كثيرة . فقد أورد البيتين التاليين لابن الفارض فى ص ١٢ :

وألسنة الأكوان إن كنت واعياً شهود بتوحيدى بحال فصيحة
وإن عبدوا غيرى وإن كان قصدهم سواى وإن لم يظهروا قصد نيتى

وأوردهما فى ص ١٧ لمثل ما أوردهما من أجله فى ص ١٢ . كما كرر قولا واحداً للجنيد فى صفحتى ٣٩ و ٣١ ، وكرر مخالطة الروح للمادة فى صفحتى ٨٤ و ٨٧ ، ولو أنه قال فى الصفحة الثانية « إن النفس الإنسانية التى هبطت من عالم الروح وخالطت المادة فقدت صفاءها » لانتفى التكرار بين الصفحتين

* * *

وأخشى أن يكون الدكتور عزام نسى فى المقطع الثانى من الفصل الثانى الغرض من كتاب يترجم فيه للعطار ويشرح تصوفه ، فقد أطال فى اقتباس أقوال من الزهاد الأولين إطالة لم يكن ذلك محلها من كتاب فى تصوف العطار . ولقد كان فى سوق مثالين أو ثلاثة أو أربعة غناء للاستشهاد على تمهيد هؤلاء الزهاد النساك للحياة الصوفية الآتية بعدهم فى أواخر القرن الثانى والقرن الثالث كله .

ولقد أحسن الدكتور عزام فى إيراد النصوص المختلفة للزهاد والمتصوفة على أصح وجوهها ، فقد رجع إلى « البيان والتبيين » للجاحظ حينما روى عن النساك ، ورجع إلى كتاب « التوهم » للمحاسبى حينما استشهد على أدب التصوف .

وفى كتاب التوهم الذى نشره الدكتور آربرى وقدم له أحمد بك أمين

وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر بعض التحريف الذى فات مصححه ولكنه لم يفت قارئاً كالدكتور عزام ، ففى « التوهم » هذه العبارة « فتوهم نفسك بعريك ومذلتك . . . فى زحمة الخلائق عراة حفاة صموت أجمعون » [١] فجعلها الدكتور عزام « عراة حفاة صموتا أجمعين » . وهو على حق فيما فعل . فما كان لهذه الأوصاف أن تقع فى تلك الجملة إلا أحوالا منصوبة .

وفى «التوهم» «فلا تسمع إلا همس أقدامهم والصوت لمدة المنادى»[٢] فجعلها عزام (فلا تسمع إلا همس أقدامهم وصوت المنادى) وقد أنصف بحذف هذه « المدة » التى لم نفهم بها الكلام على وجهه .

وهذا التدقيق والتحقيق وحسن البصر فى النصوص يدعو أن نسأل الدكتور عن تساهله أحياناً فى إيراد القول الواحد على وجهين قد لا يتأثر بهما المعنى ولكن تتأثر بهما إرادة التحقيق . فقد روى فى صفحة ٢٩ عن الجنيد أنه قال : « ليس الاعتبار بالحزقة إنما الاعتبار بالحرقة » ، وفى ٣٠ أى بعد صفحة واحدة فقط ذكر أن الجنيد قال : « إنما الاعتبار بالحرقة وليس الاعتبار بالحزقة » . ومؤدى الروايتين وملفوظهما يكاد يكون واحداً . لولا الفرق بين إيراد النفى أولا والحصر بإنما ثانيا ، وما يتبع ذلك من فرق دقيق فى المعنى من حيث علم المعانى .

والدكتور عزام فيه حسن فهم للنصوص كما أسلفت لأنه يقرأ بعينه وعقله . وفى أقوال الصوفيين ما يحتاج إلى كثير من العقل لإدراك المراد

---

(١) التوهم للمحاسبى . صفحة .

(٢) التوهم للمحاسبى . صفحة ٥ .

منه . وقد يفوت القارىء المراد فيحمد الله على أنه ظفر بعقله . . وقد قرأت فى صفحة ٩٥ قول القشيرى « فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب والأحوال تأتى من غير الوجود ، والمقامات تحصل ببذل المجهود » . فلم أفهم قوله « والأحوال تأتى من غير الوجود » . ألا يكون فى كلمة « غير » تحريف من الناسخ أو تطبيع من الطابع ؟

وعلى الرغم من غموض المتصوفة فى أقوالهم وآرائهم — وخاصة فى الله والوجود والعدم — نرى الدكتور عزام قد عرض بعض هذه المسائل عرضا شفى النفس من كثير مما بها . . . وكلامه فى صفحتى ٣٢ و ٣٣ هو برهان هذا الكلام . وكذلك كان الدكتور فى حديثه عن تصوف العطار وطريق المعرفة عنده ، والله والعالم والإنسان ، والقضاء والقدر ، وما أبرعه وهو يحاول التوفيق بين أقوال العطار المتباينة فى المسألة الأخيرة ، أو يحاول على الأقل تفسير ما يبدو من التناقض بينها .

لقد فتح الدكتور عزام كثيراً من مغالق العطار ، وأبان فلسفة الصوفية على خير ما يتبين عليه كلام . وما كان من قصدى أن أخلع عليه الثناء المحض ، وأنا لا أعرف أنه يحب الثناء على حال يخرج النقد عن وجهه ، أو يكره النقد على حال تخرج العالم عن قصده . والعذر عما أطلت فيه من أمور ارتأيت فيها الرأى وله هو رأيه . وما عرفت منه الغضب أو البرم بما يغضب منه المؤلفون حين يستهدفون . ولكن عزاماً ليس مؤلفاً فحسب ، ولكنه عالم جمله الله بالتواضع .

ونحن فى نشدان الحق دائما على طرفى الخطأ والصواب ، وأرجو مخلصاً أن يكون أخى وأستاذى « عزام » ثانى الطرفين . . .

شخصيات ومذاهب فلسفية(*)

من طبيعة الأدب شعره ونثره أنه سهل الدخول إلى النفس فى يسر ولين ، لاعنف ولامشقة . وأن النفس تقبل عليه بدافع منها .

أما الفلسفة فلا يقبل عليها من الناس إلا من رزق الصبر عليها والأنس بها . وقلما كانت الفلسفة أنيسة إلى النفوس لأنها كالسباع من الحيوان لايقدم عليها إلا من رزق القدرة على ترويضها وتأليفها .

والفلاسفة والمشتغلون بالفلسفة مسئولون عن هذا النفور الذى يعانيه الجمهور من القراء . ولا أدرى ماذا كانت حجتهم فى الأبهام وعذرهم فى التعمية . وهل فعلوا ذلك عن قصد حتى تبقى للفلسفة رهبة الغموض وهيبة الخفاء ؛ وحتى يكون لهم وحدهم مفتاح الأسرار والاستئثار بالأستار ، أم جاءهم ذلك الغموض من طبيعة الفلسفة نفسها لأنها تبحث وراء «المجهول» «ومابعدالطبيعة» وماإليها مما أبدى الكلام فيه وأعيد ، ولايزال المجهول مجهولا ؟ .

والحق أن كثيراً من موضوعات الفلسفة — وخاصة عند المسلمين — لايفيد القارىء أكثر مما يتعب ذهنه ويحير عقله ، كالكلام فى النفس ووحدتها ، وكالكلام فى الكون وهل هو حادث أم قديم ، وكالكلام فى البعث وهل هو لأجسام الدنيا بأعيانها أم بأمثالها .

وقد ظل الفلاسفة يبحثون فى هذا وأشباهه فما أراحونا ولا أراحوا أنفسهم ، ولا أزاحوا الستار عما تتحرق نفوسنا إلى معرفته وتتطلع إلى كشفه . حتى لقد مات الرازى وهو لايدرى إلى أين . . . وعبر عن ذلك بقوله فى بيتين يعبران عن سؤال كل نفس من عهد آدم إلى أن يشاء الله وهما :

(*) للدكتور عثمان أمين أستاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب — مطبعة الحلبي .

لعمرى ما أدرى وقد آذن البلى بعاجل ترحال إلى أين ترحالى
وأين محل الروح بعد خروجها من الهيكل المنحل والجسد البالى

ولقد أراح « ابن ساعدة » نفسه حينما قال قبل الإسلام :

لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها يمضى الأصاغر والأكابر
أيقنت أنى لا محا لة حيث صار القوم صائر ..

ولقد ألهم الله الجمعية الفلسفية المصرية صواباً فى القول حين قالت فى تصدير أول كتاب من كتبها « وإذا أراد الله بالفلسفة خيراً ألهم أهلها أن يسلكوا سبيلا أخرى ، فيعنوا بالشئون الإنسانية ، وبالأمور التى يتجه إليها التفكير فى كل زمان ومكان ، ويعالجوا بحوثهم فى أسلوب سائغ جذاب يفتح باب الفلسفة على مصراعيه لجمهور المثقفين » .

أما العناية بالشئون الإنسانية فنجد أن الدكتور على عبد الواحد وافى قد هدف إليها فى رسالته الجليلة « الأسرة والمجتمع » التى تعد بحق تحفة فى المكتبة العربية . ونجد أن أساتذة آخرين سيكتبون فى سلسلة هذه الجمعية عن الحياة الأخلاقية ، والتشريع والإصلاح الاجتماعى . وأمثال هذه الموضوعات التى تتناول الواقع والحياة ، ولا تطير وراء الغيبيات والمجهولات ..

ولكن الدكتور عثمان أمين ترك العناية بالشئون الإنسانية من أخلاق وسياسة واجتماع وراح إلى الفلسفة يلتمس عندها سد النقص فى القوة الإصلاحية والروحية . لأنه يرى أن (كل إصلاح تم فى الماضى أو سيتم فى المستقبل إنما هو أثر من آثار الفلاسفة وأحرار المفكرين)

وما كان الأنبياء ياصديق فلاسفة ولا أحرار تفكير ولكنك لاتنكر الإصلاح الذى تم على أيديهم :

على أن اكتفاءك بالكلام فى الشخصيات الفلسفية وتركك التأليف فى الشئون الإنسانية — كما صنع الدكتور على عبد الواحد — يعد ركونا إلى أهون الحملين وأخف العبئين . . .

إلا أننى لا أكتمك أننى وجدت فى كتابك لوناً من المتعة واللذة عرفته فى كتابك عن « محمد عبده » . ووجدت فى أسلوبك الواضح السائغ . أخذاً بما عاهدت أنت ورئيس الجمعية فى تصدير كما لأول كتاب .

وما أنا بقائل هنا لك جديداً ، فقد كنت أقرؤك فى مجلة « المقتطف » من سنوات فأجد فيك من الوضوح ماصارحتك به من حين إلى حين . وهأنذا اليوم أقرؤك فأجدك سائغ الأسلوب فى سقراط ، وفى الثلاثة الفلاسفة المسلمين الذين شئت أن تكتب عنهم ، وفى ديكارت وهيوم من الغربيين .

ولا أدرى ياأخى السر فى اختيارك هؤلاء الثلاثة من المسلمين بأعيانهم مع كثرة ما كتب عنهم ونشر فيهم . فهلا كتبت عن ابن زهر والرازى وابن بطلان أو غيرهم مما لا يعرف الناس عنهم إلا قليلا . ولم تختار طريقاً معبداً وأنا ماعرفتك ألا مجتاز الصخور والوعور ؟؟

ولا يزال (ميزانك) ياأخى فى تقديم الكتاب وحفظ النسب بين فصوله فيه كثير من السخاء فى موضع ، والشح فى موضع فإن الفصل الذى كتبته عن آثار الفلسفة الإسلامية فى الفلسفة المسيحية واليهودية لايشفى غليلا . فقد أوجزت فيه إلى حد لاتغفره لك عربيتك وإسلامك ، ولا يغفره لك الإنصاف العلمى التاريخى ، على الرغم من أعلانك أنك لاتنتحل الأسباب للأشادة بفضل المسلمين على غير حق . فقد كتبته فى صفحتين ونصف صفحة على حين خصصت « ديكارت » بأربعين صفحة من الكتاب .

وما كنت ياأخى منصفاً للعرب حين قلت فى هذا الفصل « ولعل أسبينوزا

عرف شيئاً من نظريات العرب عن طريق موسى بن ميمون» . وإيراد الخبر على هذا الأسلوب يورده موارد الشك على حين أن Will Durant يورده مورد اليقين فى كتابه "The story of Philosophy" (١)

ولقد ذكرت ياأخى أن « هيوم » نشر كتابه « رسالة فى الطبيعة البشرية » سنة ١٧٤٠ . وليس الحق كله معك فى هذا . . . فإن « الطبيعة البشرية » ظهرت فى يناير سنة ١٧٣٩ فى مجلدين ؛ أما الذى نشر سنة ١٧٤٠ فهو المجلد الثالث وموضوعه مبادىء الأخلاق .

وذكرت ان «هيوم» بعد رحلته فى فرنسا عاد إلى أدنبرة فقضى فيها آخر سنى حياته . وهنا طفرة فى التاريخ لاأظنها خفيت على علمك . فقد عاد من فرنسا إلى أدنبرة — كما تقول — ولكنه تركها إلى لندن موظفاً كبيراً فى وزارة الخارجية فقضى فيها سنتين ثم استقر آخر الأمر فى أدنبرة سنة ١٧٦٩ (٢)

أما السياسة عند ابن سينا وكتابه فيها فلم تتعرض لها ولاله !! وأنا أعرفك ياأخى بعيداً عن السياسة المصرية بطبيعة وظيفتك وطبيعة نفسك التى ترسل الابتسامة المرة لما نقع عليه من أمورنا . . . ولكن سياسة ابن سينا تستحق الأعجاب ولا تستحق مرير الابتسامات .

وبالرغم مما ذكرته لك فأن كتابك قد ترك فى نفسى الأثر الطيب الذى تتركه عندى آثارك . وقد نزل من مكتبتى المنزلة التى أنت أعرف الناس بها. فأهنئك على كتابك وأهنئك على جهدك فى الجمعية الفلسفيه التى وقعت أعمالها من نفوسنا مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

---

(١) ص ١٦٢ .

(٢) دائرة المعارف البريطانية مادة David Hume.

محمد عبده *

« محمد عبده » يدخل فى سلسلة « أعلام الإسلام » نصاً وروحا . ولقد أحسنت اللجنة التعجيل بإخراجه فى أول السلسلة ، كما أحسن الدكتور عثمان أمين فى اختيار الشخصية التى يقدمها من أعلام الإسلام .

ومن أولى المسلمين بأن يترجم له فى الأعلام مثل الأستاذ الأمام ؟ لقد عبنا على اللجنة إقرارها ترجمة «بشار» و «أبى نواس» ولكننا اليوم نذكرها بالثناء لهذا الانتقاء .

والدكتور عثمان أمين عالم بالشيخ محمد عبده من طول ما قرأ له وقرأ عنه . حتى لقد شغل به نفسه فى رسالته التى ظفر بها بأجازة « الدكتوراه » ، ولا يزال الشيخ شغلا لصديقنا المؤلف فى الصحف تارة وفى الندوات الأدبية تارات . حتى ليصح القول إن عثمان أمين ظل لروح الإمام لو كان للأرواح ظلال .

لعل هذا الكتاب موجز لرسالة المؤلف التى قدمها إلى الجامعة ، ولعله أوجز فيه — مراعاة لاعتبار الطبع والنشر — كل ما يمكن أن يعرف عن محمد عبده .

وإيجاز الرسائل الجامعية عمل لا بأس به لمن يريدون أن يجعلوا العلم سهلا تناوله قريباً مأخذه .

ولعل ذلك كان هدف المؤلف حين قصد إلى إخراج كتابه فى هذه السلسلة المألوفة المنتشرة .

(*) للدكتور عثمان أمين أستاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب .

وليس كتاب «محمد عبده» عملا أدبياً يضع صاحبه فى مرتبة الأدباء. وأظن المؤلف لم يقصد إلى هذا من وراء كتابه ولا عناه. ولكنه عمل عالم مشتغل بالفلسفة أراد أن يرسم للقراء صفحة واضحة من حياة رجل اشتغل بالحياة الفكرية الفلسفية الإسلامية فكان علماً من أعلامها.

ومن هنا أخطأ الذين لاموا عثمان أمين على طريقته فى كتابه، ووجه الخطأ فى قولهم أن «عثمان أمين» استعرض تاريخ رجل كما كان لا كما يريده المؤلف أن يكون. فهو يعرض الحوادث ويسوقها فى تسلسل وحسن ربط وصحة عبارة وسلامة أسلوب. وهذا قصارى المؤلف فى تاريخ الرجال. وما دام المؤلف قد بلغ بذلك العرض قصده من التعريف بحياة المترجم له فلا يعنينا بعد ذلك أن نبحث عن «مفاتيح الشخصية» التى يتحدث عنها بعض النقاد فى هذه الأيام!

وما حاجة المؤلف الواضح أن يصطنع «المفاتيح» ويتكلف البحث عنها ويدعى لنفسه فضل العثور عليها ما دامت الشخصية التى يتحدث عنها سهلة التناول واضحة للقارىء لا يجد فيها عناء ولا نصباً؟؟

الحق أن فكرة «مفاتيح الشخصية» هذه فكرة يلجأ إليها بعضهم حين يريد التجنى على الكتاب لخدمة بعض الكتاب. وإلا فقد قرأنا «محمد عبده» لعثمان أمين ففهمنا حياة الشيخ من غير حاجة إلى «مفتاح». وكان المؤلف أفطن من أن يعنينا «بالمفاتيح» التى يقولون عنها فى هذه الأيام!!

ولقد قرأت فى الفرنسية كتاب Napoléon Intime لمؤلفه Arthur Lèvy وهو من الكتب التى قرظها «François Coppée» فلم أجد فيه «مفاتيح» بل وجدت الكتاب كله مفتوحا أمامى .. وقرأت فى العربية كتاب «روزفلت»

لفؤاد صروف وكتبت عنه فى الرسالة الغراء فلم أجد الباب فيه إلى حياة روزفلت موصداً ! وكذلك كان شأنى حينما قرأت «محمد عبده» .

إلا أن عثمان أمين لم يشر إلى المراجع التى وردت فيها أقوال من استشهد بهم ، فقد ذكر أقوالا لأحمد بك أمين وللمرحوم الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى ولم يشر إلى مأخذها . وذكر كلاماً لجورجى زيدان ولم يشر إلى مصدره صفحة ٢٤ ، وروى للشيخ عبد الوهاب النجار كلاماً ولم يذكر مصدره صفحة ١٠٥ .

وذكر المراجع والمصادر والمآخذ فى خلال الاستشهاد يسهل على مريد البحث المطول أن يرجع إليه فى مصدره ، وخاصة أن الدكتور عثمان لم يثبت فى ذيل الكتاب مسردا بأسماء مراجعه .

وقد جره ذلك الأغفال إلى إغفال أعداد الصحف والمجلات التى نشرت فيها مقالات للشيخ خصها المؤلف بالذكر لأهميتها ، فذكر العناوين فقط ولم يذكر أعداد الصحف التى شوقنا إلى الاطلاع عليها وعنانا بالبحث عنها .

وفى الكتاب أعلام ذكرت الحروف الأولى منها ولم تذكر كاملة مثل «ع.ا. باشا» ناظر المعارف — ص٤٢ و(ل . بيك . س) الأستاذ بالمدرسة الحربية — ص ٦٢ .

ووجه الحكمة فى إخفاء هذه الأعلام واضح فى عصر محمد عبده حتى لا يتعرض الكاتب لأذى حاكم أو سخط رئيس . . ولكنى لم أفهم وجه الحكمة فى أن يخفى علينا الدكتور عثمان أمين حقيقة هذه الأعلام بعد أن أصبحت فى ذمة التاريخ .

ولقد كان للشيخ محمد عبده راى فى الإصلاح الوئيد الثابت عن طريق التربية والتعليم لا عن طريق الطفرة والتطرف السياسى ، فكان كلام الدكتور فى هذا منقطع الوشائج. ذكره موجزاً فى صفحة ٦٢ ، ثم عاد إليه مقتضباً فى صفحة ١٢٠ حين تكلم عن جهود الإمام فى الجمعية الخيرية الإسلامية . ولو عقد فصلا مستقلا فى طريقة الإصلاح عند الإمام لوجد الكلام واسعاً موصولا كما صنع أحمد أمين بك فى الفصول الطيبة التى كتبها عن جمال الدين الأفغانى (راجع الثقافة - الأعداد من ٢٦٤ إلى ٢٦٩) .

عيب الكتب التى تخرج دورية من شهر إلى شهر ، أن كتابها يكتبون وهم مقيدون بقدر من الصفحات لا يتعدون حدوده ! ولا يرضى مصدرو هذه السلاسل أن يتسع الكتاب أو يضيق تبعا لموضوعه . ومن هنا يقع الكاتب فى غل قد تأباه سليقته ولكن تحتمه عليه المناسبة « والظروف » .

ومن هنا نجد كتب هذه السلاسل تنبسط هواديها وتنكمش أعجازها .. تنبسط حين يبتدىء الكاتب فى غير قيد ، وتنكمش حين يحتم عليه تحديد الصفحات أن يقف فى غير موقف ! وأن يختتم فى غير مختتم ! فترى آخر الكتاب ضيق الأنفاس على الضد من أوله .

وكذلك كان الحال فى « كتاب محمد عبده » فأن محمد عبده المفتى لم يعرض كما عرض محمد عبده الطالب بالجامع الأحمدى فى بضع الصفحات الأولى من الكتاب . ومحمد عبده المدافع عن الإسلام ص ١٢٦ لم يطل الكلام فيه كما طال مع الشيخ عليش صفحات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ .

إلا أن عثمان أمين يمتاز بالنصوع حتى على إيجازه ، والحق أننى أحببته محدثاً فى ندوتنا الأدبية : ندوة الأحرار . وأحببته باحثاً فى الفلسفة وكاتباً عن « محمد عبده » . وأحببته فوق ذلك مثالا رفيعاً لتواضع العلماء .

مع بعض المخطوطات المنشورة

الفائق فى غريب الحديث(*)

للعلامة الزمخشرى

ليس الفائق كتاباً فى الحديث ولكنه كتاب فى غريب الحديث وشرحه والاستشهاد على الشرح بما ورد فى الكلم الفصاح من كتاب الله وكلام العرب نظماً ونثراً . فهو أدخل فى باب اللغة والأدب منه فى باب الحديث

ولقد أوجز ابن الأثير صاحب كتاب « النهاية » الحديث عن موضوع غريب الحديث فى مقدمة كتابه ، أبان فيها عن بدء جمع الألفاظ من غريب الحديث على يد أبى عبيدة معمر بن المثنى [١] وتدرج ذلك على يد جماعة من العلماء منهم النضر بن شميل [٢] وأبو عبيد القاسم بن سلام [٣] وابن قتيبة الدينورى [٤] وأبراهيم بن إسحق الحربى [٥] ومحمد بن القاسم الأنبارى [٦]

(*) ضبطه وحققه الأستاذان على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل أبراهيم — دار احياء الكتب العربية .

(١) من علماء القرن الثانى وأوائل الثالث ، وكان إماماً فى اللغة والأدب ١١٠ — ٢٠٩ هـ .

(٢) أحد الأعلام بمعرفة العرب والرواية والحديث واللغة ، اتصل بالخليفة المأمون فأكرمه منه . سنة ١٢٢ — ٢٠٣ .

(٣) من علماء الحديث والفقه والأدب جاء إلى مصر سنة ٢١٣ هـ فسمع الناس منه سنة ١٥٧ — ٢٢٤ هـ .

(٤) هو صاحب عيون الأخبار وأدب الكاتب والشعر والشعراء ٢١٣ — ٢٧١ هـ .

(٥) من حفاظ الحديث ١٩٧ — ٢٨٥ هـ .

(٦) كان من أعلم أهل زمانه أدباً ولغة وحفظاً ورواية ؛ وهو غير أبى البركات الأنبارى صاحب « نزهة الألباء فى طبقات الأدباء » . وترجمته فى ابن خلكان وبغية الوعاة للسيوطى وتذكرة الحفاظ . وقيل إن كتابه فى الحديث ٤٥ ألف ورقة . توفى سنة ٣٢٨ هـ .

والهروى [١] الذى جمع فى كتابه بين غريبى القرآن والحديث والزمخشرى صاحب كتاب « الفائق » الذى نحن بسبيله اليوم والذى تولى ضبطه وتحقيقه وطبعه لأول مرة فى مصر الأستاذان على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، من خيرة أبناء دار العلوم وأكثرهم اشتغالا بالتأليف والتحقيق وإخراج التراث العربى الدفين .

ومن كتاب الفائق نسخة مطبوعة فى حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٤ هـ . ولا نعلم أن الكتاب طبع غير هذه الطبعة الهندية التى خلت خلواً تاماً من الضبط ، مع أننا فى زمن تأخر بنا إلى حيث الحاجة ملحة إلى الضبط لبعد ما بيننا وبين العصور الفصاح .

أما النسخ المخطوطة من هذا الكتاب فقد جاء فى « تاريخ آداب اللغة العربية » للمرحوم جرجى زيدان أن هناك نسخاً خطية فى أيا صوفيا وكبريلى وينى جامع ومكتبة دمشق (ج ٣ — ص ٤٧ مطبعة الهلال سنة ١٩٣١) .

ولقد اطمأن المحققان إلى ما جاء فى كتاب المؤرخ جرجى زيدان ، وأعوزتهما نسخة خطية فى مصر ، لأن زيدان لم يذكر عنها شيئا ، ولا أدرى إن كانا عنيا نفسيهما بالبحث عن نسخة فى مصر حتى تكون مرجعا وموثقاً لها وهما يصححان الكتاب ويراجعانه على مطبوعة حيدر آباد . وما ضر لو أنهما صبرا حتى تتصل الأسباب بين الدول بعد انتهاء الحرب فيتاح لهما الحصول على صور شمسية لمخطوطات الكتاب من دور الكتب الأجنبية التى ذكرها زيدان ، أو التى لم يذكرها ، ولكن علمها عند غيره ،

(١) أحمد بن محمد الهروى من أهل هراة فى خراسان توفى سنة ٤٠١ هـ .

فيكون التحقيق بذلك أتم والمقابلة أوفى ، على ما فيه من عظم المشقة وكثرة الصبر وطول الزمن الذى يجب أن لا يدخل فى تقدير العلماء عند ما يحققون ليحملوا للخالفين أمانات السالفين .

على أن مصر لم تخل من نسخة خطية من كتاب (الفائق) كانت فى عهد الشيخ محمد عبده . فقد حدثنى المرحوم الشيخ محمود حسن زناتى أنه عثر على نسخة منه فى مكتبة « الأتراك » وأنه بدأ ينسخها فى ذلك الحين وشجعه على ذلك الأستاذ الأمام ، فلما طبعت نسخة الهند ووصلت إلى مصر توقف الأستاذ زناتى عن النسخ اكتفاء بالطبع .

فأين هذه النسخة الخطية ، وهل خرجت من مصر أو لا تزال مطوية فوق ثراها فى عالم الإهمال والنسيان ؟ ولم لم يصل علمها إلى المرحوم جرجى زيدان ؟

على أن ذلك العتب منا على محققى الكتاب قد جاء بعد أوانه . فقد طبع الكتاب معتمداً على نسخة واحدة ، وجوزف بعمل كانت الأناة أدعى إليه وألزم له . وهى مجازفة حملت الفاضلين عناء كان يهونه عليهما تعدد المخطوطات والمقابلة بينها . ولكن عناءهما الكثير يحملنا على إنصافهما وحسن تقديرهما ، كما يحملنا على التجاوز عن العتب إلى الإشادة بالفضل . وما كب الله على المناخر مثل رجل يعرف الفضل فيجهله أو النابه فيخمله . وأعوذ بالله أن يكون ذلك منى ، ونحن راصدون للكتب بالمرصاد فيحسب بعضهم أن عيوننا لا تقع إلا على المآخذ ، ولكننا جميعاً ننشد للكتاب العربى الكمال ، حتى لا يقل عن ضريبه من كتب الغرب ، وننشد فى الكاتب العربى التمام ، حتى لا يقال فيه :

ولم أر فى عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

ولا شك أن تحقيق كتاب مثل الفائق لعالم مثل الزمخشرى يحتاج من بذل الجهد وسعة الاطلاع وكثرة التردد على المصادر إلى ما يحمد معه السعى ويثنى معه على المبذول . ولا شك أن المحققين الفاضلين بذلا من الجهد ما تشهد به الهوامش التى طرزا بها الكتاب حتى لا تكاد تخلو صفحة من هامش ، ولا يكاد يخلو هامش من الرجوع إلى كتاب .

وذلك عمل لا يعرفه إلا من يكابده ويعانيه . أما الذين أطال الله ليلهم وقصر أعمارهم فى غير العلم والتنقير عليه والتنقيب فيه فهم يحسبون ذلك أمراً ميسوراً وطريقاً ممهداً . ولكنه شىء يقرح الجفون ويضنى العيون .

ولم يقتصر عمل المحققين على الضبط اللغوى ، ولو كان ذلك لهان الأمر ولكنهما رجعا إلى الشعر يردانه إلى قائله ، ورجعا إلى أنصاف الأبيات المروية بالأصل يكملانها . ووجدا فى معجم «لسان العرب» معتمداً يستندان إليه ؛ وناهيكم به من معتمد ... فما عرفت قدر هذا المعجم إلا حين ألقت إلى الأقدار أن أقرأ «الفائق» للزمخشرى ، وأن أنقده وأن تعرض أمانة نقده على ، فأرضى أن أحملها ولا أشفق منها . . . وما أنا إلا إنسان . . .

ولقد وجدت فى التحقيق أموراً هى أسهل على المتعقب القافى منها على المنقود المقفو . . . فإن المحقق حين يبدأ العمل لا يعنيه إلا أن ينجزه ، والناقد حين يبدأ العمل لا يهمه إلا أن ينقده ... ولهذا تقع عين الثانى على ما لم تقع عليه عين الأول .

على أن النقد — بعد ذلك — لا ينقص من قدر المنقود ، ولا يبين عن مزية فى الناقد .

ولكنه عمل أرادته الطبيعة حين أرادت أن تحسن الحياة .

فلا بأس بعد ذلك من النقد ما دامت النية حسنة ، والأعمال بالنيات .

* * *

جاء فى صفحة « ه » من قول على بن حمزة يرثى الزمخشرى :

وكم للأمام الفرد عندى من يد وهاتيك مما أطاب وأكثرا

وفى البيت نقص يكسر وزنه وكماله :

وكم للأمام الفرد عندى من يد وهاتيك مما قد أطاب وأكثرا

والتصويب عن « معجم البلدان » لياقوت مادة زمخشر ج ٤ ص ٤٠١ .

وفى صفحة « و » من جواب الزمخشرى إلى أبى طاهر السلفى [ما تمثلى مع أعلام العلماء إلا كمثل السها مع مصابيح السماء ، والجهام الصفر والرهام مع الغوادى الغامرة القيعان والآكام ، والسكيت المخلف عن خيل السباق والبغاث مع الطير العناق] . وضبط المحققان « العناق » بفتحتين كسحاب وكتباها بالنون كما صنع شارح « معجم الأدباء » طبعة الدكتور أحمد فريد رفاعى . و« العناق » هنا لا تصح ، لأنها دابة كالفهد أو الكلب من جوارح الصيد ، وأين البغاث وهو طير من العناق وهو دابة ؟ . والصواب مع الطير « العتاق » بالتاء لا بالنون ، وبكسر العين .

و « العتاق » من الطير : الجوارح (راجع القاموس مادة عتق) . وبهذا تكون المقابلة صحيحة بين البغاث من الطير والعتاق منها . وقد وهم شارح معجم الأدباء طبعة الدكتور رفاعى فضبطها العناق بالفتح وبالنون وفسرها بالدابة . وتابعه المحققان .

وفى صفحة « ز » (وعزة النفس راللذب بها عن السفاسف) وصوابه

الربء بها . من الفعل : « ربأ بنفسه من أن يفعل كذا » ومنه « اربأ بنفسك » وقد وردت صحيحة فى « معجم الأدباء » طبعة رفاعى وفى « وفيات الأعيان » جـ ٢ ص ١٠٨ ، وقد نقل عنهما محققا « الفائق » . فلماذا لم يؤديا الأمانة فى النقل ؛ وخاصة أن « الربء » أحسن من « الذب » ؟

ويخفف من شدة المؤاخذة لهما أنهما فى عبارة أخرى نقلا عن ابن خلكان روايته (وأفضيت إليه نجية سرى) فجعلاها « بعيبة سرى » ، وذلك حسن .

وفى صفحة (ح) من شعر الزمخشرى :

وإن مالكيا قلت قالوا بأننى أبيح لهم أكل الكلاب وهم هم

بضمتين على الميمين من الضميرين « هم » . والصواب أسكان الأولى وضم الثانية ليستقيم الوزن .

وفى صفحة ٣١ قول رؤبة :

ياقائد الجيش وزيد المجلس أسنى فقد قلت رفاد الأوس

والبيت فى ديوان رؤبة (مجموع أشعار العرب طبعة ليبزج جـ ٣ ص ٧٤) وصحته :

ياقائد الجيش وزين المجلس أسنى فقد قلت رفاد الأوّس

والأوس بضم الهمزة وفتح الواو المشددة على وزن ركع : جمع آيس على وزن فاعل من قولهم « آس يؤوس أوساً » أى أعطى .

وفى صفحة ١٦ : (تقول العرب فى الأمر المتفاقم : إحدى الأحد) . والصواب إحدى الإحد (راجع القاموس مادة أحد) .

وفى صفحة ٢١ : (وعن أهل المدينة إنهم كانوا يرون هذا الرأى) .

والصواب أنهم بفتح همزة أن . وقد تكرر مثل هذا الخطأ كثيراً فى الكتاب وفى صفحة ٤٦ : (الآنك : الأسرب) . وفى الهامش : (ليس فى الكلام على فاعل غيره).

وكلمة « آنك » على وزن « أفعل » لا على وزن « فاعل » وليس فى الكلام « أفعل » غيرها وغير « أشد » الى فى قوله تعالى « فلما بلغ أشده » (راجع القاموس مادة أنك) .

وفى صفحة ٨١ : (ساعدة بن جؤبة) بالباء التحتية الموحدة ولعلها من من أخطاء الطبع والصواب « جؤية » بالياء التحتية المثناة . وهو من شعراء بنى هذيل . راجع ديوان « الهذليين » الذى أخرجته أخيرا دار الكتب المصرية ص ١٩٠ .

وفى صفحة ١٠٣ هذا الشطر لرؤبة :

سيـــداً كسيِّـد الردهة المبغوش

بتشديد الياء من كلمة « سيد » والصواب تسكينها ليستقيم وزن البيت من الرجز مثل كلمة ميت فإنها تقرأ ميت بالتخفيف ، وهما لغتان معروفتان .

وفى صفحة ١٥٨ هذا الرجز :

كنا ذوى ثمه ورمه حتى إذا قام على أثمه
انتزعوه يافعاً من أمه وغلب الأخوال حق عمه

والشعر من بحر الرجز ؛ والشطر الأول منه مكسور على روايتهما ، ولا يستقيم إلا بروايته على الوجه الآتى :

كنا ذوات ثمه ورمه . . إلخ

ويؤيده أن المتكلم امرأة لا رجل

وفى ص ١٦٦ هذا البيت :

ووطئتنا وطأة على حنق وطأ المقيد ثابت الهرم

والشطر الأولى مكسور ، وصوابه :

« ووطئتنا طئة على حنق » الخ . و « الطئة » بوزن عدة مصدر من الفعل وطىء ، والبيت من البحر الكامل ووزنه متفاعلن ست مرات . وعروضه هنا حذاء ، وضربه أحذ مضمر . والحذذ من علل الحذف فى الشعر ، وهو حذف الوتد المجموع ، فتصير فيه متفاعلن إلى « متفا » بحذف العين واللام والنون .

وفى ص ١٦٧ ورد اسم « مطعم بن عدى » بفتح العين من « مطعم » ، والصواب كسر العين . وفى ص ١٧٥ (جدب الثمر بعد العتمة) ، وكتبا فى الهامش « فى اللسان السمر » . ومعنى هذا أن رواية اللسان لم تعجبهما وهى الصحيحة . وما جاء فى متن « الفائق » فى الطبعة الهندية خطأ مطبعى ما كان لهما أن يجاريا . ففى « النهاية » لابن الأثير مادة « جدب » : « وفى حديث عمر رضى الله عنه أنه جدب السمر بعد العشاء أى ذمه وعابه » وفى « مسند أحمد » ج ١ ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ من حديث ابن مسعود « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدب لنا السمر بعد العشاء » . وفى « النهاية » لابن الأثير ج ١ مادة « سمر » : « يقال سمر القوم يسمرون فهم سُمار وسامر ؛ ومنه حديث السمر بعد العشاء ؛ وهو حديث الليل » وفى « نيل الأوطار » للشوكانى ج ١ ص ٤١٥ « عن أبى برزة الأسلمى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستحب أن يؤخر العشاء التى تدعونها العتمة وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها » . ومن هذا كله وجب أن تكون « السمر » بالسين بمعنى حديث الليل ؛ لا بالثاء بمعنى الثمار .

وفى صفحة ٢١٦ هذا البيت :

حتى انتهينا ولنا غاية من بين جُمّاع وغير جماع

وذكر المحققان رواية اللسان :

حتى انتهينا ولنا غاية من بين جمع وغير جماع

وهى أصح وأصوب ، لصحة الوزن ، ولم يشيرا إلى ذلك . وقد عاد الزمخشرى فى ص ٦٦٦ فأعاد ذكر البيت مصححاً كما جاء فى اللسان .

وفى ص ٢٤٩ (فلو كتبت أليه أذبحُ لأهل المدينة شاة) وصواب الفعل أذبح هنا ان يكون على صيغة الأمر بهمزة الوصل لا القطع .

وفى صفحة ٢٦٦ هذا البيت :

عجْرد كالذئب ذى الحصاص يوضع تحت القمر الوباص

وضبط كلمة « عجرد » على هذا الشكل بكسر الوزن ، والصواب « عجرَّد » على وزن « عملَّس » .

ويصح أن يبقى ضبطهما مع زيادة واو فى أول البيت ليصبح :

وعجْرد كالذئب ذى الحصاص يوضع تحت القمر الوباص

و « العجرد » الخفيف السريع والغليظ الشديد ، و « العجرد الجرىء » (راجع القاموس مادة « عجرد ») .

وفى ص ٢٧٠ ورد اسم « أبيض بن حِمال » على هذه الصورة ؛ وصوابه « حَمّال » بفتح الحاء وتشديد الميم كما ضبط فى كتب الرجال . مثل « التهذيب » لابن حجر و « المشتبه » للذهبى

وفى ص ٢٧٧ [عن عُبادة بن أحمر المازنى] وهذا الاسم منقول عن

«غريب الحديث» لابن قتيبة . والذى فيه — كما ذكر ابن حجر — عُباد ابن أحمر، بدون الهاء . وهو خطأ من ابن قتيبة ، صوابه «عمارة بن أحمر» وحقق ذلك ابن حجر فى الإصابة (ج ٥ ص١٢٩ — ١٣٠ و ج ٤ ص٢٧٤). ولكن ثبت فى الموضع الأخير فيها «عمار» بدون الهاء وهو خطأ مطبعى .

وفى صفحة ٣١٠ هذا البيت للعجاج :

خيالُ تكنّى وخيال تكتما باتا يحوسان أناسا نوّما

وهذا كلام غير مفهوم ، وصوابه :

خيال تُكنّى وخيال تَكنتُما إلخ

«وتكنى» ، «وتكتم» علمان من أعلام النساء (راجع القاموس مادتى كنى وكتم) . ولفظة «خيال» مضافة إلى العلم ، فوجب حذف تنوينها .

وفى صفحة ٣٣١ هذا الشطر :

ما أنا بالجلد ولا الحازم

وصوابه «ما أنا بالجلد ولا بالحازم» لأن الأبيات التى بعده من بحر الرجز ، ووزنه مستفعلن ست مرات . أما وضع البيت على تلك الصورة فينقله إلى البحر السريع ووزنه مستفعلن مستفعلن فاعلن . وشتان بين الوزنين والبحرين !

وفى ص٣٣٧ : (ومى سِمتنا اليوم) والصواب «سِمَتنا» ، والسمة بوزن ثمة العلامة ، وفعلها وسم .

وفى صفحة ٤١٧ هذا البيت من أبيات :

ولست بخاط خطوة لدنيّة ولا باسط يوماً إلى سومة يدا

والصواب «لدَنيّة» على وزن «مَزِيّة» وجمعها «دنايا» ، والبيت على ضبطهما مكسور ، وبحره من الطويل .

وفى صفحة ٤٥٨ جاء هذا البيت على هذه الصورة :

بحمد من سنانك لا بذم أباقر إن متَّ على مثال

وهو وضع غريب لا يفهم معه البيت . والصواب أن يوضع كما يأتى :

بحمد من سنانك لا بذم أبا قرَّانَ متُّ على مثال

و « قران » على وزن « غفران » علم على رجل ، والمثال : الفراش .

وفى ص ٤٧٨ هذا البيت :

ضربت بالمرسب رأس البطريق بصارم ذى هبة فتيق

بكسر القاف من كلمة « فتيق » والصواب أن تسكن القاف من كلمتى « البطريق » و « الفتيق » . لأن العروض هنا مقطوعة مذالة ، فيجب أن أن يكون ضربها فى الرجز مقطوعاً مذالا مثلها . والقطع فى الشعر : حذف ساكن الوتد المجموع مع إسكان ما قبله ، والتذييل : زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع . والقاف فى هذا البيت تذييل ، فوجب أن تكون ساكنة .

وفى ص ٤٩٦ جاء اسم « عبيدة السلمانى » مضموم العين ، والصواب عبيدة بفتحها كما نص عليه فى كتب رجال الحديث .

وفى صفحة ٤٩٧ :

فأينما كنت من البلاد فاجتنبنَ عرم الذواد

والنون الثانية من « اجتنبن » ينقصها شدة تحت الفتحة . وهى من أخطاء الطبع .

وفى صفحة ٤٩٨ :

وساكن أقطار الرقيع على الهوا وبالغيث والأرواح كل مشهد

والشطر الثانى مكسور .

وفى صفحة ٥٠٦ :

صَلَخْدا لوان الجن تعزف تحته وضرب المغنى دفه ما ترمرما

وضبط كلمة « صلخد » على هذه الصورة يكسر الوزن والصواب « صَلَخْدا » و « الصَّلخد » و « الصَّلخد » الصلب القوى .

وفى صفحة ٥٠٧ :

ينحى إذا ما جاهل ترمرما شجرا لأعناق الدواهى محطَّما

وضبط كلمة محطَّم بالتشديد يجعل الوزن غير مستقيم .

وفى صفحة ٥٠٩ : [رواية شَمَر] والصواب « شِمِر » بوزن كتف وهو علم

وفى صفحة ٥٤٩ هذا البيت :

مثل سحق البرود عفى بعدك القطر مغناه وتأويب الشمال

والبيت مكسور ، وصوابه :

« مثل سحق البرد » . . . إلخ . و « السحق » الثوب البالى ، و « البرد » بوزن قفل الثوب المخطط . والبيت من بحر الرمل ، ووزنه فاعلاتن فاعلاتن فاعلن .

وفى صفحة ٥٧٠ :

تنادوا يالبهثة إذ رأونا فقلنا أحسنى ملاء جهينا

والصواب « ملأ » بوزن « جبل » لا « ملاء » بوزن « سحاب » لئلا يكسر الوزن . وفى القاموس : « الملأ » كجبل الخلق

وفى صفحة ٥٧٢ :

فروى فؤادى أو أثيبى ثوابه فقد يملك المرء الكريم فيَسجح

والصواب « فيسجح » بضم ياء المضارعة لأن الفعل رباعى ، والمصدر الأسجاح

وفى هامش ص ٦١٣ :

أرقت فى القوم والصبح ساطع كما سطع المريخ شمره الغالى

والشطر الأول مكسور وصحته .

« أرقت له فى القوم » الخ كما فى اللسان ٦ ص ٩٧ .

* * *

وفى الكتاب جهد آخر بذله المحققان ، وهو نسبة الشعر إلى قائله . ولكنها لم يتما الفضل فتركا بعض الشعر ينتظر ناسبه . وما ضر لو صبرا قليلا على البحث حتى يخرج « الفائق » فائقاً فى كل شىء حتى فى نسبة الشعر ، أو ما كان من حق التحقيق عليهما أن يمضيا فى نسبة الشعر كله على سبيل واحد ؟ ومثال الشعر الذى لم ينسباه قول القائل ص ٣٦٣ :

ومطرداً كرشا الجرو ر من خلب النخل لم ينئد

والبيت لامرىء القيس من داليته التى مطلعها :

تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلى ولم ترقد

والبيت كما أثبتاه مكسور لأن همزة « رشاء » يجب أن تثبت ليستقيم الوزن . ورواية الأستاذ حسن السندوبى له :

ومطرداً كرشاء الحرو ر من خلب النخلة الأجرد

ومثال الشعر الذى لم ينسباه أيضاً قول القائل ص ٤٦٤ :

بكفى سبنتى أزرق العين مطرق

والشعر كما جاء فى اللسان مادة « سبت » للشماخ يرثى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله :

جزى الله خيراً من إمام وبوركت يد الله فى ذاك الأديم الممزق

وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفى سبنتى أزرق العين مطرق

وقيل إن الشعر لمزرد أخى الشماخ . وفى هامش لسان العرب من قول

مصححه الشيخ محمد الحسيني رحمه الله أن الشعر لجزء أخي الشماخ وهو الصحيح . ومن الشعر الذي لم ينسب قول القائل في صفحة ٦٥ .

وفي كل ماباع امرؤمكس درهم

وهو للشاعر جابر بن حني التغلبي وكان صديقاً لامرىء القيس . وتمام البيت:

وفي كل أسواق العراق إتاوة . . وفي كل ماباع امرؤمكس درهم

وهو من شعراء «المفضليات» (راجع الجزء الثاني من المفضليات ص ١١ سطر ٤ طبع دار المعارف وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون) .

وبعد ، فهذه مآخذ في كتاب « الفائق » . وما كان منها بد لكتاب لم يهتد المحققان إلى مخطوطاته . وأين سبيل تلك المآخذ إلى الجهد العظيم الذي بذلاه ، وإلى الليل الطويل الذي سهراه وإلى الأحسان الذي أحسنا به إلى اللغة والأدب . فالفائق كنز لغوي كان من العيب أن لاتخرجه مصر العربية كتفاء بالطبعة الهندية .

وما هذه المآخذ في جنب المحاسن الكثر التي يمتاز بها الفائق في طبعته الجديدة وفي ضبطه وتحقيقه على وجه لاتعيبه بعض أخطاء من الأنسان الذي لم تكمله عصمة الرحمن ؟

ومزية « الفائق » أنه معجم مقفى على حروف المعجم ، فهو لايقل عن « أساس البلاغة » ، « والصحاح » ، « والمصباح » ، لولا أن هذه في شرح الكلم العام ، وذلك في شرح ألفاظ الرسول عليه السلام .

ولنا عند المحققين الفاضلين رجاء ، وهو وضع فهرس معجمي عام في آخر الجزء الأخير من الكتاب بالألفاظ التي وردت فيه في مظانها وغير مظانها مردودة إلى صفحاتها أو إلى الحرف الذي وردت فيه . حتى يسهل الانتفاع بالفائق معجما ثميناً من معاجم اللغة .

ولهما وللناشر رضا النبي ، وثناء الزمخشري ، وشكر اللسان العربي

الرسالة للإمام الشافعى (*)

إخراج كتاب قديم إخراجاً علمياً حديثاً وحسن القيام عليه ، وترتيبه وتبويبه وضبطه وشرحه ، وتحقيق أعلامه وتنظيم فهارسه ليس من الأعمال السهلة الهينة التى يتوقف نجاحها على المادة والورق . ولكنه عمل عظيم يتوقف على علم مخرج الكتاب وتمكنه من مادة الكتاب وسعة اطلاعه على كل ما ألف حول موضوع الكتاب وما كتب قبله وما كتب بعده وتنظيم عقلية المخرج تنظيما يبعد به عن الجنح إلى الاضطراب والميل إلى الخلط ، وحسن ذوقه فى الأخراج حتى يظهر الكتاب شيئاً سوياً يسعف الراغب ، وينجد الطالب ، ويعين على فهم المسائل فهما صحيحاً ، وإدراكها إدراكا تاما .

ومن الحظ الحسن أن تتاح هذه الشروط وكثير غيرها لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر القاضى الشرعى الذى قدم إلى علماء الدين ، وأعلام الفقه ، وعشاق الاطلاع العلمى ، وإذا شئت فقل إنه قدم إلى المكتبة العربية هذا الكتاب العظيم للإمام الشافعى فجاء بحق مثالا ناطقاً فى حسن الإخراج للكتب القديمة على نحو علمى ، ومعلم نظامى .

ولم يدع الأستاذ الجليل هذا الكتاب من غير أن يقدم بين يدى القارىء مقدمة تبلغ الثلاثين صفحة ، ذكر فيها شيئاً عن حياة الشافعى واشتهاره بالعلم والفضل ، ودخوله العراق ثلاث مرات ، وخروجه إلى مصر . ثم ذكر مكانه بين علماء الإسلام ، وموضعه بين أئمة المسلمين فجعله أولى العلماء بأن يقلد ، وأحقهم بأن يتبع .

(*) شرح وتحقيق الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر .

والحق إن للعلماء فى الشافعى شهادات لاتنكر ، وما منهم ألا مثن عليه أو آخذ عنه ، أوآسف على مافاته منه . فهذا داود بن على الظاهرى يقول فى كتاب مناقب الشافعى (قال لى إسحاق بن راهويه : ذهبت أنا وأحمد بن حنبل إلى الشافعى بمكة فسألته عن أشياء ، فوجدته فصيحاً حسن الأدب ، فلما فارقناه أعلمنى جماعة من أهل الفهم بالقرآن أنه كان أعلم الناس فى زمانه بمعانى القرآن وأنه قد أوتى فيه فهماً . فلو كنت عرفته للزمته . قال داود : ورأيته يتأسف على مافاته منه)

وهذا أحمد بن حنبل ومقامه بين أئمة المسلمين معروف مشهور . ومكانه فى العلم محفوظ مذكور يقول (لولا الشافعى ماعرفنا فقه الحديث)

وحبذا لو أطال الأستاذ شاكر فى سيرة الشافعى وخرج - ولو قليلا - عن الصفحات الثلاث التى كتبها فى سيرته . ولكنا نستنجزه الوعد الذى أخذه على نفسه بكتابة سيره جامعة خاصة فى كتاب مستقل لهذا الأمام الكبير . وفى المقدمة بعد ذلك تعريف بكتاب الرسالة وكيف ألفه الشافعى مرتين . وكيف أملاه على تلميذه الربيع إملاء . وهذا الأملاء ليس على اليقين ! فليس هناك مايؤيده ولا مايدل عليه . وأنما بناه الأستاذ شاكر على الرجحان وليعذرنا فى أن نخالفه فيما ذهب إليه فالدليل الذى أتى به لاينهض وحده على رجحان الأملاء .

ويذكر الأستاذ فى الصفحة نفسها الاسم الأول للرسالة وهو (الكتاب) كما سماه الشافعى نفسه ويستنبط أنها سميت الرسالة فى عصره بسبب إرسالها إلى عبد الرحمن بن مهدى . ويعيب فى — هامش الصفحة — على المتأخرين تسميتهم كل كتاب صغير الحجم بالرسالة ، محتجاً بأن الرسالة من الأرسال . ويكرر فضيلته هذا الكلام فى مقال له بالمقتطف عن كتاب مسند يعقوب

ابن شيبة [المقتطف . يونيو سنة ١٩٤١ باب مكتبة المقتطف ـ صفحة ٧٨] ويحيل القارىء للمقتطف على صفحة ١٢ من كتاب الرسالة التى فيها هذا الكلام . والحق أن تسمية الكتاب الصغير الحجم بالرسالة ليست (عرفاً غير جيد) كما يقول الأستاذ . فكل كتاب صغر أو كبر (يرسل) المؤلف فيه آراءه إلى قرائه أرسالا . ولا يحتجز تلك الآراء لنفسه وليس من الضرورى أن يكون المقصود بالأرسال الأرسال الحسى الذى فهمه فضيلة الشيخ الجليل .

وفى المقدمة كلمة عن أصل الربيع الذى يؤكد الأستاذ أنه كله مكتوب بخطه وهذا الأيقان لم يكن فيه صاحبه مستأثراً برأيه أو متفرداً بحكمه . ولكنه أشرك معه أحد أخوانه ممن لهم بصر بالخطوط أو علم بها فوافقه على الرأى الذى ارتآه ، وكم يكون جميلا من الأستاذ لو أنه أشرك معه أكثر من واحد فإنا نعرف أن آراء خبراء الخطوط قد تختلف فى مسألة يدلى فيها كل بما عنده . وفضيلة الأستاذ قاض جليل فما باله يأخذ برأى الواحد فى هذه المسالة ؟ ؟

ويعود حضرته فى صفحة ١٨ فيضيف دليلا جديداً على أن هذه النسخة من الرسالة هى من أملاء الشافعى نفسه . والدليل أن الربيع لم يترحم على الشافعى فى كل موضع يذكر فيه اسمه . وحبذا لو كان جاء هذا الدليل فى موضعه الأصلى مع أخيه الأول فى صفحة ١٢ . . . وهنا يرد الأستاذ على من يشكون فى تاريخ نسخة الربيع ويخص بذلك الدكتور (موريتز) الذى كان مديراً لدار الكتب المصرية ومن ذهب مذهبه . ويحتج لفضيلته بحجج ، ويستشهد بصاحب صبح الأعشى . وينشر لوحتين مصورتين للموازنة بين خط وخط [لوحة رقم ١٠ ، لوحة رقم ١١] .

(سماعات الكتاب) أثبت الأستاذ شاكر سماعات كتاب الرسالة مرتبة

متسلسلة ، وحذف المكرر منها . وجعل للأعلام الواردة فى هذه السماعات فهرساً مرتباً على حروف المعجم. ثم ترجم لبعض الأعلام فى هوامش المقدمة ، وبعض هذه التراجم موجز الإيجاز كله وبعضها جرى فيه الأستاذ على طريق الظن، كترجمته للأمير أبى الحرث عبدالرحمن بن محمد بن مرشد بن منقذ بقوله [يظهر أنه ابن أخى الأمير أسامة بن مرشد بن على بن منقذ] . وتحقيق الأعلام لا يأتى من طريق الظن أو اتفاق الأسماء وقد يكون صنع الأستاذ أجمل لو أنه جعل للتراجم صفحات خاصة من الكتاب كما صنع الأستاذ الدكتور سامى حداد فى إخراج مسند ابن شيبة

(الرسالة ذاتها) تأتى بعد المقدمة والسماعات واللوحات رسالة الشافعى نفسها برواية الربيع بن سليمان ، ويقع هذا الجزء من الكتاب فى ستمائه صفحة لا تخلو واحدة منها من هامش مملوء بالتحقيقات الكثيرة والتعليقات ورد الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها أو موازنات بين نسخ الرسالة المطبوعة والمخطوطة وشروح لبعض غوامض الكلم مع ضبطها . ولقد بارك الله فى نفس الأستاذ شاكر فى الحواشى والهوامش فجاءت صفحات كوامل من الكتاب محلاة بقلمه [راجع ص ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢]

ولفضيلة الشيخ باع طويل فى التحقيق والتدقيق ، وعمله فى رسالة الشافعى هو شاهد على ذلك . هو يجمع إلى مزية العلم وخاصة الصبر على البحث فضيلة التواضع . رأى فى صفحة ١٥ أن الأجدر به ضبط كل آيات القرآن التى يذكرها الشافعى على قراءة ابن كثير ، لأنها قراءة الشافعى ؛ ولكنه أحجم عن ذلك كما يقول بنص عبارته (إذ كان شاقاً علىّ عسيراً ، لأنى لم أدرس علم

القراءات دراسة وافية) . وهذه العبارة أكبرت الشيخ فى نظرى . وجعلته من العلماء عندى فى المحل الأوثق والمنزل الآكد .

ومن فضائل الأستاذ فى كتاب الرسالة تلك الفهارس المتنوعة التى عنى بوضعها وترتيبها تسهيلا للباحث وتخفيفاً عليه . ففهرس للآيات القرآنية الواردة فى الكتاب ، وآخر لأبواب الكتاب على ترتيبها ، وثالث للأعلام مرتبة على حروف المعجم ، ورابع للأماكن التى ذكرت فى الرسالة مرتبة كذلك ، وخامس للمفردات المشروحة فى الكتاب وشرحه ، وسادس للفوائد اللغوية المستنبطة من الرسالة .

وليأذن لنا الأستاذ أن نقف عند هذه الفوائد اللغوية وقفة قصيرة ، فبعضها يفيد لأنه ورد على وجه قوى أو استعمال غالب ، وبعضها لا يفيد لأنه ورد على أضعف الروايات فى النحو أو أوهى اللغات . وما كان يجدر بمثل الأستاذ شاكر أن يتخذ من هذه الأمثلة الضعيفة الشاذة شواهد على الصحة أو الكثرة الاستعمالية ، وإلا أصبحت اللغة فوضى سائدة ، ونحن فى النحو الحديث نحاول أن نوفق بين المذاهب المختلفة ونقضى على الآراء الضعيفة والمذاهب المتهاوية ليحل محلها رأى صحيح أو قول وجيه .

ولقد عجبت أن يكون الشافعى وهو أفقه الناس بالقرآن وأفهم العلماء لسنة رسول الله — عجبت أن يكون ذلك الإمام ممن يحرون فى اللغة وراء مذهب فاسد ضعيف ، أو قول مريض عليل . وهو يعلم أن القرآن نزل بأفصح لغة وأسلم لهجة .

وأعجب من ذلك كله ألا يحمل الأستاذ شاكر ماشذ من كلام الرسالة على محمل الخطأ أو الشذوذ أو الضعف — كما يقول فى هامش صفحة ٦٥٩ ؛ بل يجعل ذلك الشذوذ [شاهداً لما استعمل فيه وحجة فى صحته] . وهو مذهب

غريب لو جرينا عليه وأخذنا به ما استبحنا لأنفسنا أن نقول فى اللغة هذا خطأ وهذا صواب ، وهذا قوى وهذا ضعيف ، وهذه لغة وهذه لغية . ولجاز لكل نسان أن يحذف النون فى الأفعال الخمسة من غير ناصب ولا جازم لأن فعلين وردا على سبيل الشـــذوذ أو الخطأ النسخى فى كتاب الرساله [مادتى ١٦٨٦ ، ١٨٠٨] . ولجاز أيضاً لكل من أمسك قلماً أن ينصب اسم كان المؤخر بعد الجار والمجرور — كما يخطىء كثير من الناس فى ذلك — لأن ذلك الاستعمال الشاذ الغريب ورد خمس مرات فى النسخة الخطية من كتاب الرسالة التى كتبها الربيع . . . [مواد ٣٠٧ ، ٣٤٥ ، ٤٤٠ ، ٤٨٥ ، ١٤٩٤

وأشد من ذلك عجباً أن يحتج فضيلة الأستاذ مخرج الكتاب للشافعى بقوله فى هامش صفحة ١٧٤ [والشافعى لغته يحتج بها . والذى يبدو لى أن يكون هناك لغة غريبة لم تنقل فى كتب العربيـة من اللغات الشاذة . .] ففضيلته يعترف فى هذه العبارة بشذوذ هذه اللغة ، ثم يجيز بعد ذلك استعمالها ويتخذ منها شاهداً على صحة استعمالها .

وبعد : فإن كتاب الرسالة للإمام الشافعى قد أوتى من الحظ كثيرا بقيام الأستاذ أحمد محمد شاكر عليه ، وهو يقع فى قرابة ثمانمائة صفحة من القطع الكبير وطبع طبعاً معتنى به ، فخرج سليما من ناحية ذوقه وفنه ، مضبوطاً محققاً من ناحية مادته وموضوعه . ولقـد اقتضى إخراج هذا الكتاب العظيم ثلاث سنوات من جهـد فضيلة الشيخ وبحثه وسهره وجده ودأبه ، وهن قطعة من العمر ، وحقبة من الدهر . فالله أسأل أن يبارك فى حياة الأستاذ الجليل ، ليتحفنا دائما ويمتع العقول والأبصار بنتائج بحثه وثمرات درسه ، وعليه سلام الله ورحمته .

تصويبات فى كتاب الذخيرة

لابن بسام ، المجلد الثانى (*)

أخى الدكتور عبد الوهاب عزام

كان من حظى أن أكتب عن « الذخيرة لابن بسام » فى مجلة المقتطف شهر يوليو سنة ١٩٤٣ كتابة سمح بها المجال المحدود . وقد أثنيت فيما كتبت على جهدك و بجهد إخوانك الذين قاموا بضبط هذا الكتاب النفيس وتحقيقه . ولقد وعدت أن أبعث إليك بكتاب خاص أصحح فيه بعض أخطاء فى الطبع وقعت فى الكتاب ، على الرغم مما بذلتم من الجهد المشكور . إلا أنى فهمت من مقال لكم بالرسالة أنك بعيد عن القاهرة إلى ثغر لا أعرف عنوانك فيه ، فرأيت أن ألقاك على صفحات «الرسالة» لقاء عاماً لا يغضبك ، لأنى أعرف عن رحابة صدرك وسماحة خلقك وحبك للعلم مالا ينزلك منازل الغاضبين من أهل الادعاء ؛ ولأنى لقيت قبلك الدكتور محمد مصطفى زيادة لقاء عاماً فى العدد (٥٢٢) بشأن تصويبات فى « كتاب السلوك » ، فما غضب ولا سخط كما يفعل المغرورون ، ولكنه سر وفرح وسعى إلىّ ليشكرنى مام الأستاذ أحمد الشايب وبعض الزملاء ، فأكبرت علمه وتواضعه ، ولا شك أنك ستهلل لهذا اللقاء ، لأنه يسرك أن يكون العمل الأدبى الذى أشرفت عليه أنت وإخوانك الكرام فى « كتاب الذخيرة » عملا يقرؤه الأدباء والمتأدبون ، فيرضون عنكم ويستزيدونكم لتخرجوا كنوز تراثنا العربى سليمة مما يشوهها أو ينتقص من جمالها .

(*) طبعة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول . تحت أشراف الدكتور عبد الوهاب عزام بك وجماعة من الأساتذة .

ولا أحب فى هذا المقام أن أكون مذيعاً ، أو أن تفهم أنت يا أخى أنى مذيع لهفوات فى الكتاب لم تقصدوا إليها ، ولكن الله شاء — كما يقول محمد بك رشـــدى فى كتابه فن القضاء — أن يحكم على الكتاب العربى ألا يكون سليما من أخطاء الطبع وألا يخلو من جدول للخطأ والصواب ، وألا يسلم من قيام بعض القراء على تصحيحه مهما بذل فيه من جهد . وذلك شىء لا يكاد يوجد فى الكتب الأجنبية التى تعرف عنها كثيراً ، وتقرؤها كثيراً فلا تجد الـ H وضعت فى موضع الـ K ، ولا تجد الـ M نزلت منزل الـ N ، كما نجد فى الكتاب العربى كلمـــة ميزاب وضعت موضع ميراث . . . ولا أزيدك !

ورد فى صفحة ١٠ سطر ٤ البيت الآتى :

أبالك أن تهاض علاك عهد هشامى وجـــد هاشمى

«وأبا لك» هنا فعل ماض يكتب بالياء لا بالألف ومضارعه يأبى . أى أن الذى منع هيض علاك علو شرف آبائك .

وفى ص ٣٨ س ١٧ « أعطى الملك محبٌّ » بشده فضمة . والصواب بضمتين هكذا « محبٌّ » .

وفى ص ٣٩ س ٦ ذكرتم ابن فتُّوح بشدة على التاء . ولكن فى ص ٢٧٤ عدتم فذكرتموه ثلاث مرات بضمة على النون من غير شدة ، فأيهما الصحيح؟

وفى ص ٤٠ س ١٥ :

لما رمته العيون ظالمة وأثرتُ فى جماله الحدق

والصواب : وأثرتْ بتاء التأنيث الساكنة لا بتاء المتكلم

وفى ص ٤٣ هذا البيت الناقص :

. . . . . فقلت لها ياقلبها أحديد أنت أم حجر؟

ولم تكملوا هذا البيت الناقص على كثرة المراجع فى مكتبة الجامعة ، وقد عجزت أنا وكثير من الأساتذة والأدباء عن إكماله . فلعل من القراء الكرام من يكمله ، وهو — كما جاء فى الذخيرة — للمأمون لحارثى

وفى صفحة ٤٤ س ١٣ : قتلوا قرة عينى ومنْ أجلى قتلوه

ووضع السكون على «من» يكسر البيت . والصواب وضع فتحة على النون وجعل الهمزة فى كلمة أجلى همزة وصل . ومثل ذلك ماحدث فى ص ٦٩ س ٤ ، فالشطر : وخذ على الريق منْ أسبابه

وصوابه : وخذ على الريق منَ اسبابه

وفى صفحة ٧٧ س ٢ ، ضبطتم الفعل مُت بضم الميم ، والأعلى كسرها كما فى قراءة حفص « ياليتنى مِت قبل هذا »

وفى ص ١٣٣ س ١٠ « أن لم أجد التأبين فأجدْ البكاء والحنين ، وأن لم أحسن التملق والأطراء فأحسنْ الخلوص والدعاء » ، ولم أجد منكم تعليقاً على الفاء هنا فى جواب الشرط فليس ذلك من مواضعها ، وما الذى جزم الفعلين أجدْ وأحسنْ ؟

وفى ص ٢١٥ س ١٦

عساكِ بحق عيساك مريحة قلبى الشاكى

بفتح الميم من مريحة . والصواب ضمها لأنها اسم فاعل من الفعل أراح من الراحة .

وفى ص ٢٢٢ س ١

فكم صافحتنى فى مُناها يد المنى وكم هب عرف اللهو من عرفاتها

والصواب مناها بكسر الميم ، وهو المكان المشهور فى الحجاز بدليل كلمة عرفات فى الشطر الثانى .

وفى الصفحة نفسها س ١٢

ولى أمل أن يُسعدَ السعد نلتُه ويَفهم سرَّ النفس فى رمزاتها

والضبط كله مُختل وصوابه :

ولى أمل إنْ يُسْعِدِ السعدُ نلتُه ويُفْهَمُ سرُّ النفس فى رمزاتها

لأن كلمة إن فى الشطر الأول شرطية ، فهو يقول إن ساعدنى الحظ السعيد نلت مُنى . والفعل يُفهمُ مبنى للمجهول وكلمة سر نائب فاعل ، والمعنى أن سر النفس يُفهم مما ترمز به .

أما تعليقكم على هامش الكتاب رقم — ٥ — فلا معنى له .

وفى ص ٢٣٠ س ١٠

دَوِيْنِ الكثيب الفرد قُضبٌ وكثبان

والصواب دُوَيْن بضم الدال وهى مصغر كلمة « دون » .

وفى ص ٣٢٢ س ١١ هذا البيت .

لم أر أن أكون من رواته إذ هو معـــدود فى هناته

والبيت كما ترون مكسور فى شطره الثانى ، ولم أعرف صحته

وفى ص ٢٢٨ س ١٥ « ونورثها إذا مُتنا بنينا » والصواب متنا بكسر الميم كما تقدم .

وفى ص ٢٣٦ س ١٠

لم يَحنك نائلك السحابُ وإنما حُمَّتْ به فصيبها الرخصاء

والصواب الرحضاء بالحاء المهملة والضاد المعجمة .

وفى ص ٣٣٨ س ١

فأن كسدت أعلاق على عليهم فلا غرو أن يكسد لدى النعم الشذر

والصواب إن يكسد لأنها إن الشرطية

وفى ص ٣٨٦ س ١٣ .

أيها العائب العـــذا ر وذو الجهل عائبه

بتنوين اللام الأخيرة من كلمة الجهل ، والصواب حذف التنوين .

وفى ص ٣٩١ س ١٥ « فشبه تبرك مُتْلواً » . ولم أفهم معنى هذه الكلمة ولعلها مجلواً كما فى الهامش .

وفى ص ٣٩٤ س ١٥ .

أو تباكر صَيْدَ ألمها فابنُ حَجر أو تبكى الديار فابن خـــذام

وابن حجر هو امرؤ القيس الشاعر الجاهلى فهل هو بفتح الحاء من حجر كما ضبطتم ؟ والياء فى الفعل تبكى لا داعى لها لأن الفعل مجزوم عطفاً على ماقبله . والصواب كتابتها هكذا «أو تَبْكِ» . ولا ينكسر البيت على هذا

وفى ص ٤٠٢ س ١٨ .

قل لأبى يوسف المنتـــقى الفاضل الأوحد فى عصره

وضبط الفاء من يوسفَ بالفتح خطأ ، لأن البيت ينكسر على هـذا الضبط ، والواجب أن ينوَّن هذا العلم « أى يصرف » ليستقيم الوزن ، فالأبيات من بحر السريع كما لا يخفى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قوانين الدواوين(*)

يعد كتاب «قوانين الدواوين» وثيقة تاريخية عظيمة الخطر لأقسام مصر الجغرافية وأحوالها الزراعية ونظام الإدارة والحكم فيها فى القرن السادس الهجرى أيام الدولة الأيوبية التى لم يصلنا عنها إلا النزر اليسير. وقد كان للمؤلف مشاركة فى الدواوين المصرية حتى ولى رياستها فى عهد الأيوبيين. وأضيف إليه ديوان الجيش وديوان المال. فهو عريق فى مناصب الدولة الكبرى، ولذا كان لكتابه قيمة كبيرة.. فأحاديثه عن أحوال الدواوين فى مصر هى أحاديث الخبير المطلع على الأمور

ومن هنا كان اهتمام المغفور له الأمير عمر طوسون بنشر هذا الكتاب عظيما، ومقصده أن ينتفع به قراء العربية والمشتغلون بشئون الزراعة والتاريخ.

وكان للأمير الراحل فضل البدء فى تحقيق الكتاب وتنقيحه قبل إعداد أصوله للطبع. ولما بلغه أن الدكتور عزيز سوريال عطية، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة فاروق الأول بالاسكندرية معنىٌ بهذا الكتاب وكل إليه أمر إنجاز العمل عن حسن تقدير، فبذل الدكتور جهوداً مضنية لم يفت سمو الأمير أن يشير إليها فى مقدمة الكتاب.

ونحن إذا أشدنا بأشارة الأمير على الجمعية بنشر الكتاب، وأشدنا بمجهود سموه فى التنقيح زمناً، وأشدنا كذلك بمجهود الدكتور

(*) تأليف ابن ممانى · تحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية. وقد نشر هذا النقد فى مقتطف مارس سنة ١٩٤٤ قبل أن تنشر مجلة الثقافة نقدا لها قد آخر.

عزيز سوريال بعد ما استقل بالعمل ، فإن ذلك كله ليس بمانعنا من أن نصرف إلى هذا الكتاب المهم عناية خاصة فنقول فيه كلمة لا تنقص من قيمة الجهد المبذول ، بل على الضد من ذلك تعلى من قيمته .

والحق أن أصول الكتاب ونسخه الخطية كانت — كما يلوح لى — على حال لا يستقيم معها إخراج الكتاب فى سهولة ويسر . ولذلك آثر الدكتور عزيز سوريال أن ينشر النص دون تصويب إلا ما لابد منه ، معتذراً لذلك بأن يظل الكتاب محتفظاً بقيمته الأثرية أو أسلوبه الأثرى . وهذا موضع نظر : فإن أقدم مخطوطة للكتاب ليست بخط مؤلفه ابن مماتى بل كتبت بعده بما يزيد على قرن . فما قيمة الاحتفاظ بأسلوب أثرى ليس للمؤلف الأصلى يد فى مسخه وتحريفه؟

والآن نذكر ملاحظاتنا :

(١) (ترجمة المؤلف) رجع الدكتور إلى شذرات ذات قيمة فى حياة ابن مماتى فى « وفيات الأعيان » و « خطط المقريزى » و « معجم الأدباء » . ولكن يظهر أنه عنّت له بعد إنجاز الكتاب شذرات أخرى كالوافى بالوفيات للصفدى . وقد وعد بنشرها مستقلة تكملة للكتاب . وما كان أجمل لو أن الناشر استوفى ترجمة ابن مماتى ووضعها فى أول الكتاب فلم يعمد إلى الإضافة والتكميل مما يدل على تأخر فى الأهبة .

وفى كتاب السلوك للمقريزى إشارات موجزة إلى ابن مماتى ص ١٠٥ سطر ٤ ، ص ١٣٨ سطر ١١ ، ص ١٦٥ سطر ٦ وفيها ذكر القبض عليه وتعليق رجليه ، و ص ١٩٢ سطر ١٢ وفيها ذكر فراره إلى حلب .

وتذكر أيضاً أنه جاء فى « السلوك » ج ١ ص ٥٨ ذكر للخطير مهذب

ابن مماتى وقد علق عليه الدكتور محمد مصطفى زيادة ناشر الكتاب بقوله (لعله ابن مماتى صاحب كتاب قوانين الدواوين) والصواب أنه والده.

ولم يتعرض المستشرق نيكلسون لذكر ابن مماتى، على حين أن الأستاذ «هيوار» ذكره فى كتابه المشهور ص ٢٠١، وهو يشيد بقيمته الشعرية. على أن القليل الذى وصل إلينا من شعره لايجعلنا نطمئن إلى حكم «هيوار» Huart على العلات.

(ب) (تحقيق وفاة ابن مماتى) يذكر الدكتور عزيز أن ابن مماتى توفى بحلب سنة ٦٠٦ هـ نقلا عن معجم الأدباء، وهـذا يوافق ١٨ نوفمبر سنة ١٢٠٩ م. ثم يعود الدكتور عزيز فى هامش صفحة ٢٢ من المقدمة فيذكر أن تاريخ وفاته على حسب رواية ابن خلكان هو ٣٠ من نوفمبر سنة ١٢٠٩ م. وهذا يوافق ما جاء فى كتاب «هيوار». ولكن السيوطى يذكر فى «حسن المحاضرة» ج ١ ص ٣٢٥ طبعة الوطن، أن ابن مماتى توفى سنة ٦١٦ هـ. وهو تاريخ علق عليه الدكتور بكلمة «كذا». ولست أرى ما يمنع صحة هـذه الرواية. فقد روى ابن دقاق صاحب كتاب «الانتصار» أبياتاً لابن مماتى يمدح فيها الملك الكامل. وهذا الملك استقل بملك مصر فى يوم الجمعة ٧ جمادى الآخرة سنة ٦١٥ هـ (النجوم الزاهرة ج ٦ — ص ٢٢٧).

والدكتور عزيز يشك فى صحة هذه الأبيات لا لسبب ظاهر إلا أنها تؤيد رواية السيوطى فى تاريخ الوفاة.

ويلوح لنا أن الدكتور عزيزاً لم يبذل من الجهد فى تحقيق وفاة ابن مماتى كل ما هو حقيق بطول أناته وسعة علمه. ولقد رجعت إليها فى ابن الأثير

طبع أحمد الحلبي سنة ١٣٠٣ هـ فلم أجد لها ذكراً فى حوادث سنة ٦٠٦ هـ ولا فى سنة ٦١٦ هـ . ورجعت إليها فى كتاب « روضة المناظر فى أخبار الأوائل والأواخر » لابن الشحنة فلم أجد لها ذكراً . ورجعت إليها فى « تاريخ أبي الفداء » طبعة دار الطباعة بالقسطنطينية فلم أجد لها أيضاً ذكراً.

ومما يثير العجب أن المقريزى فى كتاب « السلوك » لم يذكر وفاة ابن نماتى فى حوادث سنة ٦٠٦ هـ ، ولكنه ذكر فى حوادث سنة ٦٠٧ هـ وفاة يوسف بن الأسعد بن نماتى . . .

أما ابن العماد الحنبلى صاحب « شذرات الذهب » فقد ترجم لابن نماتى ترجمة مختصرة (ج ٥ ص ٢٠ طبعة القدسى) وذكره فى وفيات سنة ٦٠٦ هـ. وهو ناقل عن ابن خلكان بالتحقيق لأنه لم يذكر من مؤلفاته غير الكتابين اللذين ذكرهما ابن خلكان وهما : « نظم سيرة صلاح الدين » و « نظم كتاب كليلة ودمنة » .

(ح) (ضبط الشعر فى الكتاب) الشعر الوارد فى المقدمة محرف مكسور فى الجملة . ومع أن الناشر يصحح كلمة فى بيت « ليستقيم بها المعنى والوزن » (ص ٤٦٨) فاتته أشياء فى الشعر الوارد كله ، ففى ص ١٦ :

منه رأينا الصبح تزدا ن وتزداد انفراشاً

وصوابه : مذ رأينا الصبح يزدا ن ويزداد انفراشاً

والتصويب عن « معجم الأدباء » طبعة رفاعى لا طبعة مرجوليوث التى رجع إليها الأستاذ عزيز .

وفى ص ١٧ ضبط البيت الآتى هكذا .

ورأى أن يرسل الأسـ ـهم بالبرد فراشاً

وصوابه بالبرْد بسكون الراء .

وفى ص ١٧ أيضاً :

وأنست الصبى الصبا وأذكرت جهنما

وصوابه : وأنست الصِّبى الصِّبا

ومن التحريف فى الشعر ص ١١

كفر النصارى بعد ما عذروا به دين المسيح

والصواب . غدروا بمعنى خانوا

وفى ص ١٦ (هذا البيت فى هجاء رجل) : —

ففى أفعاله تورا وفى ألفاظه بردى

ويضبط الدكتور « تورا » بالتاء المثناة الفوقية . ويعلق فى هامش ص ٢٠ مع بعض التسرع : [فى الأصل « ثورا »] . وهو خطأ والصواب « ثورا » بالثاء المثلثة . راجع مادة « ثورا » « معجم البلدان » طبعة الخانجى . وهو نهر بالشام . وقد صنع فيه العماد الأصفهانى بيتاً يقول فيه

يزيد اشتياق وينمو كما « يزيد » يزيد « وثورا » يثور

(ويزيد : اسم نهير بالشام أيضاً .)

ويذكر الدكتور بيتين نسبا إلى عمارة اليمنى حين أمر « شيركوه » النصارى فى مصر بلبس الغيار والتعمم بغير عذبة وهما : —

ياأسد الدين ومن عدله يحفظ فينا سنة المصطفى

كفى غياراً شد أوساطنا فما الذى يوجب كشف القفا ؟

وكان يحسن بالدكتور أن يحقق هذا ، فظاهر الشعر يوهم أن عمارة كان نصرانياً . وذلك لم يقل به أحد ، فهو عريق فى الأسلام (راجع وفيات

الأعيان ج ٢ ص ٨٦) . والدكتور يروى عن ياقوت ، وعبارة ياقوت فيها خلط . وحق هذا الشعر أن يكون لابن نباتة أو لأبيه المهذب لأنهما كانا غير مسلمين ثم أسلما .

د — (النظر فى المتن) رجع الناشر فى تحقيق أسماء النواحى إلى مؤلفات أخرى ، وهو سعى جليل . ولو فعل ذلك فى أسماء النبات أيضاً لكان أتم . ولو جرى على رسم واحد فى كتابه لكان أكثر اطرادا وأوفى مراداً . ولكنه تارة يرسم هاتور : هتور ، والقراصية : القراصيا ، وزهرة المنثور : المنتور ، وتارة يذكر : التفاح القاسمى ، ثم يعود فيقول عنه : التفاح الشامى . والصواب القاسمى . (راجع « نزهة الأنام فى محاسن الشام ») . وتارة يذكر : التين البوفى ، وهو خطأ وصوابه : البرزى ، نسبة إلى برزة ، من متنزهات الشام (راجع ص ٢٦١ من « نزهة الأنام »)

وفى ص ٨١ جاء فى متن الكتاب (— وبها — أى بمصر — الأفيون ، وبها القرط) ويفسره الدكتور فى الهامش بأنه لجام الفرس !! مستعيناً فى ذلك بالقاموس المحيط ، فما معنى قول ابن نباتة بعد ذلك « وليس فى الدنيا قرط تشد عليه الخيل ألا فى مصر » . فهل معنى هذا أنه ليس فى الدنيا لجام تشد عليه الخيل إلا فى مصر ؟ الحق أن القرط وزان قفل نبات شبيه بالرطبة واسم حبه البرسيم . راجع « المخصص » . ومعنى « تشد » هنا أى تقوى عليه الخيل (راجع « القاموس » مادة : الشدة)

هـ — (الأخطاء النحوية) آثر الناشر ألا يتعرض لتصويب أخطاء الكتاب النحوية واللغوية . ولكنه عمد أحيانا أخرى إلى التصويب . فلم لا يجرى على قاعدة سواء ؟ وكيف يترك الأستاذ الدكتور أمثال هذه الأخطاء من

دون تصويب :ـ « تختلف باختلاف سنينه ص٢٧٦ » . « وتى وُجد شيئاً ص٣٢٩ » ، « وأربع مثاقيل ص ٢٣١ » ، و« لهذا الحراج ص ٣٤٥ » ، و« البطة خمسين رطلا ص ٣٦٥ » . إن ابن مماتى هو الأديب الشاعر الرئيس العين الجليل الكبير المنزلة (كما نعته ياقوت) فكتابه ـ عندنا برىء مما تركه الأستاذ الدكتور بحجة الأبقاء على أسلوبه الأثرى وإن كانت هذه حجة بعض الناشرين من الأفرنج .

أما الأبيات الناقصة المخلعة فى ص ١٧٠ المنسوبة إلى أبى الفضل الأدفوى فى فضل مدينة قوص فلا يحسن تركها على هذه الصورة ، فإنها لأبى الفضل الأدفوى مؤلف كتاب « الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد » . والمتوفى سنة ٧٤٨ هـ وهى مذكورة كاملة صحيحة سليمة فى كتابه ص ١٥ (طبع المطبعة الجمالية) .

وبعد فهذه ملاحظات لم نر بدا من ذكرها حتى تتم الفائدة للقارىء فيضيفها إلى جهد الأستاذ الدكتور عطية ، وهو جهد ملموس فى ثنايا الكتاب عند مراجعة النسخ المخطوطة ومعارضة بعضها ببعض ، وفى آخره عند تدوين المسارد (الفهارس) . وهى ثمانية مقسمة إلى فنون مختلفة بين أسماء الأعلام ، والبلدان ، والخلجان والترع والجسور والنبات والزرع ، فضلا عن الأقسام الإدارية والألفاظ المستعصية . والكتاب أخيراً مرجع نفيس .

المفضليات (*)

المفضليات هى مجموعة من القصائد العربية يبلغ عددها ١٣٠ قصيدة قيل أنها من اختيار المفضل الضبّى من رواة القرن الثانى الهجرى ، وقيل أنها ليست كلها من اختياره .

وقد طبعت المفضليات فى مصر مرتين : أولاهما فى سنة ١٣٢٤هـ وثانيتهما فى سنة ١٣٤٥ مع شرح وجيز فى كل من الطبعتين . إلى أن دفعت الغيرة والحفاظ الأدبى الأستاذين أحمد شاكر وعبد السلام هارون إلى إظهارها فى ثوب طريف معتنى بالقيام عليه والتحقيق فيه . وذلك عمل ليس بالهين وجهد ليس بالضئيل . وإنى لأتصور الشارحين وهما — فى سبيل عملهما — ينقبان بين الكتب ، ويقضيان الساعات بين المراجع والشروح والمعاجم والتراجم ، حتى يتم عملهما على أكمل وجه من وجوه التحقيق الذى نحتاج إليه اليوم فى إبراز التراث العربى القديم .

وتحقيق متن هذا الديوان يحتاج من الجهد والصبر وحسن النظر والفهم إلى مقدار اجتمع منه للأستاذين أوفر نصيب . تشهد بذلك الكتب التى أخرجاها مجتمعين أو منفردين . وكتاب « لباب الآداب » لأسامة بن منقذ الذى أخرجه شاكر ، و « الحيوان » للجاحظ الذى أخرجه عبد السلام هارون هما أصدق مثال على ما نقول .

ومن المخرجين المحدثين للكتب من يريحون أنفسهم ليضنوا القارىء ويتعبوه . ولكن الأستاذين ممن يتعبون أنفسهم ليريحوا قراءهم ، وهو تعب يهوّنه عليهما رضى الأدب اللباب عنهما .

(*) المفضل الضبى . وتحقيق وشرح الأستاذين أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هرون

أليسر من التعب والجهد ألا يكتفى الأستاذان بتحقيق المتن والشرح ، فيضيفا فهارس طيبة بالشعراء ، والقوافى والكلمات التى وردت فى الشعر ولم ترد فى المعاجم ، والأوصاف المختلفة والتشبيهات المأخوذة من البيئة العربية ، ومواضع الفخر والمعانى العامة التى توارد عليها شعراء المفضليات ؟

وكان يكون عمل الأستاذين أجمل وأشفى لحاجة النفس لو أضافا فهرسين آخرين : أحدهما للمعانى المشتركة أو المتداولة التى اشترك فيها شاعران أو أكثر ، وثانيهما للعبارات المشتركة التى لم يختص بها شاعر وحده أو يستأثر بها دون غيره ولكنها وجدت سبيلا إلى كل شاعر .

فمن العبارات المشتركة فى الشعر الجاهلى هذه العبارة : « تبصر خليلى هل ترى من ظعائن » للشاعر المرقش الأصغر . ص ٤٥ سطر ٤ ، والشطر بنصه ورد فى معلقة زهير حيث يقول :

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم

(شرح القصائد العشر للتبريزى ص ١٠٣ المطبعة السلفية) . ثم البيتان :

أعددت للأعداء موضونة فضفاضة كالهى بالقاع
أحفزها عنى بذى رونق مهند كالملح قطاع

ص ٨٤ سطر ٦ يكادان يتفقان لفظاً مع قول حسان بن ثابت :

لقد غدوت أمام القوم منتصفا بصارم مثل لون الملح قطاع
تحفز عنى نجاد السيف سابغة فضفاضة مثل لون النهى بالقاع

(ديوان حسان ، شرح محمد العنانى الضابط ، ص ١٠) .

ومن المعانى المشتركة قول المرقش الأصغر .

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

(المفضليات ص ٤٧ سطر ١) ويشبهه قول الشاعر :

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهى ولأم المخطىء الهبل

ومن المعانى والعبارات المشتركة قول المرقش الأصغر :

دما بدم وتعفى الكلوم ولا ينفع الأولين المهل

(المفضليات ص ٥٠ سطر ٢) ويشبهه قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته

تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت ينجمها من ليس فيها بمجرم

(جمهرة أشعار العرب ـ المطبعة الأميرية ، ص ٤٩) .

ومن المعانى والعبارات المشتركة قول الخصفى المحاربى ص ١٢٠ سطر ٨ :

لنا العزة القعساء نختطم العدى بها ثم نستعصى بها أن نخطما

ويشبه الجملة الأولى من البيت قول الفرزدق :

لنا العزة القعساء والعدد الذى عليه إذا عد الحصى يتخلف

(شرح ديوان الفرزدق ـ طبعة الصاوى ص ٥٦٦ ـ السطر الأول من الهامش) .

والمعانى والعبارات المشتركة كثيرة جداً فى المفضليات ، وما كان أحوجها إلى مسرد نفيس جديد فى نوعه من صنع الأستاذين .

وقد لجأ الشارحان فى كل قصيدة إلى عملين جليلين : شرح الجو الذى قيلت فيه القصيدة ، والدواعى التى نزعت بالشاعر إلى قولها ، وتخريج القصيدة فى كتب السير والأدب والدواوين واللغة وغيرها . وهذا العمل الثانى يقتضى من الجهد والضنى ما يستحق عليه الناشران التهنئة والتقدير .

وما دام الكتاب ديواناً للشعر الجزل الرصين فكم كنا نرجو أن يضع الشارحان جدولا فى ذيل الكتاب بالزحافات والعلل التى وردت فى النص حتى يكون القارىء على بصيرة منها فلا تشوش عليه موسيقى الشعر . وقد

يعتذر الشارحان بان هذا ليس من سبيل عملهما فى إخراج ديوان. ولكنهما شرحا وعلقا وحققا واستحدثا فهارس لم يسبقا إليها فى إخراج ديوان شعرى، فما ضرّ لو أضافا إلى الفضل فضلا ؟

ومن هذه الزحافات والعلل والعيوب الشعرية التى لم يتعرضا لها أصلا : سناد الأشباع ص ٢٦ سطر ٨ . ففى البيت اختلاف حركة الدخيل بحركتين متقاربتين فى الثقل . وقد وقع هذا العيب فى ص ٨١ البيت الخامس ، وفى صفحة ٣٣ البيت الرابع .

ومن العلل « الخرم » الوارد فى ص ١١٧ سطر ١ وفى ص ١١٨ سطر ٤

أما البيت المشهور للمرقش الأكبر :

النشر مسك والوجوه دنا نيرُ وأطراف البنان عنمْ

فقد ذكر الشارحان فى الهامش ص ٣٨ أن كلمة دنانير يقرؤها كثير من الناس مصروفة وهو خطأ — اهـ . وهذا صحيح . ولكن ما بالهما استعملا هذا الخطأ فى صفحة ٣٩ المقابلة . فقد أوردا البيت :

بيض مصاليتٌ وجوههمُ ليست مياه بحارهم بعُممْ

بصرف كلمة مصاليت . والصواب منعها من الصرف مع استقامة الوزن . فالقصيدة من البحر السريع . وتقطيع الشطر الأول : مستفعلن مفتعلن فعلن . وذلك مأخذ ما كان ينبغى أن يفوتهما .

وبعدُ . فالمفضليات فى ثوبها الجديد عمل يهنأ عليه الشارحان . والكتاب لا غنى عنه للأديب الذى يود الاستيثاق من لغته الشريفة والتمكن من أساليبها القديمة التى هى ثروة الكاتب وعدّة الأديب .

وفق الله الأستاذين إلى إتمام عملهما بنشر كتب المتقدمين نشراً مثل هذا تطمئن إليه النفس ويعتمد عليه الباحث .

ديوان منسوب للمعرى(*)

عرفت من أحد علماء العربية مشافهة أن المخطوط المنسوب لأبى العلاء ليس عليه تاريخ يعين زمانه ، وأن به مقدمة قصيرة ، وأن الخط المكتوب به بقلم النسخ القريب من خطوط القرن العاشر فما بعده .

أما المقدمة القصيرة فقد نشرتها « المقتطف » ، وهى ليست من أسلوب أبى العلاء بسبيل . فإن عبارات التحميد ليست مما جرى عليه المعرى فى مقدمة « سقط الزند » ، ومقدمة « لزوم ما لا يلزم » . فهو فى هاتين المقدمتين بعيد عن التحميد ، وإن كان يختمهما بطلب التوفيق من الله . أضف إلى هذا ورود لفظة « أشغل » وهى لغة رديئة فى « شغل » .

وهناك أمور تجعل القارىء فى شك مريب فى نسبة هذا الديوان إلى أبى العلاء المعرى . وقد يكون « لأبى علاء معرى » آخر ممن ولدوا بالمعرة واشتركوا مع شاعرنا المشهور فى الكنية والنسبة وعاصروه أو تأخروا عنه ، مثل أبى العلاء بن أبى الندى ، وأبى العلاء أحمد بن أبى اليسر ، وأبى العلاء بن عبد الله بن المحسن وغيرهم .

ومما يحمل على الشك فى نسبة هذا الديوان إلى شاعرنا المعرى التنوخى أمور منها :

١ — أن طريقته التى التزمها من حبك أول البيت وآخره هى طريقة متأخرة لم تكن معروفة فى عهده . والمتتبع لتطور الشعر العربى يلاحظ أن « الحبك البديعى » لم يظهر قبل عصر « صفى الدين الحلى » من شعراء القرن الثامن (٦٧٧ — ٧٥٠) . ولعل « الحلى » أول من استعمل « الحبك »

* هو رسالة لطيفة محفوظة بدار الكتب الظاهرية تحت رقم ٥٥٤٢

فى شعره . وكان ذلك فى قصائده المعروفة « بالأرتقيات » التى مدح بها المنصور أحد ملوك الدولة الأرتقية بماردين . على أن طريقة الحبك هذه لم تجد لها — بعد صفى الدين الحلى — سوقاً رابحة عند الشعراء وعلماء البديع . فإن تقى الدين بن حجة الحموى (٧٦٧ — ٨٣٧ هـ) لم يشر إليها فى « بديعيته » ولا فى شرحها المعروف (بخزانة الأدب) مع أنه أورد فيها مائة واثنين وأربعين نوعاً من البديع . ولعل هذا يدل على أن تلك الطريقة غير متأصلة فى أدبنا .

ولقد قال — وقد يقول قائل — إن الأخذ « بالحبك » والتزامه والتزام العدد نوع من « لزوم ما لا يلزم » الذى أخذ أبو العلاء به نفسه فى كثير من شعره . ولكن الرد على هذا أن التزام ما لا يلزم هو شىء شرحه المعرى فى مقدمة اللزوميات شرحاً فائضاً . وهو شىء يتعلق بالقافية فقط وما يتصل بها من الروى . أما أوائل الأبيات واتفاقها بعضها مع بعض واتفاقها مع أواخر الأبيات ، والتقيد بعدد معين من الأبيات فى كل قصيدة ، فذلك ليس من « لزوم ما لا يلزم » فى قليل ولا كثير .

٢ — هذا الديوان فى الغزل وفيه صبابات وأشواق لم تعرف عن أبى العلاء المشهور . وليس معنى هذا أن أبا العلاء لم يتغزل قط . فله القافية التى أولها : « زارت عليها للظلام رواق » ، وله الضادية التى أولها : « منك الصدود ومنى بالصدود رضا »

وأبو العلاء أعقل من أن يعنى نفسه بغزل متكلف ، وأن يختص به ديوانا برمته . فقد صح له بعض الغزل والشوق الملح إلى المعرة ، كقوله وهو فى الكرخ مخاطبا البرق :

فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسالى

٣ — يقول فى المقدمة : أن هذا الديوان فى التشوق الى حلب ونواحيها . وليس فيه إلا بيتان اثنان فيهما إشارة إلى ذلك ، ذكرهما الأستاذ أسعد طلس فى كلمته التى قدم بها بين يدى الديوان . على أن المعرى فى شعره الصحيح فى الحنين إلى وطنه يصرح بذكر المعرة ولا يذكر « حلب » ، كما تقول مقدمة الدايون . ومن شعره فى المعرة غير ما أوردته سابقاً قوله :

سرى برق المعرة بعد وهن فبات برامة يصف الكلالا

٤ — فى الديوان أخطاء فى اللغة والنحو تعجب من صدورها من أبى العلاء المعروف بعلمه الواسع . وفيه تساهل وتجوز لم يعرف فى عصر أبى العلاء فهو يقول : « وقلبى إلى نحو الأحبة مجبذ » . والصحيح أنها مجبوذ بمعنى مجذوب . لأن الفعل ثلاثى لا رباعى . ويقول : (فما استنشقتها الريح إلا وهبت » والواو هنا بعد إلا لحن لا يفوت على مثل أبى العلاء . قال تعالى : « ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » . ويقول : « قفوا وانصفوا » بهمزة الوصل ، والصحيح قطع الهمزة لأن الفعل رباعى . وكان الأولى أن يقول : « قفوا أنصفوا » بحذف واو العطف ليتم القطع . ثم يقول : « وما المبتلى والمستريح سواء » برفع سواء . والأولى نصبها على لغة الحجازيين الغالبة ، لا رفعها على لغة تميم .

٥ — فى الديوان تعابير ليست لأبى العلاء ولكنها الشعراء قبله مشهورين . والمعروف أن المعرى كان حريصاً فى أخذه معتزاً بتفرده فى تعبيره .

فقوله : « موعدك الحشر » من قول الهذلى فى رائيته الفائتة . وقوله « زنت أعين منا وعفت ضمائر » من قول الحمدانى : « لقد كرمت نجوى وعفت ضمائر » .

وقوله : « عشيات أيام الحمى » من قول شاعر الحماسة : « فليست عشيات الحمى برواجع » .

وقوله : « وحراس على حراص » من قول ابن حجر الكندى :

تجاوزت أحراسا إليها ومعشراً على حراصاً لو يشرون مقتلى

(٦) فى الديوان تعبيرات ركيكة واستعارات وتشبيهات سخيفة أو غير مألوفة فى عصر المعرى . كقوله :

ذوائبه مسك ثنـــاياه لؤلؤ وخداه تبر والعـــذار زمرد

فالخدود تشبه بالورد . العذار يشبه بالنبت الناجم ولا يشبه بالزمرد . ثم كقوله :

غرير شممت منه فاه بسحرة فقلت له هل أنت للمسك ماضغ؟

يريد أنه عذب المقبل ، طيب رائحة الفم . والتأليف هنا سخيف .

ومن التأليف الركيك قوله :

جلاء همومى طيفكم يوضح الدجى وإلا فأنفاس الصبا تتأرجح

وقوله :

جميلا فما فعل الجميل بضائع ولاسيما فى الصب والصب أحوج

ومن الاستعارات السمجة قوله :

رشا صام علوا فادعت يثرب الحشا وأفطر سفلا فادعت ردفه مصر

(٧) فى الديوان تذلل فى الغزل ، وهذا ليس بأخلاق المعرى أشبه . وكلمة الذل والتذلل تدور فى هذا الديوان مرات كثيرة كأنها مضروبة على صاحبه ، فهو يقول : « طباعى أبت إلا التذلل فى الهوى » ويقول : « رأى ذلتى فى العشق فاعتز واعتدى » وغير ذلك .

الحق أن هذا الغزل المنسوب إلى أبى العلا يشبه غزل ابن الفارض فى تذلله حيث يقول :

منى له ذل الخضوع ومنه لى عز المنوع وقوة المستضعف

ولعل ناظم هذا الديوان المريب متأخر جرى فيه مجرى « عمر بن الفارض » فى غزله الصوفى .

(٨) فى بعض أبيات هذا الديوان رقة ذائبة أراها كثيرة على أبى العلا المعرى الزاهد المخشوشن حتى فى لفظه . . . كقوله :

أصابت فؤادى أسهم اللحظ إذ رمت فلله قتلى الأعين الشهداء

وكقوله :

دفعت إليها فى الوداع وديعة وقلت احفظيها إننى سأعود

ولقد ورد فى الديوان بعض التصحيف مما سها عنه الناشر مثل : « فها أنا أدرى مثلهم وأساء » والصواب : أوذى . ومثل : « فقلت دعونى ميتاً إنما يسمح الحى » والشطر مكسور لزيادة كلمة ميتاً ، والصواب حذفها ليقوم الوزن . ورحم الله أبا العلاء .

فی دنیا التراجم

كتب التراجم (*)

قد تستهوى الإنسان سيرة عظيم من العظماء ، أو أديب من الأدباء ، أو عالم له فى ميدان البحث العلمى مجال ، أو مغامر له فى الكشف مصاولة ، فيقرأ عنه ويتتبع حياته ، ويجد فى مثله العالى ما يستحق العرض والتجلية . ثم يحمله الإعجاب به والاتصال به — من قريب أو بعيد — على الكتابة عنه والترجمة له ووصف الظروف التى كونته ، والأقدار التى أحاطت به ، والأحداث التى ألمت بعصره والمبادىء التى تحدرت عنه .

وقد يكون ذلك العظيم — موضوع الترجمة — شرقياً فيجد الكاتب الشرقى فخراً فى الكتابة عنه والترجمة له ، مدفوعا إلى ذلك بعامل الاشتراك فى الجنس أو اللغة أو الدين . ويجد الكاتب الغربى فى الترجمة له إنصافاً لعظمته وإظهاراً لفضله . وقد يكون ذلك العظيم غربيا فيجد الكاتب الشرقى لذة وفائدة لبلاده ومعرضاً لعرض المثل الصالح والأسوة الحسنة .

وكتابة التراجم المطولة ، والدراسات الشخصية المعتدلة المنصفة لا تتقيد بوطن ولا جنس ، ولا شرق ولا غرب ، ولا دين ولا مذهب .

فأميل درمنجهم كتب عن حياة النبى محمد ، وأميل لدويج كتب عن حياة المسيح ، وفيليب جوادالا كتب عن حياة نابليون الثالث ، وماريوس أندريه كتب عن حياة خريستوف كولمب ومغامراته فوق أثباج المحيط ، والسير والتر سكوت كتب عن حياة نابليون بونابرت ، وتوماس كارليل الإنجليزى ترجم لفردريك شيلر الشاعر الألمانى ، وآرم سترونج كتب

(*) بمناسبة كتاب « روزفلت » للأستاذ « فؤاد صروف » .

عن الذئب الأطلس أتاتورك ، وكرابيتس كتب عن إبراهيم باشا وإسماعيل باشا المصريين

لهذا ليس عجيباً فى باب التراجم أن يكتب مصرى عن غير مصرى ، أو يترجم عربى لحياة غـــير عربى كما صنع الدكتور محمد حسين هيكل مع جان جاك روسو ، وعبد الرحمن بدوى مع نيتشه واشبنجلر وغيرهما من أعلام الفكر والفلسفة ، وحسن محمود مع ديستويفسكى ، وفؤاد صروف مع روزفلت

وقد يقال إن كتاب الأستاذ فؤاد صروف عن فرانكلين روزفلت هو من قبيل السياسة . وهو كلام فيه كثير من الحق . ولـكن ما أحوجنا نحن قراء العربية إلى كتب من هذا الطراز فإن الفقر يضرب على مكتبتنا العربية فى هذا الباب . لولا ما أخرج العقاد عن سعد زغلول ، وما أخرج عبد الرحمن الرافعى عن الزعيم الوطنى مصطفى كامل ، وما صنعه محمد فريد أبو حديد مع السيد عمر مكرم ، وما كتبه كريم ثابت عن فؤاد الأول .

إلا أن هؤلاء استوحوا وطنهم واستمدوا من تاريخ بلادهم وترجموا لأعلام رجالهم ، ولـكن فؤاد صروف استشرف إلى ما وراء العباب ، واستكفّ ما خلف السحاب ، فكتب كتابه الأول عن تشرشل (وقد كتبتُ عنه فى حينه بالرسالة الغراء) وأخرج كتابه الثانى عن روزفلت . ولـكن ذلك لا ينقص من شأن كتابه ، بل على الضد من ذلك يرفع من قيمته ويُغلى من بضاعته . لأن حياة روزفلت وسيرته وقصة كفاحه هى شطر من حياة الديمقراطية وقصتها . ومن منا اليوم لم تشغله قضية الديمقراطية ولم تفتنه قصتها ؟ ومن منا لم تذهب نفسه اليوم حسرات على المحنة التى تبتلى الحرية اليوم بها وتصلى بنارها ؟

ولا يرجع إعجاب فؤاد صروف بشخصية روزفلت إلى زمن اشتراك أمريكا فى الحرب ، ولا إلى اندلاع الشرارة الأولى لها حتى يقال إنه حب طارىء وإعجاب عارض ؛ ولكنه حب متمكن وإعجاب قديم دفين يرجع إلى أكثر من عشرين عاماً حين رشح الرئيس روزفلت نفسه لوكالة الجمهورية . فقد تابعه المؤلف منذ ذلك الحين وشغف به وتحمس له وتقصى كل نبأ عنه أو خبر له ، وطوى نفسه على متابعته والقراءة عنه حتى تهيأ له اليوم أن يخرج كتاباً قيما فى مائتين وأربعين صفحة من القطع الكبير .

ولقد كانت تجرى كتابة التراجم فى اللغة العربية على نسق محدّث مل يعنى بالسرد والقص والحكاية والجمع والترتيب والتأريخ ، ولا يعنى بالدراسة والسيكلوجية والتحليل والنظرة العامة أو المقارنة . وكتب المؤرخ ابن الجوزى عن العمرين (ابن الخطاب وابن عبد العزيز) . وكتاب يوسف بن شداد عن صلاح الدين الأيوبى خير مثال لهذا النسق العتيق .

أما اليوم فقد تغيّر المجرى واستقام النسق وتأثر كتاب العربية بكتاب الفرنجة فى هذا الباب ، وأخذوا عنهم طرق الدرس ومناهج البحث ، وظفرت العربية بما كتب هيكل عن النبى محمد وأبى بكر ، وبما كتب العقاد عنهما وعن عمر وسعد زغلول ، وبما كتب الرافعى عن مصطفى كامل ؛ وفؤاد صروف عن روزفلت .

وكتابة التراجم لها فى الآداب أى اعتبار ، ولا يكاد يخلو إنتاج أديب ملحوظ من ترجمة شخصية أعجب بها وتوفر على درسها ، مهما كان لون هذه الشخصية ومزاجها ومجالها الحيوى فى السياسة أو العلم أو الفن . فلويس ديميه يكتب عن ديكارت الفيلسوف ، وهنرى بيرو يكتب عن روبسبير ،

وفرانسوا موریاك عن راسين ، وراؤول أرنو عن كاميل ديمولان ، وأميل لدويج عن روزفلت .

ومن كتب التراجم ما يتحدث فيه المرء عن نفسه ويترجم لذاته . وهذه التراجم غير كتب المذكرات التى يدون فيها رجل ممتاز حوادثه اليومية كمذكرات اللورد جراى . وقد تكون هذه التراجم الذاتية قطعاً أدبية ممتازة كترجمة (لى هانت) لنفسه وهو من كتاب الإنجليز فى القرن التاسع عشر ، وترجمة دى كوينسى التى كانت سابقة على كتابه المشهور « اعترافات آكل أفيون » ، وترجمة جيبون المؤرخ الإنجليزى التى حكم لها النقاد بالامتياز فى نوعها وأسلوبها الذى يعد بحق مزية ذلك المؤرخ العظيم .

والترجمة للأناسى تتطلب فناً غير ترجمة الحيوان الأعجم . لأن ترجمة الناس تقتضى الاختلاط بهم أو السماع عنهم أو القراءة لهم أو رؤية آثارهم . أما الترجمة للحيوان فتقتضى ملاحظة أقوى وجلداً أكثر ، وعلماً أغزر ، وإحساساً أعمق . وتوفر الكثير من هذا فى موريس مترلنك ، فترجم لحياة النحل وحياة النمل بما لا يتهيأ لكاتب عادى أن يصنعه . ولكن لدويج ترك ترجمة الحيوان إلى ترجمة الذوات ... فكتب عن «النيل» كتابه الذى جسد فيه هذا النهر الخالد كأنما كان يترجم لإنسان .

ولكتابة التراجم سبيلان : سبيل الاتصال الشخصى بالمترجم له والاختلاط به والعمل معه أو تحت ظله وفى ذراه ، وسبيل القراءة عن المترجم له وذلك لبعد الزمان بين الكاتب وبينه . كما صنع أرفنج ودرمنجهم عن النبى ، أو لبعد المكان كما صنع فؤاد صروف مع روزفلت اليوم .

وإذا جمع كاتب التراجم بين قرب الزمان والمكان من المترجم له كان ذلك أقرب إلى الصدق وأدنى إلى الحق ، وخاصة إذا كان الكاتب غير ميال

إلى الهوى فى حكمه أو الغرض فى رأيه . ولكن بعد الزمان وحده خير ضمان للاعتدال فى الحكم لبعد الكاتب عن المؤثرات والمغريات .

فسيرة ابن شداد عن صلاح الدين هى أقرب السير زماناً ومكاناً من المترجم له . فالمؤلف معاصر لصلاح الدين وقاضى عسكره وناظر أوقاف بيت المقدس فى عهده . وهى سيرة صادقة إلا أن فيها بالطبع بعض الميل .

* * *

جرت عادة القراء أن يبدأوا الكتب من أول فصولها . ولكننى قرأت «روزفلت» من الفصل الثالث . وهو عندى خير فصول هذا الكتاب القيم . فهنا سيرة زكية من النضال والكفاح . هنا قوة تسرى من الكتاب إلى القارىء فتوحى إليه أن الضعف ليس عدة الرجال ولا أداة الأبطال . هنا جسد اصطلح عليه المرض ومشى فيه الشلل ، ولكن عزيمة صاحبه كانت أقوى من أن تخضع للحوادث . هنا سيرة يقرؤها المريض فيصح ، والضعيف فيقوى ، والهيابة النكس فيتقدم .

وقد تمد فصول الكتاب الخمسة عقل القارىء بألوان من العلم والسياسة والمعرفة بأحوال العالم الجديد ونظمه ودستوره ومجلسيه التشريعيين وحكومته ونظام اقتصاده ؛ ولكن الفصل الثالث يمد قلب القارىء بالشجاعة ويملؤه بالقوة ويجعله موصول الآمال . حتى فى الساعات الحرجة واللحظات العصيبة ، لأن الإرادة القوية تغلب كل حرج ؛ وتتحكم فى كل شدة ، فهذا الرجل المشلول لا ينطوى على نفسه كمن تقعدهم الأدواء ولكنه طلعة دءوب ، فكيف تصده آفة جسدية عن تحقيق مطامعه القوية ؟

ومزية كتاب « روزفلت » أنه ليس من الأدب المحض وحده أو الفن الصراح وحده ، فليس من نوع النثر الفنى المقصود لذاته ؛ ولكنه فكرة قبل أن يكون كتاباً ، ومعنى قبل أن يكون لفظاً ، فهو طراز عال من كتب

السياسة الأدبية التى اتجه إليها الكتاب فى العصر الحديث . فلم يحاول فؤاد صروف فيه أن يكون عالماً فحسب أو سياسياً فحسب أو أديباً فحسب ، ولكنه كان مزيجا من ذلك كله ، فهنا علم بالنظم الأمريكية ، وهنا معرفة بتيارات السياسة الدولية ، وهنا إحاطة واسعة بأشتات التاريخ الذى وعاه المؤلف فى صدره ، وهنا أدب يتجلى فى تعبير مترسل مستقيم المنطق صحيح التسلسل ، وهنا ريشة مصور لا أقول إنها عنيفة ولكنها صادقة ترسم الحدود وتوضح المعالم فى بيان وجلاء .

وهو كتاب يذكرنى بكتاب أندريه موروا الفرنسى فى تاريخ انجلترة .

ابو تمام الطائى (*)

حياته وشعره

شغل المتنبي الدنيا زماناً وشغلته . واختصم الناس فى شعره بين متعصب له ومتعصب عليه ، ورافع من قدره وغاض من شأنه . وكان ذلك فى زمانه . وبعد ألف سنة شغل المتنبي الدنيا من جديد ، وكثر الكلام فيه عوداً على بدء . فتناوله من أدبائنا الدكتور طه حسين ، والدكتور عبدالوهاب عزام ، والأستاذ محمود محمد شاكر .

والأدب كالرزق حظوظ وأرزاق ، وجدود وأقدار ، فإن حظ أبي تمام من السعد لم يكن مستوياً مع حظ المتنبي . وإن كان أبو تمام فى رأى بعض الناس شاعر العربية الأكبر .

ومن هؤلاء القوم الأستاذ نجيب محمد البهبيتى مؤلف كتاب « أبو تمام الطائى — حياته وشعره » فقد أخرج كتابا فى حبيب بن أوس ، بلغت صفحاته فوق المائتين ودون الثلثمائة ... وختمه بهذه العبارات : ولقد بلغت الفكرة الشعرية فى يد أبي تمام أوجها ، فلما بلغت المتنبي التبست عنده بالفلسفة ، ولم يكن حسه بالجمال يعدل حس أبي تمام به ، وكان أكثر شغلا بمظاهر القوة فى الوجود . فأخذ معنى الشعر عنده ينحدر شيئاً ، وتلك العاطفة الرقيقة العذبة — برغم قسوتها حيناً — تستحيل عنده إلى عاطفة ، خشنة شيئاً ، صاخبة ، هى لون ألوان صراع نفس معذبة مع الحياة الجبارة

(*) للأستاذ نجيب محمد البهبيتى . ٢٤٣ صفحة من القطع الكبير . مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة سنة ١٩٤٥ .

فى ذلك العصر الغريب . فابو تمام عندى شاعر العربية الأكبر ، لا أعدل به شاعرا آخر من شعرائها » . وجميل جداً أن يلقى أبو تمام بعداً أكثر من ألف عام هذا التقدير الكبير من كاتب مصرى ، بعد الذى قاله أبو تمام فى فى ذم سيره إلى مصر بعد مفارقتها (١) .

أليس هذا دليلا على أن مصر لاتتعصب ولاتصدر فى الرأى عن هوى ولكنها تصدر فيه عن تدبر وتفكير ؟

ولقد هجا أبو تمام ، وهو دمشقى المولد — أو على التحقيق قريب منها — قوماً بمصر ، منهم عياش بن لهيعة ويوسف السراج الشاعر المصرى الذى كان مع المفسدين بين عياش وبينه . ووصف وجهته إلى مصر بأنها : «بلا طالع سعد ولا طائر سهل» . ولكنه وجد فى مصر من ينصفه ويدفع عنه ويلتمس له العذر فيما قال من الهجاء وخاصة عند رحيله عنها . ويقول المؤلف فى ذلك : « فانفتل أبو تمام غاضباً فى شىء من يأس الشباب ، ولكنه لم يكن نذلا فلم يخلط بين الوطن الذى آواه ، وبين الرجل الذى ضن عليه — يعنى عياشاً » .

ولكن أبا تمام الذى هجا أمير مصر وهجا أحد شعرائها لم يسلم من لسانه أمير الشام موسى أبو المغيث أحد أمراء دمشق من قبل المعتصم العباسى .

ويجرى المؤلف فى كتابه على طريقة فى البحث يحمدها له فن التأليف الصحيح . فقد خص طيئاً ، وهى قبيلة الشاعر ، بصفحات . ومن الضرورى فى دراسة الأديب أن تدرس قبيلته ، وأن يرد إلى مكانه منها . وما فى ذلك بأس . ولكن البأس أن تخرج هذه الدراسة القبلية بالمؤلف إلى ما ليس غرض الكتاب . والذى أفهمه — أو فهمته على الأقل — أن غرض

(١) هبة الأيام فيما يتعلق بأبى تمام للبديعى ص ١٨٠ .

الكتاب هو أبو تمام وشعره ، وليس الغرض أن يطول الحديث فى قبيلته إلى حد يبلغ من الكتاب سدسه . وعذر المؤلف أن الأصل فى كتابه أن يكون رسالة جامعية . وفى هذه الرسائل قد يحلو الكلام ويطول النفس ، ولو لم يكن فى المقام حاجة إلى طول . . .

ولقد فطن المؤلف نفسه إلى طول هذا الباب ، ولم يحتج إلى من يذكره به أو يدله عليه ، فذكر فى المقدمة — الطويلة أيضاً — أنه « دراسة مطولة لتاريخ طىء فى الجاهلية والإسلام » . وقد كان فى مكنة المؤلف أن يرد شبه المستشرقين وأتباعهم فى نسب أبى تمام ونصرانية أبيه فى كلام موجز ، وكان فى استطاعته أن يثبت أن طيئاً يمنية فى كلام موجز ، كما كان فى استطاعته أن يوجز فى علاقة طىء بالحيرة والغساسنة .

والحق أن هذه الإطالة فى الكتاب لم تملل ، ففيها من التاريخ كثير لعشاق التحقيق التاريخى ، وفيها رجوع إلى كثير من المصادر التاريخية ، أمثال : معجم البلدان وابن الأثير وابن خلدون ومروج الذهب وجمهرة الأنساب وغيرها .

* * *

أما حياة أبى تمام فقد بدت فى الكتاب حية ناطقة . وقد طال هذا الباب حتى أربت صفحاته على المائة . وهو طول لم يكن منه بد ، ولا عنه معدل . ولذلك حمدنا هذا الطول حينما وضع موضعه .

ويشهد القارىء هنا مولد أبى تمام فى حديث طويل ، كما يشهد نشأته ورحلته إلى مصر والعراق ، واتصاله بمن اتصل من أمثال عياش وأبى المغيث وآل عبد الكريم وابن طاهر والأفشين وابن الزيات والمعتصم . كما

يشهد اضطراب الشاعر فى البلدان ، تسلمه أرض إلى أرض ، كما فعل الأعشى من قبله والمتنبى من بعده .

وفى الكتاب باب عنوانه « القدماء والمحدثون » . فللقدماء طريقهم فى نهج القصيدة وافتتاحها بالنسيب ووصف الطلول والبيئة ، وللمحدثين طريقهم فى الصنعة ووصف البيئة الجديدة . وبين الأولين والآخرين فترة من الانتقال ، أعان عليها تحول الخلافة إلى ملك بعد قيام معاوية .

ولقد أجاد المؤلف هنا فى تصوير الصراع بين شعر العرب وشعر الأعاجم ، كما أجاد فى عرض الصورة الجديدة للشعر العربى ، والخصومة بين أصحاب اللفظ وأصحاب المعنى . والمؤلف هنا أفاد كثيراً مما كتبه « ابن رشيق » فى العمدة ، « وابن الأثير » فى المثل السائر « والقاضى الجرجانى » فى الوساطة « والآمدى » فى الموازنة [1] . إلا أنه كان مستقلا فى رأيه ، فلم يمض مع الماضين فيما ذهبوا . ولكنه اتخذ لنفسه معايير ظهرت فيها شخصيته .

وأكثر ما يتبين استقلال المؤلف ووضوح شخصيته حين يتحدث عن الخصائص الفنية لشعر أبى تمام ، فهو يشير إلى تزاوج حسه وعقله ، أو بعبارة أخرى إلى التجاوب بين شعوره وفكره ، وإلى وحدة القصيدة عنده وإلى كثرة الاختراع فى معانيه ، وإلى إحساسه بجمال الطبيعة ، وإلى اهتمامه بخلجات النفس التى تخفيها المادة والصورة وإلى اعتماده على الواقع والحقيقة وإلى انتفاعه بالقصص ، و عاصة حين يمدح ، وإلى الصورة الشعرية عنده ،

---

(١) رجع المؤلف إلى هذه المراجع وكثير غيرها . ولكنه لم يرجع إلى كتاب « هبة الأيام فيما يتعلق بأبى تمام للبديعى وقد نشره المرحوم الأستاذ محمود مصطفى . وهو كتاب لا بد من الرجوع إليه لمن يكتب فى أبى تمام .

وإلى غلبة التكرار فى لفظه غلبة واضحة ، وإلى كثير غير ذلك ، مما انتزعه المؤلف من شعر أبى تمام انتزاعاً .

وجميل من المؤلف أن يتتبع ديوان أبى تمام من باب الهمزة إلى باب الياء ، فيخرج منه بمحصول وافر من الخصائص الفنية . ولكن معنى الخصائص أنها صفات ينفرد بها الشاعر أو الكاتب ويمتاز بها من غيره . فهل انفرد أبو تمام بالتزاوج بين الحس والعقل ؟ وأين إذن تلميذه ومعاصره البحترى ، وقد أربى عليه فى هذا ؟ وهل انفرد أبو تمام بالتسلسل الفكرى ووحدة القصيدة ؟ فأين إذن ابن الرومى ، وهو الذى تظهر الوحدة كاملة فى أغلب شعره ؟ ويظهر أن المؤلف أعوزه فى ديوان أبى تمام العثور على أمثلة صالحة ، أو على قدر طيب من وحدة القصيدة ، فلم يجد إلا قصيدة واحدة دالية فصل فيها الشاعر بين المبتدأ والخبر ببضعة من الأبيات . . . مع أن الخصائص لا تظهر بالمثال الواحد أو المثالين أو الثلاثة ، ولكنها تظهر بالأمثلة الكثيرة ، كما فعل المؤلف فى موضع آخر حين استشهد بأثر الثقافة القرآنية فى شعر أبى تمام .

والكلام فى الثقافة القرآنية يجرنا إلى كلمة لا نجد بأساً من ذكرها . فالمؤلف أحياناً يجدّ حين يستحضر المثال على تأثر أبى تمام بأسلوب القرآن كما فى قول الشاعر :

أيهذا العزيز قد مسنا الضر جميعاً وأهلنا أشتات
ولنا فى الرجال شيخ كبير ولدينا بضاعة مزجاة

فكأنما كان يستحضر بين يديه المصحف ويقرأ من سورة يوسف . . وأحياناً يتلمس المؤلف المثال ويتصيده كما فى قول أبى تمام :

مكرا بنى ركنيه إلا أنه وطد الأساس على شفير هار

فيقول « ففيه شفير هار ، وما أقربها من جرف هار » . ونحن لم نعلم أن الله أخذ على العرب موثقاً أن لا يستعملوا كلمة « هار » لأنها من ألفاظ القرآن ... !

وموضوع الوحدة فى القصيدة العربية كان عيباً يعده الناقدون على الشعر العربى . أفما كان أجدر بالمؤلف ، وهو يتعصب لأبى تمام ، أن يستشهد فى هذا المقام بما تطمئن إليه القلوب ، لا أن يعالج هذا الموضوع فى بضعة من السطور ؟

ويجرنا الحديث عن تعصب المؤلف لأبى تمام إلى تعصبه الشديد للعرب [١] . وهو محمود على تلك الروح الكريمة ، التى يسرنا أن تشيع فى كل نفس ، وأن تجرى فى كل عرق . إلا أن الاعتدال فى هذه السبيل أجدى علينا كثيراً من الإسراف ، والقصد فيها أنفع من المبالغة ، وإذا كان للفرزدق فى أيام بنى أمية — وهم من هم — أن يقول :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم

فمن الخير لنا أن لا نقول ذلك أو شبهه حتى نبنى كما بنى آباؤنا أو نفعل كما فعلوا . . .

والمبالغة عند المؤلف ظاهرة فى الكتاب ظهوراً بيناً ، فهى لم تكتف بمتن الكتاب حتى عدته إلى مقدمته . وهى مقدمة ما كان لها أن تكون فى تقديم كتاب عن أبى تمام . وما ذنب القارىء حين يقرأ فى المقدمة كلاما عنيفاً عن (مؤامرة قبيحة) [١] حبست الكتاب عن الطبع والظهور تسعة أعوام ؟

---

(١) صفحة ٣٦ من الكتاب .

(١) المقدمة صفحة ج .

وما ذنب القارىء حين يرجو أن يرى من المؤلف فى مقدمته طريقته ومنهجه فى التأليف فيرى بدلا من ذلك صيحة عالية عن الكرامة وإيقاظ الضمير ومرضى النفوس وذوى الأهواء ؟

وما ذنب القارىء حين يتوقع فى المقدمة بياناً لبحث ، فيرى فيها كلاما عن منجبين تلقوا الحياة فلم ينجبوا ، وعن كيسين ماهرين تلقوا الحياة بالمرونة والكياسة فعادوا بالظفر المادى ؟؟

وما علاقة ذلك كله بأبى تمام وحياة أبى تمام ؟

ومن المبالغة أن يقول المؤلف : « ولقد خرج — يعنى كتابه — لهذا الأمر بعيداً عن أن يكون محاكاة لعمل آخر من نوعه ، أو نقلا لمنهاج شرقى أو غربى » . ونسى — جمله الله بالتواضع — أنه بقى من الجهات الأربع جهتا الشمال والجنوب . . . !

ومن المبالغة أن يقول أيضاً : وهذا الكتاب . . . أشبه بهذه الأيام الجبارة الثائرة ، فى طريقته ومنهجه ، وفى وسيلته العلمية . . .الخ » . والله ، يا أخى ، جبار ولكنه — على ما نعلم — لا يحب الجبابرة . .

* * *

أما التحقيق والتصحيح لشعر أبى تمام فقد بلغ فى هذا الكتاب حداً يهنأ عليه المؤلف أطيب تهنئة . والمؤلف يعتمد على بصيرة مهدية ، وحسن فهم للشعر ، حين يرويه وينقله . وتلك يد يسلفها إلى الشعر . فقد قرأنا فى الطبعات الرخيصة على «الوساطة» ، «والموازنة» ، «والمثل السائر» ، ما زهدنا فى شعر الفحول .

ولكن الأستاذ الفاضل المحقق «البهبيتى» جنبنا السخط الذى نصادفه حين نقرأ شعراً مشوهاً ممسوخا . فقد حقق شعر أبى تمام وأخرجه على أحسن

الوجوه ضبطاً . وأشهد أنى أقرأ الطبعة البيروتية من ديوان أبى تمام وأقرأ آخر الطبعات المصرية فألقى فيها ما يعنّينى . ولكننى كنت أقرأ فى كتاب البهبيتى شعر أبى تمام كأنه هو .

* * *

والمؤلف يبالغ فى التحقيق فلا يرجع إلى النسخة المطبوعة من كتاب «أخبار أبى تمام للصولى» وهى محققة من ثلاثة أفاضل ، ومطبوعة فى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . ولكنه يرجع إلى النسخة المخطوطة . ولو أنه أحال القارىء فى هوامش الكتاب على النسخة المطبوعة المحققة لكان ذلك أسهل على من يبعد المخطوط عن متناول أيديهم .

ولكنه أظنه رجع إلى النسخة المشوهة من كتاب « الوساطة » فوقع فى تصحيف اسم علم واسم موضع ، لم يفوتا على الأستاذين محمد أبى الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى ، حين أخرجا « الوساطة » إخراجا علمياً صحيحاً فى الطبعة التى نشرتها مطبعة عيسى الحلبى .

فقد نقل المؤلف فى هامش صفحة ١٧٧ قصة « رياش القيسى » فى شعر البحترى ، فذكر أن اسمه « أبو رياش » . وأرجح أن اسمه « رياش » من غير كنية كما ورد فى الوساطة .

ونقل المؤلف أيضا من شعر البحترى هذا البيت على هذه الصورة :

نظرت إلى ظران فقلت : ليلى هناك ، وأين ليلى من ظران

وهو ينقل من « الوساطة » . وليس فى ديوان البحترى — طبعة هندية — ظران هذه ، ولكنها « طدان » [1] بالطاء والدال المهملتين ، قال ياقوت فى معجمه (« طدان » هو موضع بالبادية فى شعر البحترى) .

(١) ديوان البحترى طبع هندية ص ٢٨١ .

وقد حقق شارحا «الوساطة» فى طبعتها الجديدة هذا الاسم ونقلا نص ياقوت الرومى [١] .

فى صفحة ٧٤ ضبط المؤلف البيت الآتى على هذه الصورة :

مناسب تحسب من ضوئها منازلا للقمر الطالع

فوضع على باء كلمة مناسب ضمة واحدة — أى منعها من الصرف ، والصواب أن تصرف ويوضع عليها ضمتان لأن البيت من البحر السريع . وقراءته بضمة واحدة تنقله إلى بحر المتقارب وشتان بين البحرين ... والممدوح فى هذا البيت نرح بن عمرو الكندى لا السكسكى كما ذكر المؤلف وإن كان يقول أبو تمام فيه بعد بيت آخر :

وسكسكى المجد كنديه وأددى السؤدد الناصع

إلا أنه لم يشتهر بالأددى والسكسكى كما اشتهر بالكندى ، وأدد بوزن عمر ، وسكسك بفتح السين الأولى والثانية [٢] : قبيلتان من أحياء اليمن .

***

وبقيت هفوات فى الطبع كقوله فى ص ٧٤ — « وفى شرح البيت منقول عن الخارزنجى ما يأتى » ، والصواب « منقولا » . وفى ص ١١٤ « وتأزر » والصواب بفتحة على الراء . وفى هامش ص ٢٠٩ « Lagacy » والصواب « Legacy » . وفى ص ٢١١ « بالندّى » والصواب « بالندى ». وهى أمور لا تقلل من قيمة هذا الكتاب الذى يعد بحق أوفى دراسة منظمة منهجية لأبى تمام وشعره .

---

(١) الوساطة طبعة عيسى الحلبى الجديدة ص ٥٠ .

(٢) تراجع المادتان فى القاموس المحيط .

الشوامخ ـ ابو عبادة البحترى (*)

البحترى ـ فى نظر المؤلف ـ أكبر شعراء العربية على الأطلاق، ولكل وجهة هو موليها، فقد يرى بعض الرائين أن الشاعر الأكبر هو أبو تمام. وقد يراه بعضهم المتنبى، وقد يراه بعضهم ابن الرومى. وليس بكائن ولا متفق أن تلتقى الأنظار على موقع واحد، أو تجتمع الآراء على رجل واحد. وليس بمعقول أن يقصرنا إنسان على هواه ومذهبه ومزاجه. وما أراد الدكتور صبرى ذلك حين تعصب للبحترى وانتصر له هـذا الانتصار؛ ولكنه أحب البحترى وأسرف فى حبه، فأراد أن يعرضه لنا كما بدا له. وما فى ذلك بأس.

وقد يتهم بعض المعارضين البحترى بقلة الغور والتعمق فى الإحساس ولكن هذه التهمة لم تفت على الدكتور صبرى حين نصب نفسه للدفاع عنه والمحاماة دونه. فقد ردها غير مرة: ردها فى تصدير الكتاب أول الأمر حين قال: «وقد خدعت سهولة شعره الرقراق الكثيرين عن بعد غوره واتساع مذاهبه وتشعبها وصعوبة ورده وصدره، وقوة مخيلته الضاربة فى الآفاق».

وردها مرة ثانية فى صفحة ١٥ حين قال: «ومعظم شعره بلغ الغاية فى الجودة وعلو النفس وقوة السبك، وكان شعره يسمى سلاسل الذهب؛ ولكنه لسهولته وصفائه لم يلتفت أحد إلى ما تشف عنه هذه السهولة من تعمق فى الإحساس والتخيل، وإبداع فى تنسيق الألوان والأنغام».

(*) للأستاذ الدكتور محمد صبرى بك. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة سنة ١٩٤٦

وكان منتظراً من المؤلف ، وهو فى معرض الحـــديث عن تعمق الإحساس عند البحترى أن يسند ذلك بالشواهد المؤيدة والأدلة المثبتة ؛ ولـكنه روى فى صفحة ١٦ — أى فى الصفحة التالية — أبياتاً من قصيدته فى وصف بركة الجعفرى ، ثم قرر بعد الأبيات « أن البحترى لم يأت بجديد فى أبياته التى ذكر فيها الدمن والمحبوبة ، فموضوعها مطروق رتيب ، ولـكننى أحب القصيدة كلها والتغنى بجميع أبياتها لجمال بحرها ورويها وروعة موسيقاها » .

والدكتور هنا لم يحسن الدفاع ولم يجد الاستدلال . فالقصيدة عنده محبوبة لجمال البحر والروى وروعة الموسيقى . أما بعد الغور والعمق فى الإحساس والتخيل ، وهو موضع الدفاع فى القضية . فهى عناصر خلت منها قصيدة اتخذها الدكتور درعا حصينا ليدفع بها نبال المعارضين فكانت نصالها . . .

والحق أن قصيدة البركة لا تحسن مثالا فى شعر البحترى على عمق الحس وبعد الغور ، ولـكنها قد تكون أصدق مثال على حسن التصوير وصدق التمثيل ؛ ولقد أعطاها المؤلف حقها من ذلك حين عرض لها فى باب التمثيل والتصوير ص ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ . والحق أن التصوير فى شعر البحترى لا يختلف فيه اثنان . ولـكن الدكتور صبرى استطاع أن يجعل من لوحات البحترى الشعرية لوحة نثرية رائعة فى الفصل الذى عقده للتمثيل والتصوير عند الشاعر الطائى ، فقد نحس جمال الصورة فى شعر البحترى ولـكننا لا نستطيع التعبير عن هذا الجمال كما عبر عنه الدكتور ، ولا نستطيع إبرازه كما أبرزه . وتلك مزية فى المؤلف عرفناها له حينما أخرج جزءاً من

الشوامخ فى امرىء القيس [١] . وجزءاً آخر فى الشعر الجاهلى وخصائصه وأعلامه [٢] .

وسر هذه المزية عند الدكتور صبرى أنه شاعر قديم — أعنى قدم التاريخ لا قدم المذهب — وأن فيه فوق مزية الشعر حاسة الفن مرهفة . فهو يتعشق الفنون الجميله ويجود فيها بمضنون التلاد . . . فقد أرانى مرة دمية أخذ يقلبها بين يديه وتحت عينى حتى كاد ينطقها عن جمالها . وهو يصنع ذلك حين يعرض عليك البيت أو الأبيات من الشعر . فما يزال بك يضع قلبك على مواطن الجمال فيها حتى ترى مالم تكن رأيت وتحس مالم تكن أحسست .

فهو يقول فى بيت البحترى :

تنصب فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها

« وفود الماء من روائع التعبير ، والبحترى وحده يعرف كيف يأتى بالكلمة التى تطربنا بلفظها وتنوع ألوانها ولمحاتها . فهو يصور لك بكلمة وفود حركة انصباب الماء من عل وتزاحم الأمواه فى قدومها ، وحركة تسلسل تيارها واطراده وسرعة هذه الحركة » .

والمؤلف متفطن دائماً إلى اللوحة الشعرية التى يرسمها الشاعر ، فلا يفلت منه لون أو يهرب منه ظل ، أو يعشو أمامه ضوء أو تجمد أمامه حركة . ويرى فى الكلمة من البيت ما يراه ناقد الصور من قطرة اللون أو بقعة الزيت . . . وإذا أتيحت هذه الفطنة لناقد الشعر أو ناقد الفن أعانته على كشف النقاب عن جمال مكنون ، وفن مدفون .

---

(١) مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤ .

(٢) مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤ .

ولكن هذه الفطنة الواثبة المتيقظة قدتكون لها سوءتها . . فقد تطوح بها المبالغة إلى افتراض مالم يفترض والتماس ما لم يرد . . . وهنا يتحول الجمال تكلفاً ، ويستحيل الرأى تعسفاً :

وإلا فأين جمال التصوير فى قول البحترى :

وإذا النهر وان ساح عليهم ؟؟

إن المؤلف يراه فى قوله « ساح عليهم » ولو أن البحترى قال فاض عليهم لوجد المؤلف فيها ذلك الجمال عينه ، لأن الدكتور صبرى هنا لايجد الجمال ولكن يتلمسه . . .

وهذه المبالغة عينها هى عين الرضى التى يقول عنها الشاعر العربى . . . والتى هى كليلة عن كل عيب . فقد عاب المؤلف على غير البحترى قوله . « تضحك الأرض من بكاء السماء » . ولم يعب على البحترى قوله :

فحاجب الشمس أحياناً يضاحكها وريق الغيث أحيـــاناً يباكيها

بل جعل فى قوله « يضاحكها ويباكيها » موسيقى وجمال انسجام ، وجعل فى ضحك الأرض وبكاء السماء عند الشاعر الأول « كلمات فقدت الحياة وأصبحت كالأزاهير الصناعية التى يحبها أنصار البديع » .

وحبك الشىء يا سيدى الدكتور مبتدأ لا أذكر خبره[1] إلا لمن يكرهك . . . فإنك أحببت البحترى حباً أنساك مافى بيته من البيان والبديع والاستعارة والطباق ، وهى عيوب غيره التى أحلتها فى شعره إلى محاسن . فلا فرق بين شاعرك وشاعرنا من حيث البيـان والبديع ، ومن حيث الصورة الحيـة ، ولـكنك أحببت البحترى فكلت له الـكيل . وملت على غيره كل الميل . . .

---

(١) من أمثال العرب « حبك الشىء يعمى ويصم » .

على أن قوة التمثيل فى الشعر قد عرضتها أجمل عرض حين قلت : «وقد يتوهم بعض الشعراء أن شعرهم ليس فى طاقته ترجمة ما يختلج فى النفس من عواطف ، كما يتوهم بعض الناس أن تصوير المصور لمناظر الكون التى أوجدها الخالق لا يحكى الأصل ، والواقع أنه لا يحكيه من ناحية الشكل أو الحقيقة الشكلية ، ولكنه يحكيه بقوة التمثيل فى لون جديد ، فالتمثيل ليس مجرد حكاية أو محاكاة . وكيف نتكلم عن حكاية إذا كان الشاعر أو المصور يصف فى كلمات محدودة ، أو فى قماشة مسطحة ضيقة الحيز ، منظراً واسعاً بخطوطه ومسافاته وارتفاعاته وأعماقه ، بما فيه من سهولة وحزونة وضياء ، ووجد وحنين . . . . إنما قوة التمثيل فى القدرة على الإيجاز والتمليح فى خط أو خطوط . وبعبارة أخرى : القوة التى تجعلك تعيش فى جو المنظر وتصل بين خيالك وخيال الشاعر أو المصور ، فتولد فى مخيلتك وحسك صورة تبعث الأصل فى جو يضاهى جوه ، والجو هو أهم أهداف الفن[1] .»

وهذا كلام لا يقوله إلا من رزق مقدرة الدكتور صبرى على الإحساس بالجميل والتعبير عنه فى كلام تشيع فيه النظرة الفنية والحاسة الذوقية .

* * *

ولقد أنصف المؤلف حين شرح كثيراً من الألفاظ فى شعر البحترى شرحاً لغوياً . وهو عمل لم يكن منه بد لمن يتحرى أن يعرف ما وراء الألفاظ من معان . ولكن الإطالة فى هذا قد تجعل من الكتاب معجماً لغوياً تضيق به الصدور ولا تتفتح له القلوب . فلقد شرح المؤلف كلمة «شرف» من قول البحترى :

فى حلبة تضحك عن بدورها صار الرجال شرفاً لسورها

(١) ص ١٢٨ من الكتاب .

ولكنه كاد ينقل لنا مادة « شرف » من المعاجم نقلا لم تكن بنا ولا به حاجة إليه ، وماحاجة القارىء شعر البحترى أن يقرأ : « إن الشرفة ما يوضع فى أعالى القصور وجمعها شرف ؛ والشرفة من من القصر ما أشرف من بنائه ، وشرف الحائط جعل له شرفة ، وقصر مشرف مطول[١] . »

وماحاجة القارىء أن يقرأ فى عرض جميل لشعر البحترى هذا الكلام شرحاً لكلمة قيض : « تقيضت البيضة تقيضاً إذا تكسرت فصارت فلقاً ، وانقاضت فهى منقاضة . تصدعت وتشققت ، وقاضها الفرخ قيضاً شقها ، وقاضها الطائر شقها عن الفراخ فانقاضت ، وفى حديث ابن عباس .. قيضت هذه السماء الدنيا . وقال ابن الأثير : قضت القارورة فانقاضت أى انصدعت ولم تتفلق ، وانقاض الجدار انقياضاً أى تصدع . . . » وبعد هذا كلام كثير فى مادة قيض .

اللهم إن هذا ليس عرضاً للشعر ولاتحليلا له ، ولكنه حشو للدماغ بما به ينقاض . . . على نحو ما كان يصنع شراح القصائد من أمثال ابن حجر المكى فى شرحه لبردة البوصيرى ، وابن عمر الهندى لقصيدة بانت سعاد ، والشيخ المناوى لقصيدة ابن سينا الفيلسوف فى النفس[٢] ، وعبد الله باشا فكرى لقصيدة حسان بن ثابت الهمزية . فقد نقل فى خلال الشرح كثيراً من مادة لسان العرب ، كما صنع فى تفسير لفظة « قفر »[٣] .

ولا نعيب على الدكتور صبرى هذه الثروة اللغوية التى نعرفه منقراً عنها وباحثاً فيها ، ولكن الذى نعيبه هو ازدحام هذا الشرح الجميل بما كان يمكن الاستغناء عنه والتخلص منه .

---

(١) ص ١٤٢ من الكتاب .

(٢) مطبعة الموسوعات سنة ١٣١٨ هـ .

(٣) الآثار الفكرية ص ٢٥٦ .

والحق أن هذه الثروة قد نفعت المؤلف حين كان يوازن بين النصوص. فهنا كانت تلهمه فطرة لغوية سليمة يظاهرها اطلاع رحيب . فإن رواية بيت البحترى فى وصف البركة :

يعمن فيها بأوساط مجنحة كالطير تنقضّ فى جو خوافيها

لم تعجبه . وكذلك لم تعجبه رواية «تنشر» و «تنفض» فرآها: «كالطير تنغض فى جو خوافيها» . لأن المقصود وصف حركة الخوافى فى الجو وهى مكشوفة ترتجف فى الهواء ، والنغض التحرك فى ارتجاف .

ورواية البيت الآتى فى وصف إيوان كسرى :

لابسات من البياض فما تبـ صر منها إلا غلائل برس

لم تعجبه ، ويرى أن تكون « فلائل برس » جمع « فليلة » وهى الشعر المجتمع . وفات أستاذنا المناسبة اللطيفة بين لابسات وغلائل ، والغلائل ما يلبس تحت الثوب .

وكذلك لم تعجبه رواية البيت الآتى من قصيدة يصف فيها البحترى معركة دارت بين ابن دينار والروم :

كأن ضجيج البحر بين رماحهم إذا اختلفت ـ ترجيع عود بمجرجر

ورآها : ـ (كأن ضجيج البحر بين رياحهم) . لأن اختلاف الرماح ـ عند المؤلف ـ لا معنى له ولا علاقة لضجيج البحر به . والدكتور صبرى ـ شاعراً ـ لا يرضى أن يضيف الرياح إلى الجيوش المقاتلة ، فيقول : رياح جيشنا أو رياح عدونا . وهل للجيوش رياح ؟

ولم يسلم شعر البحترى ـ كشعر كثيرين غيره ـ من اختلاف فى الرواية . وللمؤلف هنا فضل التحقيق والترجيح حين تتعدد الروايات، وهو جهد لا يستهين به إلا من لم يجربه . ولكن الدكتور صبرى آثر العافية أحياناً

فى بعض المواطن على تنوع المصادر وازدحامها بين يديه . فقد روى بيتاً من سينية البحترى هكذا :ـ

من مدام تقول ها هى نجم ضوأ الليل أو مجاجة شمس

وتلك روايته ، أما رواية الديوان فهى (من مدام تقولها هى نجم) . ورواية أبى العلاء المعرى (من مدام تقول ها وهى نجم) و (الوهى) مصدر (وهى) بمعنى سقط . ولكن الدكتور لم يشر إلى رواية ياقوت فى معجمه (من مدام تخالها ضوء نجم). وهى رواية تخلصنا من تأويلات المعرى ومن شروح الشراح ، وما كان لها أن تند عن اطلاع أستاذنا الكبير[1]

والمؤلف تسعفه فى تحقيق النصوص أمور : منها ذوقه وقد كتب الله له السلامة ، ومنها فطرته العربية وقد أكملها الله بالصحة ، ومنها معرفته بأسرار الأساليب ومفاتيح الكلام . وهو يقف أمام النص الواحد مهما أجمعت عليه المصادر فيرى فيه الرأى ، فيذكر الروايات المختلفة ويذكر رأيه هو ، وقد يبنيه على الظن فيقول : لعل الصواب كذا . وذلك ظن قد يسمو إلى اليقين . وقديماً قال الشاعر : (. . . وظن الألمعى يقين) . وأحياناً يصحح المؤلف الرواية من غير أن يشير إلى التصحيح ، وحبذا لو أشار ! حتى يقف القارئ على النص كما روى ، والنص كما صحح .

ففى صفحة ١٧٠ روى عن ابن خلكان أنه قال : كان البحترى كثيراً ما ينشد هذا الشعر ويعجبه وهو :

حمام الأراك ألا فاخبرينا لمن تندبين ومن تعولينا
لشققت بالنوح منا القلوب وأبكيت بالندب منا العيونا
تعالى نقم مأتماً للهموم ونعول إخواننا الظاعنينا
ونسعدكن وتسعدننا فإن الحزين يواسى الحزينا

(١) معجم الأدباء طبعة الدكتور أحمد فريد رفاعى ج ١٩ ص ٢٥٦ .

والبيت الثانى فى ابن خلكان هو : (فقد شقت بالنوح منا القلوب[١]) وورد كذلك فى تاريخ ابن العماد الحنبلى [٢] ولكن الدكتور صبرى لم تعجبه (شقت) من الفعل (شاق يشوق) فجعلها (شققت) من الشق والصدع ، ولا أدرى عن أى مرجع كان هذا التصحيح الذى لم يدلنا عليه الدكتور !

إن أحاسيس النفس الإنسانية عامة بين الأمم ، لم يختص بها قبيل دون قبيل. وقد يكون للشاعر البدوى من دقة الحس فى بعض المواطن مالا يكون لغيره . وقد يكون عند العربى من لفتات الذهن وإيماض الفكر ما نجد نظيره عند الغربى . فالخيال الإنسانى لا يكون قاصراً بين الأمم إلا بمقدار ما يكون القصور بين فرد وفرد من أمة واحدة . والدكتور صبرى عنده كثير من الموازنات بين هذه اللغات . فإذا ذكر قول أبى العتاهية : روائح الجنة فى الشباب ! ذكر بجانبه قول « لى كونت دى ليل » : أيها الشباب ! يا أرج الغاب والشجر . وإذا ذكر قول البحترى

ولو فهم الناس التلاقى وحسنه لحبب من أجل التلاقى التفرق

ذكر معه قول (ألفريد دى موسيه) Le Retour fait aimer l'adieu

وإذا ذكر قول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العناب والحشف البالى [٣]

ذكر معه قول الشاعر الفرنجى فى بلبل وجده ميتا على الأرض : Comme un Caillou de Sang أى كأنه حصاة من دم .

---

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٣٤ .

(٢) شذرات الذهب طبعة حسام الدين القدسى ج ٢ ص ١٨٨ .

(٣) الشوامخ « امرؤ القيس » ج ١ ص ٣٥ .

وهذه اللفتات فيها تيقظ كثير لمواهب الشاعرية العربية التى يؤمن بها المؤلف إيماناً كبيراً ، وهو إيمان العلم والمعرفة ، لا إيمان التعصب ودعوى الجنس . وهذا الإيمان البالغ قد يعرض الأحكام إلى المثار من الكلام . . فإن الدكتور صبرى يقول فى صفحة ٦ (إن الشعر الجاهلى يمتاز بأنه فى مجموعه صادر عن الطبع والعاطفة ، لا يعرف الاستجداء والهجاء) . وفى هذا الحكم نظر . لأن الهجاء قد صاحب النفس العربية منذ غضبت وكرهت وسخطت ، ومنذ احتربت على الكلأ واقتتلت على المرعى ، والجاهلى إذا غضب هتك حجاب الشمس . . . وذلك غايته ، أو هجا خصمه وذلك أدنى مراتب الغضب عنده . فالشعر الجاهلى قد عرف الهجاء وسجل كثيراً منه ولكنه هجاء الفطرة الصادقة التى تثور فتشتم فى غير فحش ولا إقذاع .

ولم تظفر قصيدة بحترية من عناية المؤلف كما ظفرت قصيدة إيوان كسرى . فقد أطال الوقوف عندها ، وبين جمال التصوير فيها . وتلك عناية بالغة بشاعر يراه المؤلف خير من بكى واستبكى على أثر . . . ولكن القصيدة فى عرضها لم تسلم من ملاحظات ، فالأبيات الموصولة فيها رسمت على غير صحة ، مثل :

والمنايا مواثل وأنو شروا ن يزجى الصفوف تحت الدرفس

وصواب الرسم ليستقيم الوزن :

والمنايا مواثل وأنو شر وان يزجى الصفوف تحت الدرفس

وسأورد هنا الأبيات الموصولة فى القصيدة مصححة الرسم :

تصف العين أنهم جد أحيا ء لهم بينهم إشارة خرس

وكأن الإيوان من عجب الصنـ ـعة جوب فى جنب أرعن جلس

وكأن القيان وسط المقاصـ ـير يرجعن بين حو ولعس

فكأن الجرماز من عدم الأنـ ـس وإخلاله بنيـة رمس

والدكتور يطيل الوقوف فى مواقف لاتستحق إطالة ، وقد لا تستحق وقوفاً ، بينما يمر على مواقف الاستحقاق مر الكرام باللغو . . فقد أطال الوقوف « بباب الأبواب » و « أبيض المدائن » و « الإيوان » حتى الجرماز . ولكنه لم يقرئ (البلهبذ)[1] السلام ، ولم يعره أى اهتمام ، ولم يقل لنا ماهذا اللفظ الذى ما كان يستحق الأغفال والأهمال . أما لفظة الجرماز فى قول البحترى :

فكأن الجرماز من عدم الأنـ ـس وإخلاله بنيـة رمس

فقد ذكر الدكتور أن البحترى يريد بها الأيوان نفسه ، ثم ذكر بعد ذلك قوله (وقد وجدنا بخط عبد السلام المصرى على هامش نسختنا الخطيه من ديوان البحترى ما يأتى : قال أبو سهل : الأيوان بالفارسية كرمانزى فعربه وقال جرماز) . وهنا لى كلمة . فإذا كانت الأيوان هى الجرماز فلماذا لم يستعملها البحترى فى مكانها وهى لاتكسر البيت ولا تخل بالوزن؟ وخاصة أنه استعملها بعد ذلك بأبيات فقال :

وكأن الأيوان من عجب الصنـ ـعة جوب فى جنب أرعن جلس

وكلام عبد السلام المصرى نفسه فيه نظر فإنه يذكر عن أبى سهل أن الإيوان بالفارسية كرمانزى ومعربها جرماز . وهذا يوهم أن الإيوان عربية ، ولكنها أعجمية ، كما ذكر الجواليقى فى معربه[2] .

* * *

(١) وردت كلمة البلهبذ فى بيت البحترى :

وتوهمت أن كسرى أبرويـ ـز معاطى والبلهبـذ أنسى

ولم يفتح الله على بفهمها . وكأن الدكتور صبرى يضن علينا بتفسيرها .

(٢) كتاب المعرب للجواليقى تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ص ١٩ سطر ١١ .

دع ذا وعد القول فى الدكتور صبرى . . . . فقد تجملت فيه سماحة النفس وحسن التماس المعاذير حين تعرض لهجاء البحترى لمن ظل يمدحهم طويلا من الرؤساء . والهجاء فى مثل هذا الحال لا يجد فى الناقد معدى من أن يرمى البحترى بخبث النفس ونكث العهد . ولكن الناقد محمد صبرى كان أكثر تقديراً للظروف التى عاش فيها البحترى ، وأكثر التماساً للعذر له عن عصر فسد ففسدت فيه القيم وتذبذبت فيه الأخلاق . وقد لا يعفى ذلك الدفاع البليغ البحترى من وقوع اللوم عليه وشدة المؤاخذة له . ولكن خلق «صبرى بك» الكريم من ناحية ، وحبه للبحترى من ناحية أخرى ، كان أرحب من أن يضيق بمالا تتسع له الصدور .

* * *

أما ولادة البحترى فقد أرخ لها المؤلف سنة ٢٠٤ هـ . وهو تاريخ لم نجده إلا فى دائرة المعارف الأسلامية [١] فى مادة « بحترى » . وهى مادة كتبها المستشرق مرجليوث ورجع فيها إلى الأغانى ووفيات الأعيان . ولكن [٢] ابن خلكان يذكر سنة ٢٠٦ وقيل سنة ٢٠٥ . وفى تاريخ بغداد [٣] أنه ولد سنة ٢٠٦ أو سنة ٢٠٠ ؛ وفى معجم [٤] الأدباء أنه ولد سنة ٢٠٦ . وذكر ابن العماد الحنبلى أن ولادته سنة ٢٠٦ وصحح هذه الرواية [٥] . وذكر ابن الجوزى [٦] أن ولادته سنة ٢٠٦ ، فالمصادر كلها مجمعة على سنة ٢٠٦ .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية مادة بحترى مجلد ٣ ص ٣١٥ .

(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٣٤ .

(٣) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٤٧٧ .

(٤) جزء ١٩ ص ٢٤٨ طبعة دار المأمون .

(٥) شذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٨ طبعة حسام الدين القدسى .

(٦) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ٦ ص ١١ طبع حيدر آباد الدكن بالهند .

ولم يذكر سنة ٢٠٤ إلا مرجليوث كما سبق بيانه . ولا أدرى سبب المخالفة عن هـذا الأجماع . على أن الاختلاف فى عام أو بضعة أعوام لا يقدم شيئاً فى قضية الشعر عند البحترى ولا يؤخر ، ولـكن الرجوع إلى الإجماع أولى من هذا الانصداع .

بقيت أخطـاء فى الطبع نحب أن نشـير إليهـا . ففى ص ١٢٤ « فهو يبدى تجلدا عليه » :والصواب « تجلداً وعليه » وفى ص ١٣٧ « جازت على الجوازات » والصواب « الجوزات » وفى ص ١٦٣ :

رأيت العراق ناكرتنى وأقسمت على صروف الدهر أن أتشاءما

والصواب « أتشأم »[1] وفى ص ١٧٢ :

أيظلمنى المستضعفون وقد رأوا تجهم ظلام متى يكو ينضخ

والصواب «ينضج» بالجيم لا بالخاء وفى صحيفة ١٧٥ « فؤاد ملاه الحزن حتى تصـدها » والصواب « تصدعا » وفى ص ١٧٨ « المعـمَّر » وصوابهـا « المعمر » بالفتح وفى ص ٦٥ « الفتح بن خاقال » وصوابه « خاقان » وفى هامش ص ١٤٩ « مان وحشى » والصواب « وحش » وفى ص ٦١ من شعر البحترى

بأبى أنت والله للبر أهـــل والمساعى بعـد وسعيك قبـل

والشطر الأول مختل الوزن ولم أهتد إلى صحته ، وفى ص ١٦٩ «وجوههم السمحاء » والصواب المعروف « السمحة » . وهى من غير أخطاء الطبع .

لقد أحب الدكتور صبرى البحترى فعرضه فى كتاب هو أول دراسة تحليلية للشاعر فى الأدب العربى . وليت شعراء العربية يظفرون من أستاذنا بمثل هذا الحب ، حتى يكون لكل منهم فى عنق الدكتور كتاب مثل هذا الكتاب .

---

(١) تشأم : أى انتسب إلى الشام .

أبو نواس (*)

قيل إن أبا نواس لم يكن خليقا أن يكتب فى شانه فى سلسلة موقوفة على أعلام الأسلام ، وقيل مثل هذا حين أخرج الأستاذ المازنى كتابه فى هذه السلسلة عن بشار .

وكأن الأستاذ عبد الرحمن صدقى توقع الاعتراض على هذا الاختيار فكتب مقدمة يعلل فى شطر منها الحكمة فى هذا الاختيار ويدفع عن نفسه وعن صاحب بشار وعمن يعتزمون الكتابة فى مثل هذه الشخصية الماجنة .

غير أن دفاع المؤلف لايعفيه من الوقوع فى اللوم . فإننا لم ننته بعد من الترجمة لأعلام الفقه والسياسة والفتح والفكر حتى نستبق إلى الترجمة لأعلام الخلاعة واللهو . إلا أن المؤلف قد شاء ذلك ، فليكن له ما شاء . وليكن لنا أن نقول ما نعتقد .

وهذا الكتاب — فى الحق — لم تخرجه العجلة ، ولكن أخرجته الأناة وطول الصحبة لأبى نواس . ولهذا تجد فيه الصدق فى الترجمة ، وحسن التصوير لحياة شاعر شاء القدر الساخر أن يجعله مثلا للحياة العابثة فى العصر العباسى الأول .

وطريق المؤلف فى الترجمة طريق صحيحة شائقة . فهو لا يصحب الشاعر من يوم ولادته ، ولكن يذهب بعيداً إلى أصله والعوامل الفعالة فيه ، ولا يزال يعرض ألوان حياته وألوان الحياة التى أحاطت به حتى يشيع فيه الفناء من طول ما مجن ، فيتذكر طاعة الله وهو نضو هزيل . . والمؤلف

(*) تأليف الأستاذ عبد الرحمن صدقى مطبعة عيسى الحلبى .

رفيق بصاحبه الشاعر ، بل قد يلتمس له العذر فيما وقع فيه ، وقد يحمل تعريضه بالدين على محمل الهزل واللهو لا محمل القصد والجد (ص ٦٧) .

وكان من الطبيعى أن يذكر المؤلف شعراً للشاعر على سبيل الاحتجاج والاستشهاد . ولكن ما باله — غفر الله له — لا يتحرى وجه الصحة فى الرواية فيكون بعض مارواه غير مضبوط ، أو ناقصاً فى الوزن ، أو جارياً على غير الرسم الصحيح للشعر . ولو جاز هذا من مؤلف فلن يجوز من عبد الرحمن صدقى الذى ظهرت عنايته بالشعر فى كثير من مواضع الكتاب . وما بال من يهدف إلى الدقة فى صفحة من الكتاب يهملها فى صفحة مواجهة ؟

فى ص ٦٧ : اسقنيها ملا وفا لا أريد المنصفا
والصحيح : اسقنيها ملأ و فى لا أريد المنصفا
وفى ص ٨٠ : قد رأينا عربيات يواصلن نبيطا
والرسم الصحيح للبيت : قد رأينا عربيا ت يواصلن نبيطا
وفى ص ٨٣ : لست أحظى بسوى نظر يشركنى فيه كل إنسان
والبيت ناقص وتمامه :
من لست أحظى به سوى نظر يشركنى فيه كل إنسان
وفى ص ٥٩ : تحيرت والنجوم وقف لم يتمكن منها المدار
والصحيح : « لم يتمكن بها المدار » . (راجع ديوان أبى نواس ص ٢٧٤ من طبعة آصاف) ، وغيرها فى ص ٩٢ سطر ٩ ، ص ٩٩ سطر ١٦ .

ثم إن فى شعر أبى نواس كثيراً من الألفاظ التى تنغلق على الأفهام ، ففسر المؤلف بعضها وأغفل كثيراً منها . وكان خيراً للقراء لو فسرها جميعاً :

فى ص ١٠٦ فسر كلمة « الجاثليق » وترك جارتها فى البيت نفسه وهى

كلمة « مطر بليط » والذى أعرفه أنها تعريب لكلمة Metropolite ، وهو منصب رفيع عند المسيحيين .

وفى ص ١١٤ ترك البيت الآتى من غير تفسير ألفاظه :

نيط بتفاح إلى مشمش من نخيل الطن والبرن

والطن : الرطب الأحمر الشديد الحلاوة . والبرنى نوع من التمر العراقى . وهناك كلمات كثيرة جداً فى شعر النواسى لم يتعرض لها المؤلف بالشرح ، مثل هذه : قراة القس . ص ١٠٥ ، وشمعله ص ١٠٦ ، وآيين ص ١٠٨ ، ودير نهراذان ص ١٠٧ .

وقد يفسر المؤلف كلمة بأخرى أكثر منها غرابة ، كما فسر « الدهليز الأزج » « بالساباط » . والساباط أدخل فى الغرابة من الدهليز الأزج .

وما كان أتم الترجمة لو أن المؤلف عقد فصلا فى التهكم عند أبى نواس ؛ بدلا من الإشارات العابرة إليه . أليس التهكم لونا من ألوان نفسية الشاعر كان خليقاً بأطالة الوقوف لديه ؟

ثم الوفاء يا أخى ! أيكفيك ويكفى أبا نواس أن تتحدث عنه فى بضعة أسطر — ص ١٧٧ ؟

ولكنها ملاحظات لا تبخس قدر عمل المؤلف ، ولعله مستدركها فيما نرجوه منه من مستقبل الإنتاج .

مع بعض الدواوين

أنات حائرة(*)

كنت فى طريق إلى « الأهرام » مكرراً التعزيه فى فقيدها الكبير ، فإذا هناك نسخة تنتظرنى من هذا الديوان هدية من مؤلفه الفاضل عزيز باشا أباظة . وهو رجل لم تصلنى به صلة ، ولم تجمعنى به معرفة ظاهرة .

قرأت هذا الديوان النفيس حرفاً حرفاً فإذا هو نفس حزينة منطوية على همومها : مغمورة فى الآلام حتى إنها لتجد فيها شفاء غليلها وراحة صدرها.

وقصة هذا الديوان هى قصة الدموع ، والنار المتلظية بين الضلوع . هو قصة الرجل الكبير فى قلبه ، المخلص فى حبه الهادىء فى عشه الناعم فى ظل زوجته ، فإذا الموت يهدم لذات هذا العش الهادىء الجميل ، وإذا الزوجة الوفية المخلصة تنتقل إلى الدار الآخرة تاركة عشها موحشاً كئيباً ، وزوجها وحيداً غريباً ، وأولادها حيارى يتامى : يتلفتون فلا يجدون ، وينادون فلا يجابون . . .

* * *

قصائد هذا الديوان الحزين نظمت كلها فى عام أو قرابة العام ، فأولها نظم فى يونيو سنة ١٩٤٢ وآخرها فى يونيو سنة ١٩٤٣ ، وهى فترة — على قصرها فى عمر الدهر ومسافة الزمن — مليئة بأشجان هذا القلب المحطم وذكرياته . فهو يبكى إذا وقف على عرفات فى غمار الآلاف المؤلفة

(*) ديوان من شعر الأحزان والأشجان . للشاعر عزيز أباظة باشا — مطبعة المعارف — القاهرة .

من حجاج البيت الحرام وزوجته ليست معه تلبي كما يلبون ، وتكبر كما يكبرون . . . هو يبكي إذا أهل هلال رمضان الفائت فإذا به يتفقد أليفته فيراها كما يذكر في الديوان وقد :—

ذهبت كما ذهب الضحى متألقاً وبقيت أضرب في الليالي الجون
وذوت بشاشات الحياة ولم يعد في أنسها « يازين » مايصبيني . . .

وهو يبكي إذا وقف على قبر السيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها بالحجاز لأن هذا القبر الطاهر يذكره بقبر آخر في قرية « الربعماية » بمصر أو دعه أو في الأوفياء له ، وأعز الناس طراً لديه . وهو هنا يصنع كما صنع متمم بن نويرة حينما قال في رثاء أخيه مالك : —

وقالوا أتبكي كل قبر رأيتـــه لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم أن الشجي يبعث الشجي دعوني ! فهذا كله قـــبر مالك

هذا الديوان كشف عن عزيز أباظة باشا شاعراً مصرياً معاصراً من طراز رفيع ، ومن عجائب الدهر أن تكشف المصائب عن حسنات ، وتعلن الفجائع عن روائع . . . ويظهر أنه شاعر متواضع ، يكره الأعلان عن نفسه والتحدث عن بضاعته .

ولقد كان يكون له من مناصبه الأدارية الراقية مايعينه على نشر شعره والأعلان عنه والدعاية له . ولكنه آثر الصمت ، واختار الانزواء ، وفضل الغناء همساً لنفسه أو لخاصته حتى نكبه الدهر في زوجته . فآثر أن يكون أول نتاج أدبي له باقة من الشعر العربي الرصين المنحوت من قلبه ، والمصبوب من دمعه — لتكون تذكاراً لها .

ولقد رثا الشاعر بذكرى فقيدته الغالية أن يكون شعره لها ، ودموعه الغالية فيها موضوعاً رخيصاً للبيع والشراء في سوق الأدب . ولكن هذا

الشعر — الذى يؤثره كل محزون — دموع الشاعر أهداها إلى من رأى أيثارهم بها ، أو لمن شاء من كل حزين اقتناءها .

وليس فى تاريخ الأدب العربى — على مانعرف — من رثى زوجته بديوان بأكمله كما صنع عزيز أباظة اليوم ، فمسلم بن الوليد يرثى زوجته بأبيات فيها : —

غدت والثرى أولى بها من وليها ... إلى منزل ناء بعينك دان
فلا حزن حتى تزف العين ماءها ... وتعترف الأحشاء بالخفقان
وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها ... وسهما هما فى القلب يعتلجان

ومحمود سامى البارودى رثى زوجته بأبيات منها : —

لا لوعتى تدع الفؤاد ولا يدى ... تقوى على رد الحبيب الغادى
يادهر فيم خدعتنى بخليلة ... كانت خلاصة عدتى وعتادى
أن كنت لم ترحم ضنانى لموتها ... أفلا رحمت من الأسى أولادى؟؟

ولكن عزيز أباظة — الشاعر الذى كشفته لنا الأحزان — يصنع من دموعه الغزار ديواناً برمته يتحف به الأدب العربى فى باب المراثى الخالدة .

* * *

لقد كنا نرجو أن يكون أول مايصدر عن عزيز باشا شىء غير الدموع والآلام والأحزان والأشجان والحنين ، والأنين . . . ولكن شاء الله أن تكون دموعه هى سبيل تقديمه إلينا . . فسنجل هذه الدموع ونكبرها لأنها دلتنا على رجل جليل ، ومثال فى الوفاء قليل .

خيـــــوط الغمام (*)

هـذا الديوان مجموعة من الشعر الوطنى الاجتماعى العربى ، وفكرة الوطنية عند هـذا الشاعر لا تضيق فتحد بالحدود السياسية التى خلقتها مقتضيات السياسة . ولكنها تتسع إلى ما وراء هذه الحدود فتجتازها وتحطمها وتلتقى عند فكرة الوطن العربى الأكبر ، ولواء العروبة هو اللواء الذى يسير الشاعر تحت ظله مغنياً أناشيده . لعل شباب العرب فى كل قطر عربى يرددونها فتفيض بالاتحاد قلوبهم :

هذا لوانا امتـــدَّ من أقصى العراق إلى اليمن
فانظـره يخفق فى السما كالقلب يخفق فى البـدن
واسمعهُ يدعو العُـرب للمَـجد الرفيع .. أو الكفن

وتظهر فكرة العربية عند الشاعر فى شغفه باللغة العربية التى تربط هذه الأوطان السياسية برباط وثيق ، فهو يحبها ويعاهد بأن يبذل جهده فى سبيل السمو بها .

سأبذل فى سبيل الضاد جهدى لتسمو الضاد بالأدب الرفيع
فحب الضـاد ينمو فى فؤادى نمـوَّ الزهر فى فصـل الربيع

ويعجبك من هذا الشاعر المسيحى سماحته ونظرته الواسعة إلى الأديان الأخرى ، ولعلَّ ذلك راجع إلى طبيعة الخير المتأصلة فى نفسه ، القارَّة فى فؤاده ، فهو يشيد بالإسلام فى كل موضع يتطلب الإشادة ، وهو يمدح النبى محمداً ويخصه بإحدى الطوال من قصائده . ويعدد من جوانب الرسول

(*) ديوان شعر لعبد الله يوركى حلاق . حلب .

العربى ما يقتضيه الأنصاف والصدق الذى يتحلى به الشاعر الحق . وهو هنا يذكرنا بالشاعر المسيحى العربى الأستاذ وصفى قرنفلى الذى مدح النبى عليه السلام بقصيدة نشرت فى الجزء الثانى عشر من كتاب « الحديقة » الذى كان يُصدره فى القاهرة الأستاذ الجليل محب الدين الخطيب .

وليس عجيباً أن تبدو هذه الروح السمحة الصافية من الشعراء الذين اختصتهم الطبيعة بصفاء النفس وصدق الحس ، فالعرب أحوج الأمم إلى نبذ التعصب الممقوت الذى يجد فيه العدو مرتعاً لنفث سمومه . ولقد قامت النهضات القومية فى البلاد العربية على هذا الأساس ، وهذا شوقى أمير الشعراء يقول فى العلاقة بين المسلمين والأقباط :

أعهدتنـــا والقبط إلا أمة ... فى الحق واحدة تروم مراما
نُعلى تعاليم المسيح لأجلهم ... ويقدسون لأجلنا الإسلاما

ولكن شوقى فاتهُ من تعليل حب المسيح ومحمد ما لم يفت شاعرنا عبدالله يوركى حلاق . . . فالمسلمون — عندشوقى — يحبون المسيح لأجل النصارى . . . والنصارى يحبون محمداً لأجل المسلمين . . . ولكن الأستاذ عبد الله حلاق يعلل حبه محمداً بقوله :

إنى أباهى بالرســـول لأنه ... صقل النفوس وهذّب الوجدانا
ولأنه داس الجهالة وانتضى ... سيف الجهاد فحطم الأوثانا
ولأنهُ حفظ العروبة وابتنى ... للعرب مجداً رافق الأزمانا

* * *

قلت إن فى هذا الشاعر طبيعةً خيرة ، وهذه الطبيعة تبدو فى ألحان مختلفة نظمها فى الفقير وقسوة الشتاء عليه ، ووجوب الإحسان على الأغنياء للفقراء

وكرم العروبة وغيرها ، وهى قصائد أو مقطعات صغيرة تحمل أكبر المعانى وأنبل العواطف . ومدائحه لبعض كرام أهل الشام تدور حول معانى البر والرحمة والأنسانية والأخوة والشفقة التى أوجبت عليه مدحهم وأنطقته بثنائهم .

والديوان على ضآلة حجمه ملىء بما يدل على العاطفة الخيرة ، والنفس الشاعرة ، والقلب الكبير .

مواعيـــــد(*)

لما قالى المتنبي فى كافور داليته المشهورة ذكر فيها «مواعيد» كافور فقال:

أمسيت أروح مثرياً وبداً أنا الغنى وأموالى المواعيد

وغرضه أن أمواله مواعيد كافور وهى لا تحتاج إلى أن تقبض عليها يد أو يحفظها خازن . . . ولكن «مواعيد» الشاعر صلاح لبكى هى مواعيد صادقة لأنها خرجت من قلب موسوم بالصدق فى إحساسه وتعبيره .

ولم يكن صلاح لبكى محتاجا إلى تقديم حين أوجز رشدى معلوف الأشارة إلى شعره ، ولكن الناس ألفوا التمهيد عن الرجل الذى يقرءون. وكانت توطئة المعلوف للديوان قوية ، وخاصـــة حين تكلم عن « عمارة الحضارة» و « ثروة الإنسانية » .

وليس شعر هـذا الديوان الجديد طويل النفس ، أو مترامى المدى ، فهو اثنتان وعشرون قصيدة. بلغ طول أقصرها ثلاثة أبيات وأطولها تسعة وعشرين بيتاً ، ومتى قيس الشعر بالطول والقصر ؟ ومتى كان ميزان الجودة فيه البيت أو الأبيات ؟ ألم يقل الشاعر القديم .

شعرٌ على قلته جيـــدٌ والشعر لا يمتاز بالطول

وكذلك كان شعر « مواعيد » فهو جيد على قلته ، وتمتاز موضوعاته بدلالتها على يقظة الأحساس فى الشاعر ، ومرهف التأثر فيه . فهو يبكى الطيور حين تموت بقصيدة عنوانها «موت الطيور» ويودع الورود الذابلة حين تموت بقصيدة عنوانها « موت الورود » ولكنه يودّع فيها السنا واللون

(*) ديوان شعر لصلاح لبكى . من منشورات المكشوف . بلبنان

والرونق لأنها فانية . . أما الطيب فهو خالد يعبق مع ريح الصبا إذا جرت ، وكذلك الشاعر . . يطبق عينيه للموت فتنطوى معه المنى والحلم الريق والرغبات الجوائش . أما الحبيب فهو الشذا كأنه طيف الهناء الأزرق . ولعل الأستاذ «لبكى» اضطر إلى وصف الطيف بالأزرق للقافية ! !

وقصيدته «إلى الأرض» فى أولها «ترابية الأرض» وفى آخرها سماوية الأفلاك ، وما أصدقه حين يوازن بين الأرض الولود والشاعر أبى الآمال بقوله :

يا أرض هأنا حافلٌ بجميع ما بك من تجنى
تلدين ثم تشيعين بنيك من دفن لدفن
وأنا أبو الآمال كم شيعتُ من أمل أغنّ

وقصيدة « عرس العقبان » تعبير صادق عن حالة الأنسان اليوم فى مجزرة هائلة تجد العقبان والديدان فى ضحاياها فرحا وعيداً . وقد استعمل الشاعر فيها كلمة «تجنّن» وهى على عربيتها أقرب إلى استعمال العوام، ويلوح أن الشاعر كان ساخطاً على البشرية حين نظم هذه القصيدة ، فقد حشاها بكلمات «التجنن» و «الديدان» و «النتن» و «القذارة» ، ليصور الأنسان فى أقبح صورة وأبشع منظر . ولكن الصورة كانت — والحق يقال — كريهة إلى النفوس ...!

أما قصيدة «سكرى» فليأذن لنا الشاعر أن نعتب عليه فى بعض أبياتها ، فهو يغرق يومه فى الخمر فلا يدّكر ، ويقول :

فأرسل الضحكة حتى يستفيق الحجر
أضحك من نفسى من هواجسى فأكثر
أضحك حتى ينقضى ليلى ويأتى السحر

فإن أتى فغصة وأدمع وذكر
كأن مابى نغمٌ مشوّهٌ مزوّر

ولقد كان حسان بن ثابت يشرب الخمر فيقول:

ونشربها فتتركنا ملوكا وأسداً ما ينهنهنا اللقاء

وكان عنترة يشربها فيقول:

فأذا سكرت فإننى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم

وكان اليشكرى يشربها فيقول:

فإذا شربت فإننى رب الخورنق والسدير

* * *

أما أغانى الأستاذ لبكى الوطنية فتمثلهما أغنيتان إلى كل جندى من لبنان، هما أحسن ما يتلى على آذان هذا الشعب الأبى الكريم.

مطالعاتِ شتی

معارك العرب فى الشرق والغرب(*)

فى هـذه الأيام التى تطالعنا فيها الصحف وشركات الأنباء والإذاعات بأخبار المعارك التى تدور رحاها ويحمى وطيسها فى أكثر من مكان من الأرض ، يظهر كتاب عربى يعيد إلى الأذهان تلك المعارك التى دارت بين العرب وجيوش الدول المنظمة كالفرس والروم ومن إليهم .

والحرب كريهة إلى النفوس ، وخاصة لمن خاضوا ويلها وذاقوا من مرها . وما أحكم زهيراً حين قال :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمُ ... وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضرى إذا ضريتموها فتضرم

إلا أن الحديث عن المعترك ، ووصف المرقعة ، وتتبع الحوادث والتعليل لها قـــد يلذ القارىء المتلهى بسير الأبطال كما يلذ العالم المعنى بأحداث الزمان .

وخير كتب المعارك والوقائع ماجمع بين اللذتين . فلا تطغى فيه البطولة والأغراق والمبالغة على الشرح والتحليل والتعليل ، كما لا يطغى فيه هذا على ذاك . فإذا ما طغى الجانب الأول كان الكتاب أقرب إلى الأساطير منه إلى العلم ، وإذا ما طغى الجانب الثانى كان الكتاب أدنى إلى الجفوة وأبعد من اللذة .

والأستاذ بطرس البستانى أخذ فى كتابه هذا مأخذاً يرضى عشاق البطولة وأنصار العلم . فقد حسبتنى حينما هممت بمطالعة الكتاب أنى أقرأ

(*) للأستاذ بطرس البستانى بيروت .

قصصاً شائقاً ، فإذا بى أقرأ بجانب ذلك علماً غزيراً وتحقيقاً فى الروايات التى يصادفها قارىء كتب التاريخ الإسلامى .

والمؤلف نفسه يصرح بذلك فى مقدمته المتزنة التى قدم بها لكتابه . فهو يعرض الروايات العربية وغير العربية ، ويوازن بينها ويستخرج منها بعد التمحيص والتفكير أقربها إلى الحق وأشبهها بالصدق ، مع بعد فيه عن التعصب والتحيز ، وإيثار لإصابة الحقيقة مهما كان مصدرها .

والمؤلف مدرك تمام الإدراك لما يتعرض له المؤرخ من التأثر بنوازع العرق (الجنس) ومنازع الوطن والدين . لا يُستثنى من ذلك عربى ولا عجمى . وقد يجر ذلك إلى الجنف فى الحكم والميل فى الرأى . لهذا كان البستانى يقظاً فى تقليب وجوه آراء الفرنجة حتى يميز الحق من باطلها .

ويظهر ذلك فى مسألة « جوليان » وانحيازه إلى موسى بن نصير . فقد عللها لويس برتران مؤلف « تاريخ أسبانية » تعليلا لا يتفق مع رواية مؤرخى العرب . ولكن بطرس البستانى يبين وجه الحق فى المسألة فى هدوء وحسن تقدير .

إلا أن بطرس البستانى قد ينسى أحياناً ما أخذ به نفسه فى مقدمة كتابه . فهو يشك فى خطبة طارق بن زياد فى غير مدعاة إلى الشك ويحاول أن يعقد شبها بينها وبين خطبة « يونانان » فى بنى إسرائيل حتى يقول إن الرواة من العرب صنعوها على غرارها .

ومما يحمله على الشك فيها أن طارقاً استعمل . . « عربانا » وهى ليست من الكلم الفصاح . . ! ويخلص من هذا إلى قوله « فالخطبة كما يتبين لنا مصنوعة » . وهذا فى تعسف الحكم يستغرب من جانب مؤلف نصب لنفسه موازين قبل أن يشرع فى الكتابة . وهل يجعل استعمال كلمة « عربان »

الخطبة مصنوعة ؟ ألم يرجح البستانى أن طارقاً بربرى مستعرب ؟ فلماذا يستكثر عليه لحنة واحدة ؟

« والغنائم » و« المغانم » ثم « نفائس » البلاد المفتوحة ألفاظ يديرها المؤلف فى كل وجه من وجوه سياقه ، حتى إنها لتكاد تطغى على « الروح » و« الأيمان » اللتين استعملهما المؤلف قليلا ، واللتين هما أيضا من خصائص المعارك العربية الأولى ، وذلك موضع مراجعة وتدارك إن شاء الله فى الجزء الثانى من الكتاب ،

الصين وفنون الإسلام (*)

كانت النواة الأولى لهذا الكتاب القيم بحثاً ألقاه المؤلف فى المؤتمر السنوى الحادى عشر للمجمع المصرى للثقافة العلمية ، ولكن المؤلف حفظه الله للعلم أراد أن ينتفع بهذا البحث قارئون لا سامعون . وأن يصل وجه المنفعة به إلى من لم تتح له الظروف الاستماع إليه حين ألقى فى المؤتمر ، فأخرجه كتابا تبقى مادته وتحفظ معارفه ، ويرجع إليه فى تحقيق علم أو درس مسألة من مسائل الفن الإسلامى ، وبالطبع زاد على البحث الملقى ما تقتضيه مصلحة النشر وما تستلزمه ضرورة الظهور فى كتاب مستقل بنفسه قائم بذاته ، وأطال فى الكتابة بما لم يتسع له وقت المحاضرة ، وأضاف إلى الكتاب لوحات فنية مطبوعة على اثنتين وثلاثين صفحة من الورق الجيد الصقيل .

واستوى البحث بعد ذلك كتاباً قائماً ومتاعاً دائماً ، وضع فيه الدكتور الفاضل مقدمة مختصرة هى أحق أن تسمى تمهيداً للموضوع لا مقدمة للكتاب ، أشار فيها إلى عراقة الفن الصينى وتأصله فى التاريخ ووجود وحدة فنية له ، ترجع إلى ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح ، وتتصل إلى وقتنا الحاضر ، وذكر فيها بعد ذلك فى كلمات عواجل رؤوس الموضوعات التى سيتناولها بحثه ويشتمل عليها درسه ، ذاكراً فى اختصار فضل العرب فى رعاية الصناع وأهل الفنون من أهل الممالك المفتوحة والبلاد المغلوبة ، مما مهد للإسلام قيام فن جميل مستقل امتاز بطابع معين .

(*) للدكتور زكى محمد حسن . مطبعة المستقبل . القاهرة .

أما موضوعات الكتاب فهى تجمع على اختلافها بين القيمة العلمية والنواحى الأدبية التاريخية . والحق أنها مزيج من العلم والأدب والتاريخ . فإذا أفاد منها المؤرخ علماً أفاد منها الأديب تاريخاً أدبياً .

ومن الطبعى أن يكون أول موضوعات الكتاب هو العلاقة بين الصين والشرق الأدنى . وكيف كان الاتصال بين هذين الركنين السحيقين من العالم المعروف فى ذلك الحين .

ويتدرج المؤلف فى تدرج هذه العلائق حتى يصل إلى اتصال المسلمين بالصين فى أوائل القرن السابع الميلادى . وكيف دخل الإسلام هذه البلاد الشاسعة المدى البعيـــدة الأطراف . وكيف زادت العلاقة السياسية بين العرب والصين فى نهاية حكم الإمبراطور الصينى (هسوان تسونج) الذى عاش صدراً من القرن الثامن الميلادى .

ولا يقف المؤلف عند هذا الحد بل يتابع الإسلام فى انتشاره هناك ويلاحق الجوالى من المسلمين النازلين بتلك البلاد فى أزمان متعاقبة . ويؤيد كلامه فى ذلك كله بحقيقة من بطون التاريخ ، أو تحقيق لمستشرق ، أو رحلة لعربى جعل الصين وجهته ، والشرق الأقصى طيته . فيشير مثلا إلى الرحالة العربى سليمان الذى ساح فى الهند والصين فى منتصف القرن التاسع الميلادى وألف كتاباً فى رحلته ، طبعه المستشرق Langles ونشره المستشرق Reinaud مع ترجمة فرنسية .

ويعرج المؤلف بعد ذلك فى إيجاز لا يعوزه التحقيق على القرن العاشر الميلادى ، وكيف قل الاتصال بين الصـــين والشرق الأدنى ، وذلك حين « عدم العدل وفسدت النيات » وانتشرت القرصنة فى البحار على يد أقوام

من السند يقال لهم الميدوم[١] (ولهم بوارج فى البحر تقطع على مراكب المسلمين المجتازة إلى أرض الهند والصين وجدة والقلزم وغيرها كالشوانى فى بحر الروم) .

والحق أنه فى هذا القرن بالذات لم يكن الناس يجرءون على ركوب البحر الأحمر من غير « مقاتلة ونفاطين »[٢] . وكانت جزيرة سقطرى بوجه خاص مركزاً خطراً للمتلصصة والقرصان وكانت تأوى إليها سفن القرصان ليقطعوا الطريق على المسلمين[٣] . وكان بحر الهند لا يركب عند ما يهيج ويظلم ويصعب الركوب فيه[٤] . ويستمر المؤلف فى تتبع هذه الصلات إلى عصر الدولة الصفوية التى بدأ بعدها الاضمحلال يتسرب إلى الفنون الإسلامية مما جعلها تتجه وجهة جديدة شطر أوربا لمحاكاة فنونها ومضاهاة آثارها .

ويلى فصل الصلات بين الشرق الأدنى والصين فصل آخر عنوانه « التحف الصينية والفنانون الصينيون فى الشرق الأسلامى » وفيه إشارات إلى كلام جاء فى الطبرى وابن خرداذبة والقزوينى والوزير رشيد الدين والغزولى وابن إياس والمقريزى والأبشيهى وغيرهم عن التحف واللطائف التى اشتهرت بها الصين ولقيت أقبالا فى الشرق الإسلامى . ويذكر المؤلف قبل ختام هذا الفصل الممتع شيئا عن استيراد المسلمين أنواعاً من الورق الممتاز من بلاد الصين .

والحق أن هذا صحيح فقد ذكره عريب بن سعد القرطبى فى صلة تاريخ الطبرى كما يقول الدكتور زكى . وذكره أيضاً الثعالبى كما قرأت . فهو يقول

---

(١) مروج الذهب للمسعودى ج ١ .

(٢) المقدسى ص ١٢ .

(٣) المقدسى ص ١٤ ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٧ .

(٤) ابن رسته ص ٨٦ — ٨٧ .

أن كواغيد سمرقند عطلت قراطيس مصر والجلود التى كان الأوائل يكتبون عليها لأنها أجود وأصقل وأكثر موافقة للكتابة، ولا تكون إلا بسمرقند والصين [١] . ويخيل إلى أن الوارد من الورق من بلاد الصين كان قليلا وخاصة فى القرن الرابع الهجرى عند ما وجدت مصانع له فى دمشق وطبرية [٢] وطرابلس الشام [٣] . ولاشك أن أعجاب المسلمين بتحف الصين كان عظيما . والدكتور زكى فى فصل تال لما تقدم يورد من النصوص التاريخية والأدبية ما يؤيد هذا الكلام، ويرجع فى تحقيق هذا الفصل إلى طائفة من الكتب، منها الطائف المعارف للثعالبى، والبلدان لابن الفقيه، ومروج الذهب للمسعودى، ونهاية الأرب للنويرى، وخريدة العجائب لابن الوردى، وابن بطوطة وغيرها من المراجع الأوربية .

ويلى ذلك الفصل فصل عن مظاهر الأثر الصينى فى الفنون الإسلامية وهو بيت القصيد فى هذا الكتاب، وفيه تتركز الفكرة التى من أجلها تليت المحاضرة ونشر الكتاب .

ولكن المؤلف الفاضل أوجز الكلام فى هذا الفصل إيجازاً لم يكن فيه على حق . وقد كان باب الكلام أمامه مفتوحا ، ومجال الحديث متسعا ، وعنده من عدة العالم وأداة الباحث وفيض المطلع ما يطيل له أسباب الكلام ، (فالورق) مثلا وهو أول مظاهر الآثار الصينية لم يظفر من المؤلف بغير سطور قلائل . والتعبير عن الحركة والحياة فى الرسم ، والرسوم التخطيطية

---

(١) عن كتاب الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم متز ج ٢ ص ٣٠ وذلك نقلا عن لطائف المعارف .

(٢) كما يقول المقدسى .

(٣) كما يذكر ناصر خسرو فى رحلته .

بالمواد، وهدوء الألوان واحتمال الفراغ وتلوين الجبال والمياه وأشكال الأوانى والأساليب الصينية فى الملابس وآلات القتال والسقوف المحدودبة وغير ذلك من أشباه هذه الموضوعات الطريفة كانت تقتضى من المؤلف الفاضل دراسة أوسع ، وإحاطة أجمع ، وبسطا وتفصيلا ، ونقداً وتحليلا ، وتتبعاً وتقصياً .

ولم يدع الدكتور زكى حسن فى هذا الكتاب النفيس الدعاوى ، ولم يحاول أن ينكر فضل الذين أخذ عنهم واهتدى برأيهم حتى استقام له البحث ، فهو يشير فى كل حقيقة إلى مصدرها ويردها إلى أصلها ، ولا يكتفى بذلك بل يصنع فى ذيل البحث ثبتاً بالمراجع العربية والأفرنجية مما لم يذكره فى هوامش الكتاب . والحق أنه قرأ لأتمام هذا البحث فيضاً غزيراً من المادة العلمية المبعثرة فى بطون الأسفار . وعرض هذه المواد عرضاً علمياً متسلسلا متناسباً فى طريقته التى عرفت بها مؤلفاته وكتبه القيمة .

أما اللوحات الفنية فقد طبعت على ورق صقيل طبعاً يقرب مادة الكتاب العلمية إلى الأذهان تقريباً ويصورها تصويراً . وشرحت كل لوحة منها شرحا يردها إلى مكانتها الفنية ومكانها الوضعى فى الوجود وتاريخها وبعض خصائصها ومميزاتها الفنية .

والكتاب فى بحثه وصوره أثر جليل من آثار الصديق الكريم الدكتور زكى محمد حسن التى يتحف بها المكتبة العربية من حين إلى حين .

بوشكين (*)

أمير شعراء روسيا

كانت المكتبة العربية لا تسمع عن أدباء الروس إلا قليلا : ولا تعرف عنهم إلا أقل من القليل . على حين تموج تلك المكتبة ذاتها بأسماء كثيرة فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى .

وعلة ذلك يسيرة : فقد مكن اتصال الشرق العربى بانجلترا وفرنسا من معرفة لغتى القوم ودراستهما والترجمة عنهما والتأثر بأدبهما إلى حد ترى أثره واضحا فى إنتاجنا الحديث .

أما الروس فقد كان دون الوصول إلى ثقافتهم أهوال . . فاللغة مجهولة والطريق إليهم نائية . ومذهبهم الجديد أراب فيهم الظنون فقطع ما بينهم وبين غيرهم .

ولا شك أن هذه القطيعة زادت من جهلنا بأدب القوم وزادت من تخلفنا عن متابعة لون من الأدب له فى العالم الواسع مكانته وقدره .

وهذا تخلف ما كان يجيزه جهلنا باللغة الروسية : فإن كثيرا من روائعها قد ترجم إلى الإنجليزية والفرنسية . فكان من السهل أن يترجم إلى العربية حتى يتيح ذلك للأدب العربى المعاصر اطلاعا واسعا على ألوان شتى من الثقافة الأوربية

والتقريب بين البلاد المتباينة ليس من عمل السياسيين أو الدبلوماسيين وحدهم . فقد يكون للأدباء من ذلك حظ عظيم . فحين يترجم أديب عربى

(*) للأستاذ نجاتى صدقى . مطبعة المعارف . القاهرة .

لشاعر روسى مثلا فإنه لاشك يمهد طريقا للتعارف الإنسانى بين بلاده وبلد المترجم له . وتلك من خطى التقارب بين الشعوب .

على أنك لو نظرت إلى المسألة من وجهة الأدب المحض لوجدت من العيب أن نجهل أمة أدب أمة : وأن تقف إحداهما من الأخرى بمعزل بعيد . . . .

وفى الأدب الروسى - على قدر ما أعلم - روح إنسانى وفية عاطفة بشرية وفيه حيوية انعكست على موقف الروس فى دفاعهم المجيد عن أرضهم الحبيبة .

ولقد أتاحت الظروف لشاب عربى أن يتعلم الروسية فى وطنها . وأن يظفر من أدبها بنصيب يجعله حريصا على نقل أطايبه إلى لغته العربية . وفى ذلك الصنيع وفاء من ناحيتين : وفاء الكاتب لعربيته ، ووفاؤه للغة ثقافته . وما أجمل الوفاء من الأدباء .

بدأ الأستاذ نجاتى صدقى - من أدباء فلسطين - بتعريف الشاعر الروسى بوشكين إلى قراء اللغة العربية تعريفا يلقى أضواء ساطعة على هذا الشاعر الذى لم تظفر المكتبة العربية قبل ذلك بترجمة مفصلة لحياته وإذا كان بوشكين يقول فى قصيدته « التمثال » (سيجتاز صيتى روسيا العظمى ، وسيذكرنى فيها كل لسان كائن : من صقلبى وفنلندى ومن تونغوزى وكالميكى !) فإن الأستاذ نجاتى صدقى يحق له أن يفتخر بأنه جعل صيت بوشكين يجتاز حدود الروسيا إلى كل صقع عربى سيقع فيه حتما هذا الكتاب .

ولما كانت حياة بوشكين تتصل بتاريخ روسيا القيصرية فى القرن التاسع عشر فإن الأستاذ نجاتى استطاع أن يعرض حياة القيصرية فى ذلك العهد عرضا يجعل القارىء على بينة من حياة الشعب وحياة البلاط . وهما حياتان كان

من الضرورى أن يظهر فى خلالها شاعر مثل بوشكين استطاع أن يحس آلام الشعب واستطاع أن يرى بعينيه حياة البلاط وأن يسمع فى أبهائها أنغام الترف والشبع ، على حساب أنات الجوع والحرمان . . .

ولقد وفق المؤلف فى تصوير نفسية بوشكين تصويرا يشيع فى النفس الأبية الممتنعة أجمل معانى الاباء والكرامة البشرية . والمؤلف لا يدع ظاهرة من ظواهر الكرامة والحرية عنـــد بوشكين إلا جلاها فى ثوب أنيق فيه من الإيحاء ما هو خليق بالكاتب الكريم . فهذا الشاعر الحر تفرض عليه وظيفة صغيرة تحت سلطان الكونت فورونتشوف المتكبر المتعجرف المزور من صلف ، ولكن بوشكين نفسه نفس حريرى المذلة كفراً . فيقابل سلطان المتعجرف بكرامة الكريم ، وهنا تصطدم الكبرياء الكاذبة مع الحرية الأصيلة . وهنا تظهر نذالة الموظف الكبير مع الموظف الصغير . . . . ولكن بوشكين يقف موقف الرجل بما تحمله الكلمة من معان .

ويثور الرئيس الصلف ، فيرسل الشاعر الموظف فى حملة لمقاومة الجراد ويكلفه كتابة تقرير عن مهمته . . . كما يفعل الرؤساء المتعجرفون مع أباة الضيم فى ذلك الزمان ، وفى زماننا هذا . وفى كل زمان ومكان . . . . ولكن بوشكين يذهب فى الحملة ويكتب التقرير فى هذه الكلمات : « طارت الجرادة ثم هبطت ، ثم طارت ثم هبطت ، ثم أكلت ، ثم طارت ! . . . . مع الاحترام . بوشكين » .

* * *

وحياة بوشكين فى هذا الكتاب النفيس هى قصة الأباء المنيع تجرى فى تاريخ شاعر لم يعرف الذلة فى حياته القصيرة ولم يرد أن يعترف بها .

فهو ثائر على الأرض وثائر على السماء . . . ولقد كان هينا على بوشكين أن يصادف العيش المرىء لو أنه كان يسعى للعيش الدنىء . وما أشبهه فى ذلك بامرىء القيس أمير الشعر العربى القديم حيث يقول .

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى — ولم أطلب — قليل من المال

ختم المؤلف كتابه بقصيدتين من شعر بوشكين إحداهما « النبى » والأخرى « الطلسم » ولو أنه أطال مدى الاختيار لأمتع القراء بكثير من شعر بوشكين ، وهو شعر لم يتح لكثير من قراء العربية أن يعرفوه . وقصيدتان من شعر شاعر كانت حياته كلها عناء وأنيناً لا تكفيان للتعريف بأدبه . ولعل المؤلف يتدارك ذلك فيما هو بسبيله من تعريفنا بالأدب الروسى والأدباء الروس فى ثمراته المقبلة .

ولقد ازدحم الكتاب بأعلام روسية كثيرة لم يدعها المؤلف من غير تعريف بها . فجعل فى ذيل الكتاب فهرساً بها وعرفها إلى القراء فى إيجاز تعريفاً ينشر الضوء على مواقفها . والحق أن الكتاب ليس تاريخاً لشاعر فحسب ، ولكنه تاريخ موجز شائق لحياة روسيا فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر .

والحق أن النفس العربية الظامئة إلى الحرية فى عالم لا تصح فيه الحياة إلا للأحرار لتستقبل هذا الكتاب وهى مشتاقة إلى الحرية التى هى من أصول الطبع العربى .

ولقد أنصف الأستاذ نجاتى صدقى حين استهل إنتاجه الأدبى بهذه الصفحات المنطوية على كثير من مبادىء الحرية الإنسانية عند شاعر حر كبير . فنهنئه بما أخرج وننتظر من عمله الجديد فى عالم الأدب الروسى خيراً كثيراً .

أساطير الحب والجمال عند الإغريق*

كان لسليمان البستانى فضل أى فضل فى ترجمة الالياذة إلى الشعر العربى ، بعد أن ظلت محجوبة عن المكتبة العربية زماناً طويلا . وكان له فضل أى فضل فى مقدمة جليلة قدمها بين يدى الملحمة ، فجاءت مقدمته كتاباً برمته يحتل مكانه فى تاريخ الأدب .

وظهر بعد البستانى كاتب أخذ يشق سبيله إلى منزلة الأديب، عن سبيل تعريفنا بقصص فاتنة من الحب والجمال عند الأغريق . وكان الذين يقرءونه من حين إلى حين فى مجلة «الرسالة» يعجبون به ، ويتشوقون إلى تلك القصص التى عرف ناقلها كيف يلمس بها مواطن التقدير فى قلوب القارئين .

هذا الكاتب الناقل هو الأستاذ دريني خشبة الذى يقدم اليوم إلى المكتبة العربية السفر الأول من ديوان الأدب اليونانى . وهو على ما أعلم ماض فى سبيله إلى تقديم أسفار أخر . حتى لقد أصبح حبه لقراءة الأدب الأغريقى هوى لازماً .

ولهذا الكتاب مقدمة أبان فيها الكاتب بعض أغراضه ، وقدم لنفسه بعض العذر عما أورد من ألوان حب أغريقى ، ليس من الصدق أن يتعمد الكاتب إخفاءها . إلا أنه على الرغم من ذلك راعى أكرم تقاليدنا ، وحرص على ألا يجرح أذواقنا بألوان لا تجرى على موروث عادنا . وقد يكون المؤلف فى هذا التصرف خالف منهج الصدق قليلا ، أو جار على مذهب الأمانة النقلية قليلا . ولكنه ماجاوز الإنصاف لأدبه العربى ولخلقه العربى

(*) للأستاذ دريني خشبة مطبعة الرسالة . القاهرة .

وللسانه العربى ، حين عمد إلى حذف مالا يتفق مع الطبع العربى الكريم .

وقديماً تحرج أدباء العربية فى عصور الترجمة العباسية من نقل الأدب اليونانى إلى الأدب العربى خشية مافيه من آلهة وثنية لا تتفق مع فكرة الإسلام الموحدة . وقد يكون للقدماء من أدباء العرب عذر فى تحرجهم ، وهم لم ينفضوا غبار الوثنية عنهم إلا منذ قرن وبعض قرن من الزمان . . . أما اليوم وقد أصبحت فكرة الآلهة موضعاً للتندر والسخرية فى قلب الموحد ، فلا ضير إذن من أن تعرض علينا تلك الآلهة كما كان يتصورها الإغريق ، ولاضير على التوحيد الصحيح من أن يقرأ آثار الوثنية المغمورة فى أطياف شاردة من الخيال .

ولقد تصرف الأستاذ دريني خشبة تصرفا آخر فى النقل ، فهو يعترف فى مقدمة الكتاب بأنه ينقل نقل رواية لا نقل ترجمة ، وكأنما أحس صديقنا وهو يقدم على هذا الصنع أن اعتراضنا سيوجه إليه ، وأنه غير مفلت من النقاد . فأراد أن يدفع عن نفسه ، وأن يتخذ « لهيئة الدفاع » عنه الأستاذ «توماس بلفنش» الأنجليزى من أدباء القرن التاسع عشر . فاتخذه دريني خشبة دليله فى نقل الأساطير واتخذ طريقته فى الرواية لا فى الترجمة . ومضى فى سبيله مطمئنا إلى عمله ، معتذراً بأن ترجمة النقل قد يكون فيها من الجفاء والخشونة ما يباعد بينها وبين مساغ الذوق عند القارئين .

على أن هذا الدفاع قد لا يعفيه من النقد ، وقد يساط عليه من يقول له أنه أسرف فى الرواية إلى حد قد يباعد بينها وبين الأصل . فكأنه قد فر من مباعدة عن الذوق إلى مباعدة عن الأصل . ولكنه على كل حال قد أبدع فى الرواية ، وأعانه على الأبداع بيان قوى وأسلوب أخاذ يجرى على الطبع العربى الأصيل .

والحق أن أسلوب دريني خشبة فيه من الجمال والقوة ما يجعله خليقا بنقل الأدب اليوناني . وفيه من الحلاوة الفنية ما يناسب حلاوة هذه الأساطير . حتى لا نبعد عن الحق إذا قلنا أن « أساطير الحب والجمال » هي تحفة فنية للمكتبة العربية . ولابد أنها لاقية من تقدير الأدباء والقراء ما يجتزى عن شكر الأستاذ ويقوم مقام ثوابه .

ولقد تميز الأستاذ الزيات صاحب « الرسالة » بأسلوب فني متفرد جعله مدرسة وحده . وجعل له تلاميذ يتأثرونه ويمشون على غراره . ولا يشك أحد في أن دريني خشبة متأثر في أسلوبه بأسلوب الزيات إلى حد كبير . إلا أن دريني يخلع على الألفاظ من الأغراق والمبالغة مالا يحتمله المعنى وقد ينوء به . وهذا الإسراف في أسلوبه قد يعيبه ويجعل سبيل الناقدين إليه مطروقا .

وهذا الأغراق قد يدفعه — عن غير قصد — إلى التهاون في (استعمال) الأساليب . وهذا التهاون مما لا يحمل بأديب تقليدي أن يصنعه . وإذا جاز ذلك من المجددين الذين لا يبالون — في جهل وادعاء — بقيم الأسلوب الصحيح ، فإنه لا يجوز من أديب مثل دريني خشبة رأينا منه في كل حالاته حفاظاً على اللغة .

وإلا فما باله يستعمل ص ٢٠ « فرأى إلى الخنجر » . وحرف الجر هنا لا لزوم له . ولكنه يأتي مع الفعل المنفي دلالة على التعجب كقوله تعالى « ألم تر إلى ربك . . . » . وقد وردت في القرآن على كثرة مع النفي لا مع الاثبات .

وفي ص ٣٦ « ولبث نركيسوس وحده يضرب أخماساً لأسداس » فاستعملها بمعنى الحيرة والتردد في الأمر . وما قال بذلك شراح الأمثال العربية —

راجع أمثال الميدانى فى شرح المثل « يضرب أخماساً لأسداس » .

وفى ص ٦٣ « منية القلب وهوية النفس » وأظنها هوى النفس .

وفى ص ٤٥ « يصمد للعصبية القوية » بمعنى يثبت . والفعل معناه يقصد لا يثبت كما شاع ذلك على ألسنة الكتاب خطأ ومنه « الله الصمد » أى المقصود فى الحاجات . وفى ص ٣٣٢ « وانسرق إلى الكهوف » وهو استعمال غريب لا أدرى وجهه . ففى اللغة انسرقت مفاصله أى ضعفت والمؤلف يريد تسلل إلى الكهوف . ولم يرد فى معجم تحت يدى . وفى ص ٣٤٧ « بالعبير الفياح » والصحيح « الفواح » لأن الفعل فاح يفوح لا فاح يفيح

بقيت فى النفس كلمة ، وأظن الأستاذ دريني لا يضيق بها ، لأن طلاب الكمال لا تضيق نفوسهم بكلمة الحق . فقد كانت الأساطير فى حاجة إلى مقدمة علمية تاريخية فى نشأة الأساطير وعقيدة اليونان فى الآلهة وتصديقهم لنزولها على الأرض ، تخوض المعارك وتدير الخطط وتجرى مع البشر فيما يجرون من أمور . ولعل ذلك كان واجبا على من ينقل أساطير الأغريق إلى الأدب العربى بعد احتجابها عنه دهراً طويلا ، فتلك دراسة كانت تقف القارىء على كثير من أمور الفكر اليونانى . ولقد أنصف المستر V. S. Marvin وزميلاه Stawell و Mayar حين قدموا بين يدى كتيبهم الصغير (مغامرات الأوديسة) . أما أن يمضى الأستاذ دريني فى عرض القصص من غير تقديم تاريخى لها فذلك مانرجو أن يستدركه فى تراجمه المقبلة للأدب اليونانى .

والحق أن المكتبة العربية قد ظفرت بهذا الكتاب الذى جمع بين براعة الفكر اليونانى فى أساطير حبه .. وبغضه أيضا ، وبين قوة الأسلوب العربى وطواعيته لحسن التصوير .

مرايا الناس*

قرأت للسيدة وداد سكاكيني حفنة من المقالات في تاريخ الأدب موزعة بين صحف سوريا ومصر فلفتني فيها شيئان : — قوة في التعبير ما كنت أتوقعها من امرأة كاتبة ، ومعرفة بالتاريخ الأدبي ترجح قوة أسلوبها وقوة تعبيرها : فقلت في نفسي : سيرجى من هذه السيدة للأدب العربي خير كثير .

وما أخطأني التوقع ولا كذبتني الفراسة ، فقد أخرجت المطبعة العربية مجموعة من القصص الصغيرة باسم هذه السيدة ، وشاء فضلها أن تشرفني بإهداء نسخة منها ، وقد صنعت بي خيراً حينما فعلت ذلك ، فما كنت أنوي أن أحتجز لنفسي نسخة بالشراء ، لأنني معرض عن قراءة كثير من القصص التي يكتبها الناس في هذه الأيام .

وأول ما زهدني في قراءة قصص كثير من قصاص اليوم استهتارهم باللغة استهتاراً يخشى منه الطغيان على النثر الرفيع . فلا تجد في كثير مما يكتبون إلا ارتطاماً في حمأة الجهل باللغة وأسرار الأساليب . وجل ذخيرتهم من الكتابة ألفاظ يديرونها ويقلبونها كالببغاء ولا يعرفون مواضعها من الكلام لعجز في ثقافتهم اللغوية ، فهي من حيث كونها ألفاظاً قائمة بذاتها — منتهبة من هنا ومن وهناك . أما أنزال هذه الألفاظ منازلها ووضعها مواضعها من الكلام فذلك مالا بعنيهم ، لأنهم يحفظون ألفاظا ولا يعرفون كيف يستعملونها : وذلك شر ما يمنى به الكاتب .

ويتبع الجهل باللغة جهل آخر بالنحو الصحيح . فإجراء الكلام عندهم

(*) مجموعة من القصص القصيرة للسيدة وداد سكاكيني . مكتبة مصر . الفجالة .

على القواعد النحوية فيه تضييق عليهم ومضايقة لهم ، لأنهم لم يعدوا أنفسهم أو لم يعدهم تعليمهم للسلامة من أخطاء النحو .

وما رأينا اجتراء على الأصول كما يجترىء هؤلاء المتكاتبون ، وما سمعنا أن قاصاً فى أى بلد من بلدان الله العاقلة يطلع على الناس بكتاب وأداته اللغوية معطلة مفلوجة .

وشىء آخر زهدنى فى القصة العربية . وهو خروجها على قواعد الفن القصصى الصحيح . فأنك لتقرأ القصة الغربية فتعرف رأسها من ذيلها ونرى فيها التحليل ومتابعة الحوادث والتشويق والعقدة والصدق فى الأداء ، ولا تنس الأسلوب ، فتجد فى ذلك كله متاعا ولذاذة .

وخير القصاص من جمع باعتدال بين صحة الأسلوب وقواعد الفن القصصى . فإذا طغى الأسلوب فهناك إنشاء ولا فن ، وإذا طغى الفن فهناك قصة ولا أسلوب ..

ولقد كان فى بداية «توفيق الحكيم» طغيان الفن على الأسلوب واللغة . إلا أنه أخذ يدلف فى قصصه إلى التقريب بين الاثنين . وهو سائر فى ذلك إلى غاية نحمدها له ويحمدها له الأداء العربى الصحيح .

وفى بداية السيدة وداد طغيان الأسلوب واللغة على الفن . وما فى ذلك بأس أول الأمر . فنى ذكائها وحسن استعدادها ما يبشرنا بمقامها المحمود فى عالم القصة .

ولا أحسبها من ذلك يائسة ولا خالفة . فقد عرفت من كلمة الأمير مصطفى الشهابى فى تقديم كتابها أن نقده لكتابها الأول « الخطرات » كان أليماً على نفسها . إلا أنه أفادها وجعلها أكثر توفراً على إتقان فنها .

والحق أنها فى هذه المجموعة الجديدة متقنة محسنة . وما أبرها وهى

تصف بنات جنسها وتحنو على من لم تساعفهن الأقدار بالأمل المنشود عند كل فتاة . وفى قصة « هاجر » يبدو عطفها على هذه الفتاة التى راحت ضحية الأقدار . فظلت على عنوسها بينما ظفرت أختاها بالزواج السعيد .

وقصة «الضرتان» تمثل المرأة الشرقية حينما تصبح ضرة ، فتتحالف مع عدوتها على زوج واحد يمثل العدو المشترك .

وجل قصص الكتاب يدور حول المرأة الشرقية فى أدوار حياتها : فتاة كانت أم زوجة أم أرملة . متعلمة كانت أم جاهلة . والمؤلفة فى ذلك بارعة قادرة . وهل أقدر على وصف المرأة وتحليلها إلا امرأة مثلها ؟

والمرأة الشرقية هى المرأة فى كل قطر شرقى مادمن خاضعات لعقلية وتقاليد وبيئة تكاد تكون واحدة . وفى مصر والعراق وفلسطين كثيرات من أمثال هاجر والشيخة عطية وعطرشان وغيرهن ، إلا أن أسماء الأماكن ووصف بعض العادات يخلع على الكتاب ثوباً سورياً بحتاً .

ولسنا مع من يرون فى ذلك بأساً فالقصص العربى يجب أن يكون وحدة فى أصوله . أما ماعدا ذلك من مميزات الإقليم وفروق اللباس وتباين العادات المحلية فلا بأس من إظهاره . فإن القاصة الأسترالية المشهورة « مس هنرى هاندل ريتشاردسون » تصبغ أدبها كله بصبغة أسترالية موضعية . ولم يمنعها ذلك أن تأخذ مكانتها فى القصة الإنجليزية .

على أن لتلك « المحلية » أثراً فى الأدب العربى كله . فهى تصوير لبيئة هى جزء من الوطن العربى الأكبر . ولقد أحسنت السيدة وداد عرضها لمن لم تتح لهم الأقدار زيارة تلك الأقطار .

ومع حرص السيدة على التنوق فى ألفاظها وأسلوبها ولغتها فإن أخطاء

قليلة وقعت فى الكتاب لا بأس من الإشارة إليها . ولو أنها كانت ممن يستهين بالتوجيه أو يغضب للتصحيح ما حفلنا بتنبيهها إليها .

ففى ص ٢١ « العنوسة البغيضة » وفى كتب اللغة «العنوس» لا العنوسة .

وفى ص ٣٩ « فرط بالشىء » وهو يتعدى بنى ، قال تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » .

وفى ص ٣٣ « كأنهن كملائكة » واجتماع أداتين للتشبيه فى تشبيه واحد هو من عجيب الكلام . والصحيح : كأنهن ملائكة .

وفى ص ٤٣ : عند أى عيلة تخدم . فهى تستعمل « العيلة » بمعنى العائلة والأسرة . والعيلة الفقر قال تعالى : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » .

وفى كثير من صفحات الكتاب : (يكاد أن) . ووقوع أن فى خبر يكاد أقل كثيراً من حذفها . وذلك فى الشعر . أما فى النثر فالأعلى حذفها . وقد جرى القرآن — وهو أفصح الكلام — على هذا . راجع سورة النور آية ٣٥ ، والنساء آية ٧٧ . والأعراف آية ١٤٩ . وكثيراً غيرها .

ولكنها فى الحق هفوات لا تشوه ياسيدتى مراياك الصقيلة الجميلة التى فيها من صفاء ذهنك ونصوع فكرتك شىء كثير .

أربعة كتب

١ — القومية والعروبة :

هذا الكتاب على صغر حجمه يعد من أمتع ما كتب فى موضوعه . سار فيه مؤلفه الأستاذ نقولا زيادة . من حياة القبيلة أو العشيرة ، إلى حياة المدينة فالدولة ، وذكر فيه فكرة نمو القومية والوطنية أولا ، ثم وقوفها أجيالا طويلة ، ثم عودتها ثانية للظهور بعد عصر النهضة الأوربية المعروفة بالرينسانس ، وذكر أثر تلك النهضة فى التحرر الفكرى والتعبيرى الذى كان من نتائجه محاولة التعبير عن النفس باللغة الوطنية . وتلك هى الخطوة لنشأة الشعور الوطنى القومى .

وللعروبة فى هذا الكتاب فضل يعد ، على إيجازه الكثير ، تلخيصاً جيداً لتاريخ الأمة العربية والموجات التى انساحت منها . ولو أن المؤلف أطال فى هذا الفصل لاستطاع أن يلائم بين فصول هـــذا الكتاب من حيث معالجة الموضوع . وذلك ما نعيبه على صديقنا المؤلف ، فإنه جعل نصيبها فى كتابه ضئيلا .

والأستاذ نقولا منصف للإسلام ومتعصب لعربيته . وهو يدعو غير المسلمين — وهو منهم — إلى إتقان اللغة العربية ، وفهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً . وفى ذلك أجران : أجر المسلم عند ربه ، وأجر غير المسلم عند نفسه وعند عروبته ، وعند أبنائه الذين ينشأون على منهج عربى صحيح .

وهذا الكلام فيه من الجمال ، والسماحة ، واتساع الأفق ، وصدق

---

(١) القومية والعروبة . للأستاذ نقولا زيادة .

(٢) المنتخب المدرسى من الأدب التونسى . للأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب باشا .

(٣) إلى الأبد : للأستاذ إلياس أبو شبكة (٤) عطر ودخان . لمحمود تيمور بك .

الوطنية ، وقوة الروح العربية ، ما لا يصدر إلا عن فتى عربي مثل أخي المسيحي نقولا زيادة ، الأستاذ بالكلية العربية بالقدس ، وخريج جامعة لندن ، والذي أهدى كتابه « إلى كل من علمني درساً في الوطنية » .

٢ — المنتخب المدرسي من الأدب التونسي

العروبة كلها وطن واحد مهما تباعدت بها الأصقاع . ألم يكن المتنبي ينشد الشعر في حلب فتردده الدنيا في كل بلدة عربية من العراق ، إلى مصر ، إلى اليمن . واللغة العربية رباط يصل بين العرب والمستعربين . وقد وصل في القديم بين العرب وغير العرب ممن أظلتهم الراية الأسلامية .

وما أحوجنا نحن العرب ، في هذه الأزمان ، التي تلعب فيها الأحداث السياسية أدواراً جساماً ، إلى أن نصل بين تراثنا الفكري ، ونصل منه ما قطعت الأيام .

وفي تونس أدباء ، وفي تونس شعراء . ومن ثرى تونس الخضراء نبت علماء . نبتت لهم في الفكر شئون ، مثل ابن خلدون .

وإذا أتاحت ظروف النبوغ لرجل مثل ابن خلدون أن يشتهر في العالم العربي ، وغير العربي ، فإن مئات غير ابن خلدون لا تزال تحتاج إلى التعرف إليهم ، والقراءة لهم .

وهذا ما فعله الأمير حسن حسني عبد الوهاب باشا الصمادحي ، حين أخرج كتابه « المنتخب المدرسي من الأدب التونسي » ، وقد أحسنت وزارة المعارف المصرية في طبع هذا الكتاب ، الذي يعرف أبناء العروبة بأخوانهم في العروبة والإسلام أهل تونس من أهل الشعر والأدب والعلم . كما أحسن حسن حسني عبد الوهاب في تأليف هذا الكتاب وإهدائه إلى كل تلميذ عربي نجيب .

٣ – إلى الأبد

هذه ملحمة شعرية للأستاذ إلياس أبي شبكة ، الأديب الشاعر اللبنانى المعروف . أخرجتها دار المكشوف ببيروت . وهى دار لصنيعها فى النهضة الأدبية الحديثة أطواق فى أعناقنا .

ولقد حاولت أن أدرس شعر هذه الملحمة الفاتنة على وجه واسع إلا أن مجلة « الرسالة » الغراء قيدتنى فى هذا المكان الضيق وقالت لى اكتب ! كما يقيد الرجل الطير فى قفص ويقول له غرد !

ولست بمستطيع ذلك على سبيل يرضى عنه النقد والذوق . فآثرت أن أنقل إلى القراء بعض أبيات من هذه الملحمة تعرفهم بنفسها وتدلهم على جمالها قال :

جئت الدنيا كما نهوى فجئنى إنما الدنيا هوى منك ومنى
أنزلت عيناك فى صحرائها من سماء الحب سلواى ومُنّى

وقال :

أحبـــك لا أرجو نعيما يصيبنى وأبذل من قلبى ولا أبتغى جدوى
وقد كنت أهوى فيك حسنا أناله
فأصبحت أهوى فيك فوق الذى أهوى

وقال :

كنت فى الناس كالنساء فلما جئت قلبى ظهرت شعرا ولحناً
وزرعت الآمال فى نجـوماً أى كنز أحب منها وأغنى

نحن ياليل أسعد الناس فلنغفـــر لهم كل مايقولون عنا !

ولقد كنت وأنا أمضى فى قراءة هذا الديوان – أو هذه القصيدة اللذيذة – أخط بقلمى على كل موضع فيه منها جمال . فلما كثرت الخطوط خرجت من هذه المهمة بأن القصيدة كلها نشيد عذب من الجمال . فأهنىء

الأخ الشاعر «إلياس أبو شبكة» على تحفته ، وأشكره على هديته . والقصيدة كلها — على اختلاف أوزانها وقوافيها — تجرى على نغم حلو الرنين مستقيم الوزن .

ولقد وقفت وأنا أقرأ هذه القصيدة عند بيت أعجبنى وهو :

سوف نغدو فى الورى أسطورة ينقل الناس الهوى عنك وعنى

أترى فى أى ديوان قرأت مثل هذا البيت . ولأى شاعر ينسب هذا المعنى ؟ ألم يقل شوقى فى مصرع كليوباترة :

غننا فى الشوق أو غنى بنا نحن فى الحب حديث بعدنا

نعم قال شوقى ذلك . ولكن إلياس أبو شبكة زاد عليه قوله :

«ينقل الناس الهوى عنك وعنى» وتلك زيادة شرح وبيان ، زاد بها المعنى حلاوة وليست من فضول الكلام .

٤ — عطر ودخان

اشتهر الأستاذ محمود تيمور بك بالقصة وله فيها مكان مشهور . أما أدب المقالة فلم يطالعنا منه إلا هذا الكتاب الجديد « عطر ودخان » . فهو محاولة أولى من قلم تيمور ؛ ولكنها محاولة ناجحة ، فأن أفكار تيمور التى كان يبثها فى خلال قصصه ومسرحياته تراه اليوم يبثها فى خلال طائفة من المقالات الممتعة .

ولكن أليس لنا أن نتساءل لماذا عدل تيمور عن فن القصة فى معالجة المشكلات إلى فن المقالات ؟ هل وجد فى المقالة متسعاً للعلاج لم يجده فى القصص والمسرحيات ؟ جواب هذا السؤال عند تيمور نفسه . ولكننا نستطيع أن نؤكد له أن هذه المقالات فيها من المتعة الفنية الكثير . وأن

فيها من روح القصص الكثير . وأن فيها نفوذاً إلى دقائق الحياة عالجها تيمور فى هدوئه ورفقه أكثر مما يعالج الكتاب الاجتماعيون المشكلات بالأرقام والمستندات .

وأول شيء فى هذا الكتاب فصل عن الرجعية الحميدة وكونها من دعائم النهضة الحديثة . فالأستاذ تيمور فى هذا الفصل العميق ينادى بأن نأخذ من الجديد ما يبقى على شخصيتنا ويجعلها قوية نامية . وينادى بأنه ليس من المستطاع قطع الصلة بالماضى قطعاً باتاً مهما يكن من أمره ومهما تكن المصلحة فى هذا القطع . فما يدعو إليه غلاة التجديد من نفض اليدين من تراث الماضى مضاد للطبيعة القاهرة التى جعلتنا زبدة ذلك الماضى . وهذا كلام جميل وخاصة من رجل كمحمود تيمور عرف ثقافة العرب وثقافة الغرب . ولعل هذه الصرخة الكريمة من تيمور مضافة إلى صرخات المعتدلين تحمل المغالين فى تحقير القديم على أن يخففوا من غلوائهم .

وهذا الفصل الأول جعله تيمور جداً كله ، ولهذا صدر به كتابه الجديد ، إلا أن فى الفصول التالية جمعاً بين الجد والدعابة .

ومحمود تيمور بارع فى الصور الوصفية للرجال ، ولاشك أن لوحاته الثلاث لشقيقه إسماعيل باشا تيمور ولصديقيه زكى طليمات ، بشر فارس هى مما يحملنا على أن نستزيده من مثلها لأخواننا الأدباء . . .

طرائف عن الكتب والكتاب

نسخ الكتب – تصحيح الكتب – سرقة الكتب – النار والمكتبات

من لوازم الكتب وجود عدد من « النساخين » ومهمتهم أن ينسخوا من الكتاب الواحد نسخة أو أكثر على حسب رغبة المؤلف أو وفق مقتضيات الأمور .

وأول من عرف من هؤلاء النساخين فى الأدب العربى الجماعة الذين كتبوا المصاحف الأربعة بأمر الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وهم زيد ابن ثابت . وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث[1]

أما كتاب الوحى فلم يكونوا نساخا ، بل كان الرسول يملى عليهم الآيات حين نزولها ، وشرط النسخ أن يكون عن كتاب أو صحيفة مكتوبة . وليس النساخون مقصورين على الكتاب العربى وحده أو المكتبة العربية وحدها فهناك نساخون فى الكتب الأوربية ، وكان يطلق على هؤلاء النساخ كلمة الرهبان ، لأن الرهبان والقسوس كانوا مختصين فى العصور الوسطى بنسخ الكتب[2] .

وبهذه المناسبة كان عند النساخين من الرهبان قانون وضعه « تريتم » رئيس الكهنة فى عصره يقول فيه : « يجب أن يقطع أحدكم الرق قطعاً ، وآخر يصقلها ، وآخر يسطرها ، وآخر يبرى الأقلام ويملأ المحابر ، وآخر يقرأ ويصحح كتابة الناسخ ، وآخر يزخرف الكتابة بالمداد الأحمر وينقط الحروف ، وآخر ينقشها ، وآخر يلصق الورق ويحبك الكتب على ألواح من الخشب »[3]

---

(١) آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ص ١٨٧ ج ١ .

(٢) مجلة روضة المدارس المصرية من مقال لعلى رفاعة الطهطاوى .

(٣) المصدر السابق .

فأنت ترى من ذلك كله أن عملية نسخ الكتاب كانت عملا منظما توضع له القوانين وتقعّد القواعد . وخاصة عند جامعى الكتب من أمراء أوربا فى العصور الوسطى .

ولهؤلاء النساخين — عرباً كانوا أو فرنجة — طرائف فى النسخ . ولكنهم على كل حال كانوا آفة فى الكتابة العربية : ونظرة واحدة فى الشعر الوارد فى كتاب « فوات الوفيات » لابن شاكر الكتبى تؤيد هذا الكلام ، فهو شعر مختل مكسور مسخه الناسخ . وجاء الطابع الحديث فأبقاه — لسقم ذوقه — على اختلاله وكسره . وجاء الدكتور أحمد عيسى بك فنقله فى كتابه الجديد « معجم الأطباء » مختلا مكسوراً . وليس ذلك من سبيل بحثنا اليوم ، ولكننا سنفرد لتصحيح هذا المعجم الجليل بحثا طويلا

ومن عجب أن الكتب المنسوخة لم يقم لها مصححون يعنون بمراجعة أخطاء النسخ وضبط الكتاب وتحقيقه ؛ أما الكتب المطبوعة فقد قام عليها مصححون منذ عرَفَ الكتاب العربى الطباعة العربية ؛ وكان عند المرحوم الأستاذ محمود حسن زناتى أنباء كثيرة وطرائف عن هؤلاء المصححين ؛ وأشهر هؤلاء المصححين التماعا فى سماء الأدب الشيخ نصر الهورينى المتوفى سنة ١٨٧٤ م ، كان هذا الشيخ عضواً فى بعثة أرسلتها الحكومة المصرية إلى فرنسا [1] ، فلبث هناك مدة ثم عاد رئيساً للتصحيح بالمطبعة الأميرية ، وله تعليقات لطيفة على هامش القاموس المحيط للفيروزبادى ؛ كما أن له كثيراً من المؤلفات أشهرها « المطالع النصرية للمطابع المصرية » .

---

(١) الأعلام للزركلى ج ٣ ص ١١٠٣ .

ومن المصححين المشهورين فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الشيخ أحمد الميهى بن حسن عبد الصمد [١] ، وكان موظفاً بالمطبعة الوهبية التى أنشأها الفاضل مصطفى وهبى . وللشيخ الميهى فضل تصحيح كتاب « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » لابن أبى أصيبعة ، وهو من المطبوعات النادرة الآن . وقد تم طبعه فى سنة ١٨٨٢ م ، ولم يطبع بعد تلك الطبعة إلى اليوم

ولم يكن عمل المصححين القيام على تصحيح الكتب المطبوعة فحسب ؛ بل قام بعضهم بتنظيم الفهارس المختلفة للكتاب المطبوع ، كما صنع الشيخ الميهى فى كتاب طبقات الأطباء المذكور . فقد صنع فهرساً وافياً للأعلام ، وآخر للبلاد والمواضع والأماكن والمياه والأنهار [٢] .

وبلغت صفحات هذين الفهرسين وحدهما (١٢١ صفحة)

وليس عمل الفهارس للكتب المطبوعة القديمة أو الحديثة عملا هيناً يسيراً ، ولكنه يقتضى دقة وبصراً من واضعه .

وللكتب — مطبوعة كانت أو مخطوطة — آفتان . السرقة والنيران ؛ ولقد عرف اللصوص قيمة الكتب وخاصة بعد أن اعتنى أصحابها بتجليدها وتزيينها ، فارتفعت أثمانها عند الأمراء والأثرياء ، واضطر هؤلاء إلى العناية بحفظها والقيام عليها ؛ وكانوا يكتبون على أولها عبارات تتضمن لعنة السارق والسخط عليه . وقد وجد على أحد الكتب هذا البيت من الشعر على لسان صاحب الكتاب :

إذا غرك الشيطان أن تجترى على كتابى فعقبى المجترين الفضائح

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء صفحة ٢٧١ ج ٢ .

(٢) ذيل طبقات الأطباء .

أما النيران فهى آفة الكتاب الكبرى وبليته . فلقد أحرقت مكتبة الأمير نصر السامانى على نفاستها [١] .

واتهم بعض ذوى الأغراض عمرو بن العاص بإحراق مكتبة الأسكندرية وهى تهمة لا تستند إلى الحق . وأحرق التتار مكتبة بغداد وأغرقوا كثيراً منها فى النهر سنة ٦٥٦ هـ [٢] ، وكانت الكتب النفيسة فى هذه الفتنة تباع بأوهى قيمة [٣] .

ولما سقطت مدينة غرناطة فى يد الأسبان أمر البطريق إيكزامينيس بإلقاء الكتب الإسلامية وخاصة العربية فى النار ، ونهب الأتراك فى القرن العاشر ما وقع لهم من كتب المماليك وأضرموا النار فيها . ولا يغيب عن البال ما صنعه « كرمويل » فى مكتبة أكسفورد فقد أمر بإحراقها وكانت أغنى المكتبات الأوربية فى حينها .

وهناك بلية ثالثة للكتب وهى العُثّة التى تعيث فيها وتطيل ملازمتها لها بالخرق والثقب ، واسمها بالإنجليزية : Moth. Worm وقد أطلق الإنجليز على كل شخص يطيل ملازمة الكتب والتنقير فيها كلمة Book-Worm وهى كلمة يفتخر العلماء وأهل البحث بأنها من صفاتهم .

---

(١) مجلة روضة المدارس .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٢٠٢ .

(٣) التجارب النافعة لابن القوطى طبع بغداد صفحة ٣٣١ .

الأخوة الأدبية

بين البلاد العربيـــــة

كنت دعوت فى البريد الأدبى « للرسالة » الأديب اللبنانى « إلياس أبو شبكة »[1] إلى رسم لوحة أدبية للشاعر اللبنانى المعاصر نجيب إليان بمناسبة نجاحه فى مسابقة الشعر العربى التى نظمتها محطة الإذاعة اللاسلكية فى لندن. ولقد خصصت بالدعوة الأستاذ « أبو شبكة » ، لأنى أعرف من ريشته الفاتنة فى تصوير الأشخاص مالا يعرف الكثيرون . ولأن هذه المعرفة جاءتنى من طريق كتاب له عنوانه « الرسوم » صور فيه طائفة من أدباء لبنان تصويراً يبرز التفاصيل على أصولها ويخرج الدقائق إخراجا لا يخطىء ؛ كما لا تخطىء العدسة الطيبة فى إخراج التفاصيل .

وماعرفت « أبا شبكة » معرفة الجسم ولا مرآى العين ، ولكننى عرفته من كتابه « الرسوم » ومن ديوانه « أفاعى الفردوس » الذى تفضل فأهداه إلى بتوقيعه الكريم فى سنة ١٩٣٨ . ومن حينها انعقد بيننا ود روحى أكدته قراءتى له ومتابعتى لآثاره فى صحف لبنان التى تحملها الأقدار السعيدة إلى .

وما كنت أظن وأنا أقترح عليه هذا المقترح أن فى صدره أموراً طوى كشحه على مستكناتها ، وأن فى نفسه كلاما يريد أن يقوله ؛ فإذا به فى العدد ٢٩٠ من مجلة « الجمهور » اللبنانية يرد على رداً ينكر به قديم ودنا ويتجاهل « سامحه الله » (محمد عبد الغنى حسن موقع القسم الأول من البريد الأدبى فى الجزء الـ ٥٢٨ من الرسالة) .

---

(١) ظهر كتابنا هذا والأديب إلياس أبو شبكة فى ذمة الله

وإذا كان الأخ قد نسى ودى فأنا أجد من حقى عليه أن أذكره بتقدمة الإهداء التى كتبها على « أفاعى الفردوس » ، حين أهداه إلى من لبنان البعيد .

وفى رد أبى شبكة عتاب على « الرسالة » خاصة وعلى الصحافة المصرية عامة . ولكنه عتاب شديد مشى فيه صاحبه إلينا بالسيوف كما مشى الشاعر قبله إلى الملك الجبار حين صعر خده ! ولكنه عتاب حبيب إلى النفس ، لأنه عتاب الأخ الكريم والجار الجنب ، ولأن فيه صراحة لأنه من شاعر لا يحب الكذب ولا المواربة ، ولا يخرج الخبيث من القصد بصورة المجاملة أو اللياقة أو المرونة .

ويظهر لى أن العدسة القوية التى اختص الله بها الشاعر « إلياس أبو شبكة » قد استحالت إلى عدسة مكبرة مهولة تخلق القباب من الحبوب ، وتجعل الجبال من النمال ! فهو يثور على صحافة مصر فى غير موضع للثورة ، ويعتب على أدباء مصر فى غير محل للعتاب ، ويتهم الصحافة المصرية إجمالا بإهمال الحركة الأدبية القائمة فيما يلى مصر من الأقطار العربية وخاصة لبنان . ويتهم الأستاذ أحمد حسن الزيات ، ولكنه يجله ويقدر أدبه ويعرف مكانته هو وجميع أدباء لبنان (الذين لا يعرفون للأدب حدوداً ولا يقررون له مناطق) .

وبالطبع لم تمر كلمة الأستاذ أبى شبكة من غير رد أو تعقيب . وكان أسبقنا إلى الكلام الأستاذ إبراهيم المازنى فى عدد من « البلاغ » . وثنى الدكتور زكى مبارك بكلمة فى العدد ٥٣٣ من « الرسالة » اعترف فيها بأغفال المجلات المصرية للحركة الأدبية فى لبنان وغيره من الأقطار العربية ؛ ولكنه رد ذلك إلى إغفال عام للحركة الأدبية فى مصر ذاتها . وهذا كلام فى جملته صحيح ولكنه يحتاج إلى بعض التصحيح . . . فالحركة الأدبية فى الأقطار العربية عامة ملحوظة فى بعض الصحف المصرية ، كالمقتطف ، التى لا ينفى عنها مصريتها كونها من أصل لبنانى . وعجيب جداً أن يتكلم الأستاذ

فى « لبنانية المقتطف » أو « مصرية الرسالة » ؛ وهو كلام لا نحب أن نسمعه لأنه يوجع الآذان والقلوب ، ولأنه يفسح المجال لمن يقولون : هذا مصرى ، وهذا لبنانى .

وكيف يا أخى أغفلت « الرسالة » وغيرها أدبكم ، وأهملت إنتاجكم ، وهى تنشر لشكرى فيصل ، وسعيد الأفغانى ، وعلى الطنطاوى ، وطه الراوى ، وأنستاس الكرملى ، وأحمد صافى النجفى ، وحسين الظريفى ، وكوركيس عواد ، وميخائيل عواد ، وفدوى عبد الفتاح طوقان ، ووداد سكاكينى وغيرهم . وكلهم من الأقطار العربية القريبة والنائية ؟

ثم ما وجه عتابك أنت بالذات يا أخى وأنت لا تكتب حتى فى المجلات المصرية التى يديرها ويشرف عليها — كما تزعم — لبنانيون كالمقتطف والهلال ؟ فما رأينا لك فيها من زمان بعيد أثراً ، على حين قرأنا لأخينا اللبنانى الأستاذ كرم ملحم كرم أخيراً قصة لبنانية رائعة فى إحدى المجلات الشهرية .

والحق أنك يا أخى أصابك نوع من ركود الإنتاج الأدبى فأخذت تتجنى على صحافة مصر البريئة وأدبائها البرآء . ودليلى على ذلك أن صحافة مصر الأدبية فى هذا العام مملوءة بأسماء ميخائيل نعيمة اللبنانى ، وعدنان مردم بك ، وعبد الوهاب الأمين البغدادى ، ونقولا زيادة الفلسطينى ، وأسعد طلس السورى ، وصلاح لبكى ، وزكى المحاسنى ، وخليل هنداوى ، وصلاح الدين المنجد ، وراجى الراعى وغيرهم من أدباء الأقطار العربية . فأين اسمك بينهم ، وأين جولك فى ميادينهم ؟

أما كتبكم يا أخى فلم تغفلها الصحافة المصرية جملة ولا الأدباء المصريون وإلا كنت فى هذه الدعوى متجنياً علينا كعادتك . ففى مجلة مصرية شهرية باب للمكتبة العربية لا يفلت منه كتاب عربى خرج فى سوق الأدب مهما ضؤل حجمه ! حتى ديوان « خيوط الغمام » الذى نظمه الشاعر السورى الرقيق

عبد الله يوركى حلاق ، وكتب مقدمته صديقك كرم ملحم كرم . ولست أريد هنا أن أشق عليك وعلى القراء بالحديث عن نفسى وعن مجلة مصرية شهرية . فما أسمج أن يتحدث المرء عن نفسه !

على أن الصحف المصرية نفسها قد تسكت عما يصدر فى مصر نفسها من الآثار الأدبية — كما قال ذلك بحق الدكتور زكى مبارك فى رده عليك — فإن سلسلة «اقرأ» لم تظفر من مجلة «الرسالة» بكلمة واحدة على طرافة ماكتب فى تلك وجدته . وخاصة تلك «الدجاجة الفلسطينية» لأسحاق الحسينى ، التى وجدنا من حديثها عقلا وعجباً .

وقد تلاحظ يا أخى رواج كتبنا فى بلادكم وإملاق بلدنا من كتبكم . وتلك حقيقة يا أخى لا نحمل نحن مسئولية التقصير فيها . ولعل لتجار الكتب وموزعيها يداً فى ذلك ، فنحن قدتحفى أقدامنا فى السؤال عن كتاب طبع فى الشام فلا نجد له أثراً ، حتى كتب الكبار من أدبائكم . فأن «ملوك العرب» لأمين الريحانى لم أجده فى مصر ، إلى أن أهدانيه مؤلفه ، وحمله صديق المرحوم ألفريد الجميل . وكانت لنا مشاركة فى مجلة المكشوف — حيا الله صاحبها — فلم نستطع الحصول عليها من مكتبات مصر ؛ حتى كتابك «الرسوم» لم أقع على نسخة منه إلا بقدر سعيد ... ولولا هداياكم المتوالية ما عمرت مكتباتنا الخاصة بكتبكم التى نقرؤها ونجلها .

على أن المعاتبة بينكم لاتحملك ياأخى على أن تسكت عن دعوة دعوتك إليها فى موضوع الكتابة عن الشاعر اللبنانى نجيب إليان ، فاكتب عنه فى أية صحيفة شئت ، وارسمه فى أية مجلة أردت ، ولكن لاتنس أنك أسأت الظن «بالرسالة» التى لا ينكر فضلها فى تمكين الروابط العربية إلا غير منصف . وحاشاك أن تكونه . والسلام .

الفهـــرس

صفحة

بين الأدب والنقد

تاريخ النقائض فى الشعر العربى ٦
الفن ومذاهبه فى النثر العربى ١٣
فى الأدب المصرى ٢٥
الدراسة الأدبية ٢٩
مرحلة وأجواء ٣٧

فى عالم التربية والفكر

آراء وأحاديث فى التربية والتعليم ٤٢
الوعى القومى ٤٨
التعليم فى رأى القابسى ٥٣
السلام الاجتماعى ٥٨
الفكر العربى بين ماضيه وحاضره ٦٥

مع الفلاسفة

التصوف وفريد الدين العطار ٦٨
شخصيات ومذاهب فلسفية ٧٩
محمد عبده ٨٣

مع بعض المخطوطات المنشورة

الفائق فى غريب الحديث ٨٨
الرسالة للإمام الشافعى ١٠٢

صفحة

تصويبات فى الذخيرة لابن بسام ١٠٨
قوانين الدواوين ١١٣
المفضليات ١٢٠
ديوان منسوب للمعرى ١٢٤

فى دنيا التراجم

كتب التراجم ١٣٠
أبو تمام الطائى — حياته وشعره ١٣٦
أبو عبادة البحترى ١٤٥
أبو نواس ١٥٨

مع بعض الدواوين

أنات حائرة ١٦٢
خيوط الغمام ١٦٥
مواعيد ١٦٨

مطالعات شتى

معارك العرب فى الشرق والغرب ١٧٢
الصين وفنون الأسلام ١٧٥
بوشكين أمير شعراء روسيا ١٨٠
أساطير الحب والجمال عند الأغريق ١٨٥
مرايا الناس ١٨٩
أربعة كتب ١٩٢
طرائف عن الكتب والكتاب ١٩٧
الأخوة الأدبية بين البلاد العربية ٢٠١

306.13425A:c1
حسن، محمد عبد الغني
بين السطور
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01030993

American University of Beirut

[redacted]

General Library

808
Ha381bA
c. 1